آرشي أوغوستاين

الحرب على الإسلام

THE WAR AGAINST GOD

ترجمة محمد الشماع

مراجعة د.منذر الحايك





الحرب على الإسلام



نحو فكر

حضاري متجدد

الكتاب: الحرب على الإسلام

المؤلف: أرشي أوغسطين

ترجمة: محمد الشماع

الإصدار الأول 2011 م

عدد النسخ: 1000/ عدد الصفحات: 128

تصميم الغلاف: جمال الأبطح

التدقيق اللغوي: مظهر اللحام

الإشراف العام: يزن يعقوب/جوال 00963 933 418 181

الإخراج الفني: فؤاد يعقوب/جوال 00963 933 902 764

سورية - دمشق - ص. ب: 3397

هاتف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

www.darsafahat.com
info@darsafahat.com

الترقيم الدولي ISBN
978-9933-402-66-2

آرشي اوغسطين

الحرب على الإسلام

ترجمة: محمد الشماع

مراجعة: د. منذر الحايك



عنوان الكتاب بلغته الأصلية:

THE WAR AGAINST GOD

by Archie Augustin

المحتويات

مقدمة

أنا روماني كاثوليكي، وأعمل كمحامٍ في محكمة الجنايات في جنوب إفريقيا، وقد أجبرتني مذبحة البلقان، التي ارتكبت ضد المسلمين آنذاك على تأليف كتابي الأول، وعنوانه «دفاعاً عن الجهاد»، وفي هذا الكتاب حذّرت من التهديد الغربي الوشيك للمسلمين في أنحاء العالم، وبعد وقت قصير أنهيت أيضاً كتابي الثاني «تفجيرات انتحارية أم استشهاد»، حيث عالجت ظاهرةً، لم تكن في ذلك الوقت حدثاً يومياً كما هي الآن.

ولم تكن هذه الأفكار نتيجة تكهناتٍ أو توقعاتٍ ما، بل هي محصلةٌ لقراءةٍ شخصية للقرآن الكريم، إذاً فإنّ تلك الأفكار واضحة من نص القرآنٍ نفسه.

عندما جرى احتلال أفغانستان، وبدأ التحالف غزوه للعراق، قمت بقراءة متمعنة أخرى لنص القرآن، وأردت أن أعرف إذا كان الإسلام سوف يواجه مصير المسيحية نفسه بضغط العلمانية عليه، وإذا كان الإسلام سيحيّد، على أنه فقط تعاليم دينية وأخلاقية، أم لا، واكتشفت أنّ القرآن الكريم شديد الوضوح، وعديم الضبابية في عرضه للأحداث الماضية والحالية في قصة الجنس البشري المستمرة، ووجدت أيضاً أنه من السهل ربط الآيات القرآنية بالحال العالمي الراهن، وأكثر من هذا، فهم المستقبل، الذي ينتظر المؤمنين وغير المؤمنين على السواء.

وقد توصلت إلى استنتاجات محددة، ليست محصلة دراسة أفكار وآراء علماء السياسة، لكنها كانت فقط نتيجةً لقراءتي للقرآن الكريم.

يشير المعلقون عادة إلى تدمير برجي التجارة العالمية في نيويورك بأنه مرحلة التغيير الرئيسة الوحيدة في السياسة الخارجية الأمريكية، فقد بدأت مذاك الولايات المتحدة رسمياً بحربها على «الإرهاب» بعد هذه

الكارثة، وبعد أن كانت نظريات المؤامرة تبرئ المسلمين فقد جرى إثباتها عليهم، وهذا ما يترك الباحثين يتفكرون في دوافع ارتكاب هذا العمل، ويدّعي بعضهم أن الولايات المتحدة كانت محتاجة إلى ذريعة للبدء بغزوها لأفغانستان والعراق، والسعي وراء تحقيق مغامراتها، وهكذا، فإن صنع هذه الذريعة أو كبش الفداء، الذي تمثل بما دعي «الإرهاب الإسلامي»، بشّرَ بحقبة جديدة من استخدام القوة الغاشمة وأساليب الدعاية القذرة.

ويظن بأن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش، أو «قوة ثالثة»، كان همها تحقيق الأرباح والوصول إلى منافذ السيطرة، هي من ساهمت في هذه الكارثة، وبغض النظر عن الإغراءات المعروفة المتمثلة بالمال والسلطة، فإني أجد من الصعوبة بمكان أن أقبل نظرية أنّ بعض الأشخاص المتمتعين أصلاً بالغنى وأسباب النجاح، قد انحطوا إلى مستوى وضيع من أجل إحداث كذبة مثل هذه من دون أن يكون لديهم برنامج مستقبلي أكثر طموحاً، ولم يكن هذا الحدث طبعاً كافياً لغزو أفغانستان، فقد كان بن لادن والقاعدة سبباً كافياً لذلك، أما العراق فقد كان هناك أيضاً عوامل مثل صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل، ولا أظن أيضاً بأن هذه الكذبة كانت ضرورية لكسب دعم الشعب الأمريكي أو الحصول على الدعم الدولي فيما يتعلق بنشر القوات المسلحة، فبغضّ النظر عن منظمة الأمم المتحدة، نفّذت قوات التحالف الأمريكية البريطانية ما يحلو لها، ولم يكن هناك أي سبب في هذا الوقت تحديداً لكي تشك الدولتان الغازيتان بقدرتهما العسكرية على الغزو واحتلال هذه المناطق.

ونحن ندّعي العقلانية عندما نرفض، أو نخفق، أو نتغاضى عن تدارس محتوى القرآن الكريم من أجل الوصول إلى الحكمة في مثل هذه الأمور، وخلال تفحص حالة القضايا الدولية بما يربطها بالقرآن

الكريم، فإن ماضي تطوير السياسات الدولية وحاضرها ومستقبلها يصبح واضحاً جداً.

وعادة ما نقوم بالمبالغة بتبسيط الأمور عبر ملاحظة عاملين على صعيد الأحداث الدولية الراهنة، وهما مذبحة المسلمين وسرقة أراضيهم وقدراتهم، ومن هذا المنظور، فإننا نعد هذه الأفعال هي «الاستعمار الجديد».

وإن هذا «الاستعمار الجديد» هو فقط جزء من الصورة الإجمالية، وفي رأي متجرد، فهذا المصطلح الجديد هو إحدى الوسائل المستخدمة في الوصول إلى البرنامج والأهداف الحقيقية لأعداء المسلمين.

ما هذا البرنامج إذاً؟

إنّ الأحداث والعوامل التي تلت كانت واضحة، وقد أظهرت البرنامج خلال ما يلي:

لقد قُصف المسلمون، وقُتلوا، واغتصبت نساؤهم، واحتلّت أراضيهم، وأصبحت الديمقراطيات المصممة على النمط الغربي هي الممكنة، كما أضحت الإصلاحات الاجتماعية التحررية، وعلى نحو خاص تحرير النساء المسلمات من الاستعباد المزعوم للعادات والمبادئ الرئيسة، هي الهدف الأساسي من هذه العملية.

إذاً يجب على هذه العادات والمبادئ الرئيسة، التي تشكل بنية المجتمع الإسلامي أن تتهدم، وهذا هو الهدف الأساسي.

وتجلب الديمقراطية معها نمط حياة رأسمالية غربية، بكل ما تُعرف بها من عمليات إقراض الأموال والشيطان الاقتصادي الأكبر المتمثل في الربا.

وعلى نحو بطيء ساهم إنشاء المدارس العلمانية في إضعاف تأثير المدارس الإسلامية، التي يأخذ التعليم الإسلامي فيها حيز الاهتمام

الأكبر. وهكذا فإن نظام التعليم العلماني قد أصبح موضع التركيز، حيث سعى الغرب إلى إحلال هذا النظام محل التعليم الإسلامي.

لذلك، فإنّ المعارضة الشديدة لسلوكياتٍ مثل الزنا، وممارسة الجنس قبل الزواج، والإجهاض، لن تكون مكروهة وحسب، ولكنّ معارضة مثل هذا التحرر الجديد سوف تعد مخالفة للقانون بالقوانين الجديدة، التي سوف تفرض في تلك الدول، أمّا حقوق المرأة والطفل فسوف يجري تطبيقها وفقاً للتعاليم الغربية، ومع انهيار الرقابة لابدّ أنّ انحلال الأخلاق الغربي سيكون واضحاً للعيان في حوانيت الكتب، وشاشات التلفاز.

إذاً، أي مقاومة للمعايير الجديدة سوف تعد «إرهاباً»، وليس حرباً، أما الدين الإسلامي معتقداً وطريقة حياة فستجري إعاقته، وهذا هو الهدف المطلوب.

وبناء على ذلك فالحرب ضد المسلمين ليست حرباً ضد شخص المسلم أو ممتلكاته فقط ، لكنها حربٌ ضد معتقده وإيمانه، وهي أيضاً تدميرٌ للأساسات التي تدعم ممارسة هذا المعتقد المستهدف، ولذلك فإنّ «علمنة» الشعب المسلم هي الغاية، وإنّ «اغتيال الإسلام»، إن صحّ الاسم، هو البرنامج.

ويدرك الغربي أنّ المسلم كونه إنساناً يتصرف وفقاً لحرية إرادته الشخصية، ويؤمن الغربي أيضاً بأن الدعاية والقانون العلماني الدولي لديه يدعمان السيطرة على الدول الأخرى ذات السيادة، والقيام فيها بعمليات القتل والإبادة الجماعية، واستخدام القوة المفرطة، والتعذيب، وإساءة تفسير القرآن، وتدنيسه، وهذه كلها عوامل من شأنها أن تؤثر في حرية الإرادة الشخصية.

لكن الذي يخفق الغربي في فهمه، على أي حال، هو أنه من غير الممكن أن نترك الله سبحانه خارج تلك المعادلة، فالبرنامج الحالي، بغض

النظر عن تصنيفه أنه برنامج التحالف الأمريكي أو البرنامج الغربي لأعداء الإسلام، هو في تحليله الأخير وفق القرآن الكريم برنامجٌ يقترح الحرب ضد الله.

وقد كشف القرآن الكريم عن برنامج هؤلاء وتخطيطهم، فالتمرد ضد أنبياء الله ورسله قد جرى عرضه، وجرى أيضاً الإعلان عن عواقب هذا التمرد في عبارات واضحة وجلية.

وفي النهاية فأنا مقتنع تماماً بأن هزيمة الإسلام معتقداً، وهزيمة المسلمين غير ممكنة أبداً، وسواء أكان القارئ يؤمن بالله أم لا، فهناك عامل شديد الوضوح، وهو أن إرشاد القرآن الكريم وتأثيره سوف يحثّ على مقاومة جميع أنماط التخويف والقوة العسكرية، ولن ينجح أي مستوى عنف نفسي أو جسدي في إشغال المسلم عن مصيره الحتمي، ولن تقنع أي دعاية غربية المسيحيين المخلصين بأن الحرب ضد الإسلام يمكن تسويفها، وسوف يبدأ المواطن العادي في العالم بوضع اللوم على قادته بسبب القلق من الهجمات «الإرهابية» الممكنة، والخوف من الطيران، أو قضاء العطلات في الخارج، وسوف يستمر موت الجنود الغربيين، وسيحتاج قادتهم ورؤساء وزرائهم إلى تغيير سياساتهم الحالية، أما قادة الجيوش الغربية فسوف يجبرون على تغيير سياساتهم العدوانية وإرجاع الجنود إلى بلادهم.

وقد تابعتُ عن كثب الدسائس الغربية والأمريكية على نحو خاص، ورأيت همجية القلوب الغربية، وشهدت نياتهم العنصرية الوضيعة والشريرة، وراقبت أفعالهم القاسية والعنيفة، ورأيت في وسائل الإعلام الغربية حجم غرور آلات حربهم، ولاحظت كيف قتلت تلك الآلات المسلمين بحقدٍ قاسٍ.

وتعجّبت أيضاً كيف أن القادة الغربيين أو أولئك الذين صوّتوا لهم يعدّون أنفسهم مسيحيين أو علمانيين أخلاقيين.

وراقبت كيف أوغر المسلم صدره ضد أخيه المسلم عبر خديعة فرّق تسد، وخاصة عندما نرى الخلاف العميق بين منظمتي فتح وحماس، حيث يقف بقية العالم ضد حماس، التي جرى انتخابها ديمقراطياً، وكيف كانت الفوضى التامة نتاج الحرب الدولية على العراق.

لكن التزاماً بمصداقيتي الاحترافية، وديني المسيحي، وفهمي لمصير المؤمنين وغير المؤمنين، كما يوضحه القرآن الكريم، فقد تمعّنت في أفغانستان والعراق وفلسطين، كما هي اليوم، وذلك بعيداً عن التحيز، وتحت غيوم الدعاية الغربية، وفي أزقة شوارعها، التي تملؤها الحروب، وخلال لعلعة العيارات النارية والفوضى العارمة، رأيت قوى مخلصة لله وللإنسانية ملتزمة ببرنامج مقاومةٍ فكرياً وروحانياً.

إنّ النص الذي أقتبس منه هو القرآن الكريم، كما ترجمه عبد الله يوسف علي إلى اللغة الانكليزية، كما أشير إلى الاقتباسات من القرآن خلال الإشارة إلى السورة، ورقم الآية الكريمتين، مثل «سورة البقرة، الآية 213»، وعلى مدار هذا الكتاب قمت بأخذ اقتباسات معينة أخرى من الإنجيل، وربما ترنّ هذه الاقتباسات في أودية الدموع مثل الصدى نفسه، الذي تحدثه آيات القرآن الكريم.

وإني لا أعتذر هنا عن الكتابة بكل صراحة، لأن الحقيقة يجب ألا تكون مؤذية، بل على خلاف ذلك، فالحقيقة يمكنها أن تشفي الأوجاع.

آرشي أوغسطين

جنوب إفريقيا- 2008م.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾.

(البقرة: 217).

الفصل الأول

الثروة والقوة والتكبّر:

يحذّرنا القرآن الكريم بعبارات واضحة وصريحة من أن رفض الاعتراف بمبدأ «إله واحد، وشعب واحد»، والسعي فقط وراء المصالح الشخصية أو الجماعية أو الوطنية مع احتقار كل ما عدا ذلك سوف يؤدي إلى الهلاك:

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (سورة النحل، الآية 22).

وهكذا، فإن رفض الإيمان بوجود الإله الواحد الذي هو إله جميع الخلق، ورفض الإيمان بيوم القيامة يؤدي بالنتيجة إلى التكبر، وإن محاولة التملق أو المنافقة، وكأننا مؤمنون، لن يحمينا في النتيجة:

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (سورة النحل، الآية 23).

(13❖مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ. 14❖مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. 15❖الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعاً الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ). — المزمور 33: 13-15.

إذاً فالإله يعلم كل شيء.

إنّ الدعاية الغربية التي تتغير مع تغير الأحوال المسيطرة، والتي تعرض صور شعب ضعيف مطواع وسهل الانخداع سوف تستمر بالإخفاق، حتى لو بدأت بذلك منذ شهر آذار عام 2003م.

لقد أخفقت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في إقناع العالم على نحو كبير بأن غزو العراق كان هدفه إزالة أسلحة الدمار الشامل أو تحرير شعب العراق، ولم يجرِ استقبال قواتهم بالورود والموسيقى الفرحة، بل بالأحجار والرصاص والقنابل المزروعة على الطرق، لقد أخفقوا في تخطيطهم، وقللوا من أهمية الحقيقة، وكشفوا نفاقهم ونيّاتهم الفاسدة.

تذكرت حزني للاغتيالات التي حصلت لعائلة كينيدي، ففي جنوب إفريقيا، كنا نتطلع إلى الديمقراطيين لإنقاذنا من نظام التمييز العنصري والسياسات الكريهة للتفرقة العنصرية، التي شكلت كرهاً كبيراً فعلاً، ولقد شهدنا عواصف الرصاص، التي استهدفت السود في شوارع «شارب فيل» و«لانغا» وبلداتهما، وكنا خائفين على أولئك المعتقلين من دون محاكمة، وقد جرى تصنيفنا بأننا شيوعيون، نهدد أسلوب الحياة المسيحي للحكام البيض وقبائلهم من المهاجرين والأوروبيين المشردين، وقد سمعت بوبي كينيدي في «دوربان» في جنوب إفريقيا، وقابلته في أثناء حوار في قاعة جامعة «ناتال»، وصافحتُ يد السيناتور الأمريكي، الذي كان من المتوقع كثيراً أن يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وبطلبٍ منه أخذنا نردد أغنية الحرية العالمية «سوف ننتصر»، وكان هذا السيناتور مقتنعاً على نحو حماسي بأن اضطهاد الناس الملونين كان عملاً خاطئاً، وكان مصمّماً على أن يرانا محررين، وأراد أن يشهد انهيار نظام التمييز العنصري، ووعد بقدوم اليوم الذي سوف يدمر به الله هذا النظام.

والأمر الأكثر أهمية هنا هو أن بوبي كينيدي عدّ أن جميع أنماط التمييز والتحيز خاطئة على نحو كامل.

لماذا إذاً أصبحت الولايات المتحدة اليوم داعيةً للحرب وساعيةً إلى إرضاء ذاتها وإرضاء مصالح بعض الجماعات الصغيرة؟، لماذا قامت بغزو

العراق في تحدٍ واضح لرأي المجتمع الدولي وفي انتهاك صارخ للقانون الدولي؟، لمَ أصبح المسلمون هدف الحقد الإعلامي وعرضةً للاتهامات المشكوك فيها؟، أين العالم الجميل الذي يمثله لويس في «ساتكمو»؟، أين ذاك الحلم والطموح والحافز والاتجاه؟.

لقد فُقد!، لقد استُبدل بهذا الحلم مغامرة جديدة ومغايرة، وتمّت حياكة الخَطط الشريرة بتفوق دولي وبإيعاز من السياسات الأنانية والسيطرة الوحشية، وقد سيطر الوحش الجديد على أراضي بلاد ما بين النهرين وأحالها إلى الدمار، وقتل العجائز والشباب والأطفال وسحقهم وشوههم، وترك الجميع للعيش من دون قانون إلا النفط طبعاً، كما جُرّدت المتاحف تماماً عن شواهدها وقطعها التاريخية، التي شهدت على حضارةٍ كانت يوماً ما حيّة وعصرية، عندما كان الغرب يعيش همجيةً، تشبه همجيته اليوم.

إنّ دمار العراق السادي لايزال حدثاً يشهد على حالة الصدمة وعدم التصديق، ومن السخرية أن نرى استيراد التصاميم المعمارية الإغريقية، لتوضع في مباني الحكومة الحالية في الوقت الذي لا تملك فيه الولايات المتحدة شيئاً، ولو ضئيلاً، من الجمال الفني لليونان القديمة، وليس عجباً أن نرى رئيس الوزراء البريطاني بلير، الذي كان طرفاً في التحالف قد واجه غضب المتظاهرين المعارضين للحرب، عندما اقتحموا السفارة البريطانية في العاصمة أثينا، حيث كان يحضر اجتماعاً تاريخياً للاتحاد الأوروبي لإقرار انضمام عشر أعضاء جدد إليه، ومن السخرية أيضاً أن نرى أن فرنسا، التي أهدت إلى الولايات المتحدة تمثال الحرية الشهير، كانت هي المنتقد الأكبر لقيام أمريكا بغزو دولة العراق ذات السيادة.

أنا أريد، وأنت تريد، والله يفعل ما يريد، كم من مرة سمعنا تلك الكلمات وقلناها، ولذلك عندما تؤمن الولايات المتحدة بأنها تقرر السياسات الرئيسة في العالم، وتشكل الحكومات أو تفككها، فإن

الاضطرابات نفسها التي تسببها في لعبة الشطرنج الدولية لها عواقب أيضاً، لأن هناك الكثير من اللاعبين على الطاولة، حتى ولو كانوا صغاراً، واللعب ضد العالم مختلف تماماً عن اللعب مع العالم، واللعب مع بعضهم وضد بعضهم الآخر هو معضلة على نحو متساوٍ، خاصة عندما تلعب للفوز بحصة على الطاولة الدولية.

ويأتي التكبر عادة، عندما يكون المرء مغروراً بثروته ومكاسبه المادية، لكن ماذا عن القوة العسكرية؟، إنها تشكل الدرع الحامية لكل تلك المكاسب المادية، فهي من جهة تتشكل عند الغنى والثروة، ومن جهة أخرى فهي إغراء قوي، تقود الأمم مثل سحر شرير إلى رغبة شديدة لامتلاك القوة من أجل القوة وتحقيق أكبر المكاسب.

يجني محرك الدمى بعض الأرباح من صنعته، وهو يحترف التسلية، ويستطيع أن ينتقد أيضاً، ويدلي بتعليقات سياسية، ويغير آراء الناس، ويخلق النزاعات، ويتلاعب بدُماه، ليخدم برنامجه الشخصي، ويمكن القوة العظمى أن تجعل الدول محركة للأحداث العالمية، وهكذا، فإن الولايات المتحدة بإدارة الرئيس بوش أصبحت محرّك دمى شرساً، وساهمت في خلق الاضطرابات وانتهاك سيادة الدول، التي أصبحت بمنزلة الدمى، وذلك لتحقق غرورها الشخصي، وتصل إلى السلطة المطلقة، التي يفرضها محرك الدمى الرئيس.

إنّ العظمة المكتسبة والمبنية على سيطرة السلاح والحرب هي عظمة مشكوك فيها، فهي ليست مبنية على قوة الشخصية والصلابة الحقيقية، بل على أساس قوة أسلحة الدمار الشامل، ولا تملك الولايات المتحدة أفضل الجنود في العالم، بل هي تملك في المقابل أفضل المعدات التكنولوجية المخصصة للحرب في العالم، وتعد قوتها الجوية مدمرة جداً، وإنّ عواقب قنابلها كارثية أيضاً، كما جُهّزت دباباتها الهجومية بالأسلحة المحظورة، كما أن جنودها عنيفون، فهم بشر نُزِعوا من الرحمة، وجرى توجيههم لتشغيل آلات القتل الحربية.

لكن، وبينما تتفاخر الولايات المتحدة بأرباحها المادية الهائلة، فلاشكّ أن موقفها المغرور والمتكبر يجب أن يُجابَه بعدم الصمت والتحدي، ولم تحشد الولايات المتحدة قط من قبل مثل هذه المعارضة الشديدة ضدها عالمياً، ولم تقم أيضاً بتوحيد المسلمين في العالم ضدها على هذا النحو، كما لم يتظاهر قط من قبل كلّ من المسيحيين والهندوس والناس من جميع الخلفيات الدينية وغير الدينية بهذه الأعداد الضخمة للاحتجاج على غزوٍ ما، كما فعلوا مع غزو العراق.

وفي ظل غمامة الغرور والتكبر هذه تؤمن الولايات المتحدة بأنه مادام العراق واحتياطاته النفطية أصبحت تحت سيطرتها الآن، فإنّ تدفق الثروات قد بدأ للتو مع وجود حقول نفط جديدة، لا تزال تنتظر السيطرة عليها باسم الحرب على الإرهاب أو التحرير، ويبقى حلم أمريكا بالسيطرة على العالم، والذي كان يواجه عائقاً من الاتحاد السوفيتي السابق فترة طويلة، حقيقةً واقعية مهما كانت مشوهة.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾(سورة الروم، الآية 41)، إنّ القرآن شديد الوضوح في حقيقة أنّ المادية هي أحد أهم منابع الشر الحاصل.

وفي سورة الكهف (من الآية 32 إلى الآية 45) نقرأ حكايةً عن رجلين، فرجل أعطاه الله حدائق العنب والتمر والنخيل وحقول الذرة ونهراً، والآخر لم يمتلك القدر نفسه، وقد أثمرت حدائق الأول بوفرة:

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ، (سورة الكهف، الآيات 34-35).

لكنّ الرجل الثاني الذي لم يمتلك كثيراً قال:

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾، (سورة الكهف، الآية 40).

وهذا ما حدث، فقد وقعت الكارثة على الرجل الأول، الذي كان غنياً ومتكبراً: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾، (سورة الكهف، الآيات 42-43).

ألا تُحدث هذه الآية الأخيرة صدى في التجربة التي نعيشها، وكأنها عبارة حقيقية ومنطقية؟، إنّ العالم كله يشعر الآن بالعواقب الاقتصادية لكارثة برجي التجارة العالمية في نيويورك.

ومنذ آذار عام 2003م، بدأ الاقتصاد الأمريكي بالتهاوي، كما بدأ اقتصاد الدول الغربية بالتدهور أيضاً، وظلّت خطوط الطيران المدنية راقدة في أراضيها، بينما كانت الطائرات الحربية والقاذفات تحلّق في سماء بغداد، وفي آب من عام 2006م جرى الكشف عن مؤامرة مزعومة في بريطانيا، كان هدفها تخريب الطائرات الأمريكية والبريطانية.

نعم، يمكن الأحوال أن تتغير وتتبدل من خلال العوامل المؤثرة الكثيرة، التي تؤثر في صنّاع القرار، ومعروف أن القوة لا تولد إلا القوة المجابهة، سواء كانت اقتصادية أم سياسية أم أي شيء آخر، وتنمو المقاومة من الداخل والخارج، ففي آذار عام 2003م قامت فرنسا وروسيا وألمانيا، اللواتي كن سابقاً دولاً حليفة، بقطع هذا التحالف، وابتعدت عن الطموحات الأمريكية في العراق، وتراجع أولئك المنشقون في جبهة الأقوياء بدافع من ضميرهم وخوفاً من المعايير الحضارية ومن عواقب المقاومة، كما قام الفلسطينيون الذين لم يكن لديهم شيء ليخسروه

بتكثيف جهودهم للضغط على إسرائيل، واستعرض حزب الله عضلاته على الحدود مع إسرائيل، وحذّرت كوريا الشمالية الأمم المتحدة والولايات المتحدة بأنها سوف تضطر إلى الدفاع عن نفسها في ظل الاعتداءات الأمريكية، وأخيراً دانت الدول غير المتحالفة، والتي زاد عددها على المئة، الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق.

وشهد حزيران من عام 2003م تلميحات خبيثة، صدرت من الإدارة الأمريكية برئاسة بوش ضد إيران، ووجدت إيران نفسها تدين الانتقادات الأمريكية، أما الولايات المتحدة فقد استمرت في سعيها إلى إصلاح الشرخ السياسي مع أوروبا، وهكذا وقفت فرنسا وأمريكا على أنهما الطرفان المتصالحان، لكن لم يعبّر رئيسا البلدين عن أي إشارة تدل على تصالحهما الفعلي.

لقد أصبحت الولايات المتحدة أمّة منبوذة مثل جنوب إفريقيا العنصرية سابقاً، وهدّد العراق بأنه في حال الهجوم عليه سوف ينشر الحرب إلى أطراف العالم أجمع في «الجو والبر والبحر»، وحذّرت روسيا تحديداً من أنّ هذا الهجوم المقترح على العراق سوف يشجع على «إرهاب» أكبر، وليس منعه، هل كانت ستصبح حرباً ضد الإرهاب أم حرباً استنزافية؟، لقد كان العالم مستعداً لتقبّل النظرة الثانية، ماعدا الولايات المتحدة.

وهاهي بريطانيا مستهدفة في تركيا في تشرين الثاني عام 2003م، كما شهد عام 2006م هجوماً آخر على السياح في تركيا، وانضم الجنود الإيطاليون إلى قائمة الموتى في العراق، وبلغ عدد الهجمات على الجنود الأمريكيين 35 هجوماً يومياً، رافعة بذلك حصيلة القتلى الأمريكيين في العراق على نحو مطرد، حيث تجاوزت في آب عام 2005م ألفي قتيل، وعدداً لا يحصى من الجرحى، وعادة ما تتجاهل وسائل الإعلام الغربية تحديث أرقامها، لكن مع حلول عام 2008م جرى شحن أكثر من 4000 جثة إلى الولايات المتحدة جواً، ما يشير إلى تلقي هذا المشروع ضربة موجعة.

ومع قدوم شهر آب عام 2006م، أصبح العراق غارقاً في مستنقع عنف جدّ خطير، وخاصة خلال الصراع الديني الطائفي، الذي ترافق مع المقاومة ضد احتلال قوات التحالف، وقد بقيت القوات الأمريكية والبريطانية والنظام العراقي، الذي ولد بمباركة الخيانات الأمريكية، غير قادرة على احتلال العراق على نحو قوي.

ومع قوة الدعاية الأمريكية صُورت الولايات المتحدة وبريطانيا دولاً مثيرة للحروب، كان غرضها من غزو العراق السيطرة على مصادر النفط فيه، ويُصوّر تحرير العراق بأنه عذر لوضع حكومة عراقية موالية لأمريكا، حيث يكون الشعب العراقي آخر اهتماماتها، وقد أخفق سيناريو أسلحة الدمار الشامل في توليد الشك في وجودها، واستنتجت شعوب العالم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي من ولّدت هذا الشك، وليس العراق، فقد أخفق مفتشو الأسلحة التابعون للأمم المتحدة في العثور على أي أسلحة للدمار الشامل، ومع ذلك نجد بلير وهو يصرخ أمام مجلس الوزراء البريطاني قائلاً: «هذه حقيقة، وكلنا يعلم بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل»، وهذا ما تحوّل الآن إلى صوت أخذ يقع على مسامع الآذان الصمّاء للمجتمع الدولي، وفي تموز عام 2003م تعرض بلير لانتقادات شديدة في البرلمان البريطاني بسبب الاتهامات بتزييف التقارير الاستخباراتية، التي جرى تقديمها لتشجيع قضية الحرب ضد العراق، وفي عام 2005م أدرك العالم كله كذب الادعاءات البريطانية أن العراق كان لديه القدرة على إنتاج صواريخ كيميائية في غضون 45 دقيقة، وكان من معروفاً أنه حتى قبل بدء الغزو من الأراضي الكويتية مدة طويلة سبقت وصول القوات الغازية إلى بغداد، كان بوسع صدام حسين أن يدمر هذه القوات فور انتشارها في الكويت، لو امتلك تلك القدرات فعلاً، لا يستطيع أي حاكم سياسي أن يعدَ جنوده ببساطة المهمة، إذا كان مؤمناً بالدعايات الزائفة التي ينشرها، وهكذا نستطيع أن نستنتج أن بريطانيا

والولايات المتحدة كانتا على علم تامٍ بأن العراق لم يمتلك أي قدرة صاروخية حقيقية، وقد ثبت زيف ادعاءات قوات التحالف حتى قبل أن يطأ أي جندي الأراضي العراقية، إذاً مع حلول عام **2006**م خرج بلير من المعادلة، وأطاح الديمقراطيون بالجمهوريين في الانتخابات الأمريكية، وأصبح بلير في عام **2007**م في عداد السياسيين المنسيين.

الكل يعلم الآن بأن الحملة على العراق كانت للسيطرة على الحقول النفطية العراقية، أما ما يتعلق بالممارسات الاقتصادية الجائرة، ومنها الطرق الخرافية المستخدمة لتحقيق التفوق الاقتصادي، يخبرنا القرآن الكريم عن أهل الحديقة، الذين قرروا على نحو غير عادل جمع ثمار الحديقة في الصباح على حساب الفقراء والضعفاء:

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾، (**سورة القلم، الآية 24**)

إنّ طمع القوات الغازية لم يحسب أي حساب للفقراء، أما السياسات المغرورة التي وصلت إلى إقصاء كل مصالح الآخرين فهي مذكورة بإسهاب في الآية الكريمة السابقة، فالسياسات الاستعمارية في الماضي والحاضر مبنية على محاولة حصد كل ثمار الحديقة على حساب بقية دول العالم أجمع، لقد تجاهل «أهل الحديقة» مسؤوليتهم أمام الله وأمام الجنس البشري.

لكن الله سبحانه يملك خططاً وطرقاً أخرى:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾، (**سورة القلم، الآيات 19-20**) ، وفي الصباح التالي، وأمام هذا الخراب الذي وقع، أدرك أهل الحديقة أخطاءهم قائلين:

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾، (**سورة القلم، الآية 29**) .

(38❖إنْ كَانَتْ أَرْضِي قَدْ صَرَخَتْ عَلَيَّ وَتَبَاكَتْ أَتْلاَمُهَا جَميعاً. 39❖إنْ كُنْتُ قَدْ أَكَلْتُ غَلَّتَهَا بِلاَ فضةَّ أَوْ أَطْفَأْتُ أَنْفسَ أصْحَابهَا. 40❖فَعوَضَ الْحِنْطَة لِيَنْبُتْ شَوْكٌ وَبَدَلَ الشَّعير زَوَانٌ). — ايوب 31: 38 / 40.

إنّ قصص الحدائق تلك هي مثال واضح للعيان عن أفعال وممارسات الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين تتهمان بالاستعمار الاقتصادي، والاستخدام المفرط للقوة الغاشمة والمتطرفة، وإرهاب دول العالم وتخويفه، وخاصة ارتكاب جرائم بحق الشعوب، التي تنحدر من أصول غير أوروبية، والشعوب المسلمة، وعلى أي حال، متى سوف تدرك هاتان الدولتان الأخطار التي ترتكبانها، وتعلنان أمام العالم: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾؟، هل سيحدث هذا فقط عندما تصبح الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً أرضاً «كالصريم»، حيث «تنمو الأعشاب الضارة والشوك»؟، لقد عاش الاقتصاد الأمريكي انكماشاً اقتصادياً في عام 2008م، وزادت أسعار النفط المرتفعة كلفة الغذاء عالمياً، وأصبح الرئيس الأمريكي بوش، الذي رفض المخاوف التي أبداها شركاؤه من دول الشرق الأوسط، التي لم تبدِ معارضة لغزو العراق، في موقف حرج، حيث وجب عليه أن يتملق تلك الدول، لكي تزيد إنتاجها النفطي، حتى تنخفض أسعار النفط، وقد واجه بوش اتهامات بأن الإنتاج كان كافياً، ولكن شركات النفط أخذت تتلاعب بالأسعار، واستنكر كريس هاني، وهو عضو الكونغرس الوطني الإفريقي الذي جرى اغتياله، التلاعب غير المتناهي بالأسعار، وشجب «الرأسمالية الوحشية»، وتعاني جنوب إفريقيا اليوم، وهي بلد هاني المحبوب، غلاء المعيشة بسبب صعود أسعار النفط المطرد.

يحذّر القرآن الكريم من المكاسب التي يجري الحصول عليها بطرق غير مشروعة، مؤكداً أن تلك المكاسب ليست أرباحاً حقيقية لأصحابها،

ويعد القرآن الكريم بأن الصدقات، التي تقدم لوجه الله تتضاعف قيمتها، وتزيد أيضاً قيمة أصول أموال المتصدقين.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾، (سورة الروم، الآية 39) .

إنّ الاستعمار الاقتصادي، الذي يتحقق بالصراعات والمكائد، لا يمكن أن يخدم المحتل، ولن يحقق القيمة الاقتصادية للبضائع والمواد المسلوبة ربحاً للمغتصب، ربما قد تفوز آلة الحرب في النهاية فعلاً وتحصل على جميع المناطق الخصبة والثرية، لكن كما يعد القرآن الكريم، فمن الممكن جداً أن تصبح هذه الحديقة «كالصريم» بقدرة الله سبحانه وتعالى.

إنّ ملامح الجشع والقوة والعجرفة والتكبر هي بمنزلة لوحة مرسومة لنا في هذه الآيات السابقة، وهذه هي ملامح دول العالم الأول، وبخاصة تلك التي تخص الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، وصورة الإسلام اليوم، أكثر من أي وقت مضى، قد جرى التقليل من شأنها، كما سعت وسائل الدعاية الغربية إلى تشويه هذا الدين، بأنه ينتمي إلى ثقافات قديمة وغير حضارية، أليس عجيباً أن يخاطب القرآن الكريم الانتقادات ذاتها، التي رُدّدت على نحو درامي منذ أحداث الحادي عشر من أيلول المأساوية؟، والتي اتُهم بارتكابها المتطرفون المسلمون، أليس عجيباً أيضاً أنّ الآراء العلمانية بزمن الرسول الكريم محمد، وقبله المسيح، قد كررت الآراء نفسها تماماً؟، هل وصل هذا التناقض بين العلمانيين والمتدينين إلى درجة كبيرة، أصبحت معها العلمانية تعادي الدين بحصانة غير مسبوقة؟، حيث تُحمل على سفن الحرب، التي تناست أنها تمخر مياه البحار ذات المعجزات الواضحة للعيان.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾، (سورة لقمان، الآيات 31-32).

إذا أصرّ قادة العالم على استخدام العلامات نفسها، التي تدل على عظمة الله وعلى خلقه لشنّ الحروب وبدء الشرور في العالم، فهل يمكن الشعوب التي عبّر معظمها عن تدينها وإخلاصها لله ألا تضطرب من انتهاك معتقداتهم الجوهرية وتدنيسها؟، أم غيّرت تلك الشعوب إخلاصها، وأصبحت تتملق الإله فقط؟.

لكن حتى من رؤية غير دينية، هل يعد استخدام مصادر الأرض الطبيعية لتدمير الأرض ومن عليها عملاً أخلاقياً؟، وإذا كانت رؤية العلمانيين وغير المؤمنين، أو المنافقين، تقول باستخدام جميع المصادر المتوافرة على هذه الأرض لبناء آلات الحرب وأسلحتها واستعمالها على نحو عشوائي في سبيل المنفعة المادية، فإن عصرنا إذاً همجي بكل تأكيد، وهو عصر الوحشية المطلقة، هل يعد التسلح الديني وإعادة التسليح السبيل الوحيد لإنقاذنا من هذه الهمجية، وإعادتنا إلى الحالة المتحضرة للإنسانية؟.

يجب علينا أن نتذكر ما يلي:

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، (سورة النحل، الآية 26).

إن إساءة استخدام الثروة يذكّرنا بقصة قارون (أو كورا في الإنجيل):

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، (سورة القصص، الآيات 76-77).

لقد آمن قارون بأن ثروته الهائلة لم تكن بفضل الله سبحانه، ولكنه عزا الحصول على هذه الثروة إلى قدرته وعلمه ومهاراته، وهو آمن أيضاً بأن اكتفاءه الذاتي قد جعله قوياً من الناحية المادية، وبالغ في التباهي بغروره العلماني.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ، (سورة القصص، الآيات 78-79).

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾، (سورة القصص، الآية 81).

إنّ قصة قارون مرتبطة بالبحث عن الثروة والسلطة، ليس فقط لدى قادة الدول وقادة الحروب، لكن أيضاً فيما يتعلق بدول العالم، ليست الديكتاتوريات والدول المستبدة في تصنيفٍ وحدها بمعزل عن الدول، التي يطلق عليها ديمقراطية، لقد أثبت غزو العراق أنّ فئة تنفيذية صغيرة من دون الشعب هي التي تقرر الأعمال الديكتاتورية الرئيسة وتنفذها، والاستفتاءات الشعبية ليست مطلوبة لأخذ القرارات الحاسمة، التي لا تؤثر فقط في دولة معينة وحدها، ولكن تؤثر في المجتمع الدولي برمّته، وهكذا يجري ابتكار العبارات لتسويغ أفعال غير مسؤولة، ويشار إلى الدول ذات السيادة بأنها «أنظمة».

يمجّد قادة الحروب الدولية قيمهم وصفاتهم الفردية ومُثُلهم الديمقراطية المزعومة، وقد أثارت الولايات المتحدة المشكلات ضد

العراق في قضايا تخص ميثاق جنيف، حتى في أثناء غزوها غير الشرعي للعراق، وتجيز أمريكا أيضاً خيانة العراقيين المنفيين، وما يمكن عدّه إرهاباً دولياً بسن تشريعات أمريكية لمصلحة تغيير النظام الحاكم في العراق، وهكذا ولأن الولايات المتحدة لديها تشريع يمول برنامجاً لزعزعة استقرار الدول ذات السيادة، فإن خيانة المنفيين لبلادهم، والإرهاب الدولي الذي تقوم به أمريكا هو عمل مشروع بطريقة أو بأخرى!، كيف يعد هذا العمل شرعياً؟، ومع ذلك لم يكن للأمم المتحدة أي مشكلة فيما يتعلق بشرعية هذا الفعل.

تحاكم القوات الغازية العراقيين بتهمة ارتكاب جرائم حرب، ولكن هذه القوات الغازية الأمريكية ذاتها هي التي نأت بنفسها عن الاعتراف بمحكمة العدل الدولية، وهكذا إذاً يكون الجيش الأمريكي معفى من المسؤولية الدولية، لكنّ الآخرين مسؤولون، وعلاوة على ذلك، فإن الدولة التي تنوي محاكمة مجرمي الحرب هي نفسها خارج حدود القانون الجنائي الدولي.

لقد وجدت الولايات المتحدة أن الأفغانيين المحتجزين في خليج غوانتانامو محتجزون على نحو غير شرعي أمام القانون الأمريكي، وغير مشمولين بحماية القانون الأمريكي، لأنهم ليسوا محتجزين على أرض أمريكية، إذاً فإنّ الدولة الديمقراطية العظيمة ومحررة الشعوب وحامية حقوق الإنسان مقتنعة باحتجاز «المحاربين غير الشرعيين» خارج الولايات المتحدة بعيداً عن أي سلطة قضائية لمحكمة قانونية، ويجب تذكر حقيقة أن الغرب قام بغزو أفغانستان والعراق، ثم ادّعى عدم شرعية كل من عارض هذا الغزو، لذلك ومن أجل أن نكون عاقلين، يجب ألا يجري تسخير القانون لتسويغ الأعمال التي تعد غير شرعية على نحو واضح وصريح، أليس واضحاً للعقلاء أنّ أي قطعة أرض تحت سيطرة الولايات المتحدة الحصرية، سواء بالاستئجار أو بأي طريقة

اخرى، هي تحت السلطة القضائية للمحاكم الأمريكية، أو سوف تعد كذلك منطقياً؟، ويستمر الجدل، ويبقى سؤال واحد فقط من دون جواب، إذا عددنا أنّ غزو أفغانستان كان تحت مظلة شرعية الأمم المتحدة، فلماذا إذاً تشعر الولايات المتحدة بأنّ لها الحق في إدارة اعتقال سجناء الحرب الأفغانيين ومحاكمتهم؟.

إنّ الدول التي تسمّي نفسها ديمقراطية تدّعي أنها تدعم حقوق الإنسان، ومع ذلك ما زلنا نسمع المرّة تلو الأخرى عن تعذيب المعتقلين الجسدي والنفسي، وولدت عبارة جديدة هي «التسليم الاستثنائي»، التي تعني في عصرنا هذا أفعالاً غريبة، تتضمن الاختطاف السري واحتجاز الأشخاص في سجون سرية، حيث يمكن إخفاء آثار التعذيب وحالات الموت بحرقها أو وضعها في مقابر مجهولة.

من السهل على الولايات المتحدة أن تنكر كل هذا، لكن قبل عدة أسابيع من هذا الإنكار صدر اعتراف صريح من رئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» بأن تلك الأفعال كانت تمارس من الولايات المتحدة، وقد صرح بلير بهذا في خطابه أمام برلمان جنوب إفريقيا، وكنت محظوظاً برؤية خطابه على التلفاز. وقد أجبرت المحكمة العليا في جنوب إفريقي ا وزير الشؤون الداخلية بالكشف عن مكان سجين جرى اعتقاله واختطافه خلال التسليم الاستثنائي، وأصبح واضحاً أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تعمل بإرادتها في جنوب إفريقيا التي أصبحت متملقة للولايات المتحدة بسرعة.

إنّ الشخصية المذكورة في الإنجيل، والتي تقابل شخصية «قارون» في القرآن الكريم، كانت قد ثارت على موسى وهارون بحجّة أن وضع قارون الاجتماعي والشهرة التي حققها بين الناس أعطته الحق في أن يماثل مستوى أقدس الناس وأكثرهم ورعاً، لقد ادّعى قارون أنه قام مع أتباعه بحرق البخور عند المذبح المقدس، وهي وظيفة كان يقوم بها الكهنة فقط،

وهكذا فإن قارون، تماماً مثل إدارة الرئيس الأمريكي بوش، توهّم بأنه المحرر الورع لشعوب الأرض، ما جعله أسمى من أوروبا وبقية دول العالم.

مع ذلك، أين الاختلاف فيما يتعلق بأخلاقية هذه القضية وشرعيتها، في الوقت الذي نرى فيه على إحدى شاشات التلفزة الموالية لأمريكا صورة جورج بوش قد وضعت فوق صورة صدام حسين على بلاطة صلبة في شارع عراقي؟، حسنٌ، ولكن ألا يظهر مثل هذا العمل حقيقة الأمر؟ ألا تمثل كلتا الشخصيتين البشاعة نفسها؟، أليس الغازي بأبشع من ذلك الذي غزاه؟.

تعد الثروة وسيلة لتطوير آلات الحرب، وبتلك الآلات تملك الدول القدرة على السيطرة على مزيد من الثروات، إنّ قصة قارون في القرآن والإنجيل تشبه مغامرات الولايات المتحدة، فالأمريكيون يستفيدون من تلك الثروات، التي جرى الحصول عليها على نحو غير شرعي على حساب أرواح البشر والإهانة النفسية والصدمات والتدمير، وهم يهللون للانتصارات، ويغدقون قصائد المدح على سيادة الرئيس.

من المعروف أنّ صدام حسين علّق المئات من صوره وتماثيله على جدران المدن والبلدات، لكنها على الأقل كانت في العراق فقط، لكنّ صورة الرئيس الأمريكي بوش تعرض على الملايين من شاشات التلفزة العالمية، وهي بالنتيجة تعرض في ملايين المنازل في العالم، قد يقول الكثيرون إن بوش هو «صدام الغرب»، خاصة مع تهديداته المتبجحة وغروره وتباهيه.

إنّ صورة بوش الدولية كانت لرجل مهووس بالسلطة والكبرياء المغرور، والصورة التي يراها العالم هي لقاطع طريق جاهز لاستخدام آلات الحرب ضد الدول التي لا تملك مقدرة مماثلة على الدفاع عن نفسها، ألا يجعل هذا التعالي بوش على فرنسا وروسيا والمجتمع الدولي

برمّته رجلاً أخطر من صدام حسين؟، هذا هو السؤال المخيف، لكنه السؤال الذي تتداوله ألسنة العامة.

ونذكر هنا النصيحة التي أسداها لقمان إلى ابنه، والمذكورة في القرآن الكريم:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾، (سورة لقمان، الآيات 18-19).

إنّ تحالف الولايات المتحدة المزعوم في غزو العراق كان في الحقيقة شراكة مع بريطانيا، أما الشركاء الآخرون فهم فقط متطفلون، وليس لهم أي وجود في المجتمع الدولي.

وفي هذا السياق يجب ملاحظة أن عدد أتباع قارون كان 250 شخصاً وحسب، لكنه عزا إلى نفسه هذا المجد الفارغ، وإن عدد سكان الولايات المتحدة وبريطانيا مجتمعتين هو أصغر من أتباع قارون مقارنة ببقية سكان العالم آنذاك.

وعلينا هنا أن نتفكر في نصيحة بولس، التي أسداها إلى تيموثاوس أو تيموثي في رسالته إليه:

(1❖وَلَكِن اعْلَمْ هَذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، 2❖لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ، 3❖بِلاَ حُنُوٍّ، بِلاَ رِضىً، ثَالِبِينَ، عَدِيمِي النَّزَاهَةِ، شَرِسِينَ، غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلاَحِ، 4❖خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلَّهِ، 5لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤُلاَءِ)،- تيموثي 3: 1- 5.

أتذكر هنا الأزمة الكوبية والمواجهة بين الولايات المتحدة وروسيا، ويمكنني دوماً أن أستحضر صورة الرئيس كينيدي في خطاباته. لقد كانت الشيوعية هي الخطر على العالم الغربي، وعندما اختفى هذا التهديد، بدأ جيمي كارتر بإذابة الجليد بين الدولتين.

ماذا كان الخطأ إذاً في الوقت الذي كان كل شيء مثالياً لأمريكا؟، عندما كان موضوع نزع السلاح العالمي هو الأبرز في ذلك الوقت، تتحدث الولايات المتحدة اليوم عن أنظمة دفاعية محسّنة وجديدة، وعندما بدأ العالم يهتم بموضوع البيئة، وفهم مدى خطورة ثقب الأوزون على الغلاف الجوي، تراجعت أمريكا عن الالتزام العالمي لتخفيف مقدار التلوث، لأنه سوف يؤثر في الاقتصاد الأمريكي سلبياً، عندما طالب الفلسطينيون بشدة بتدخل قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، عارضت أمريكا هذا الطلب، وعندها فهم العالم أجمع أن هذا يعني إعطاء الضوء الأخضر لإسرائيل باضطهاد الفلسطينيين، وعندما انعقد مؤتمر عالمي في جنوب إفريقيا لمناقشة قضية التمييز العنصري، سعت الولايات المتحدة لتجنبه، لكن بعد أن حضرته قامت بالانسحاب تضامناً مع إسرائيل، ما أظهر الشراكة التقليدية بين الدولتين، التي مثّلت إخفاقاً محزناً لما يتعلق بالتصرفات الدولية الحكيمة.

لم يمثل هذا العمل غرور الشعب الأمريكي، الذي عادة ما يعيش حياته اليومية، ويصبّ جل اهتمامه على الاهتمام بالعمل والعائلة وتحقيق مستقبل أفضل، لقد ترك الشعب الأمريكي التعامل مع قضايا العالم لحكومته، ومع ذلك نرى أن طبيعة الديمقراطية في ذاتها تسمح لبضعة أشخاص بالتحكم بحياة الملايين، وحتى إنه في بعض الأحيان تكون قرارات أولئك الأشخاص ليست في مصلحة الشعب، إن الديمقراطية تسمح بوجود الاستبداد.

عندما نقوم بربط أسماء معينة بالمناصب العامة مثل منصب رئيس الوزراء أو الرئيس، فإن أولئك الذين يتسلمون تلك المناصب يستلمون أيضاً

مسؤولياتها، ولم يكن الغرض قط من أي منصب عالٍ أن يجذب إليه السلطات الفردية، أو أن يصبح كرسي السلطة لمجموعات مستفيدة للتلاعب به، لكننا نعلم مع ذلك حقيقة عدم الشرعية والطموحات الفردية والجماعية التي تجرى مواءمتها خلال العملية الديمقراطية ذاتها.

لقد ترك لنا تاريخ مصر القديم الأهرامات المبهرة، لكن أهمية الأهرامات لا تكمن في معجزة بنائها العظيمة، إنها ترمز في الحقيقة إلى المعنى السلطوي الزائف الذي نسبه الفراعنة إلى أنفسهم، ومن دون المال الضروري للحفاظ على هذه الأماكن السياحية سوف تختفي الأهرامات، وتصبح تراباً منثوراً، وماذا عن الفراعنة؟، إن قبورهم هي معالم كبيرة تمثل السلطة والكبرياء وعدم العقلانية، إن الأبنية العالية والضخمة ليست رموزاً فقط، فالأهرامات كان لها معان نفسية، حيث أظهرت عقلية الفرعون وغروره، وكيف عدّ نفسه عظيماً وجباراً، تفوق قدرته الرجال، إذا كانت المعاني التنجيمية مهمة، وإذا كان الأساس البنائي للأهرامات قد سمح لأرواح الفراعنة بالرقي إلى الكون مثل البرق، فإنهم بلاشك محظوظون.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، (سورة القصص، الآيات 39-40).

إنّ الاستكبار والغطرسة بغير الحق هي صفتان تنبعان من القوة الاقتصادية والعسكرية:

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾، (سورة النحل، الآيات 22-23).

﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾، (سورة النحل، الآية 25).

يجب علينا ألا ننسى أبداً أنّ الحكومات والكونغرس والوزارات واللجان تتألف جميعها من أعضاء من البشر، ربما يكون بعض منهم مثل داوود المذكور في الإنجيل في أفعالهم، وقد يكون بعضهم الآخر مثل الفراعنة، ما خلفيات أعضاء الكونغرس والسياسيين الهامين، والذين يعملون وراء الكواليس، ورؤساء الوزراء والرؤساء؟، ليس على أولئك أن يتبعوا خلفيات دينية أو أخلاقية مثبتة، وليس عليهم أن يخضعوا لأي تقييم نفسي أو عقلاني لتحديد قدراتهم الإجرامية أو السيكوباثية أو العدائية الممكنة.

أي شخص ينتمي إلى العائلة التي تملك السلطة، أو أي شخص لديه معارف واسعة وثروة وفيرة يستطيع أن يحوز مقعداً في المناصب العليا، إن هؤلاء الرؤساء ورؤساء الوزراء لم يعيّنوا بأمر من الله، وقد رأينا في التاريخ سجلاً مؤسفاً لمثل أولئك القادة، مثل نابليون وهتلر اللذين سعيا إلى السيطرة على العالم.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾، (سورة محمد، الآيات 22-23).

إنّ القادة الذين ابتعدوا عن السمو الروحاني قد ابتعدوا حقيقة عن الله، وأداروا ظهورهم للأخلاق الدينية.

يخبرنا تاريخ الاستعمار بأن الكثير من السلاطين والقادة امتلكوا الطموحات نفسها، نحن البشر لم نتغير ولم نتعلم، وإذا استخدمنا عبارات جنائية، فنحن نستخدم جميع وسائل التحريض والفساد والكذب والتخويف والسرقة المسلحة واللصوصية للوصول إلى الفخر

الوطني، وأولئك البشر المسلحون على نحو كامل بوساطة قوى الحكومات يتبعون كل العمليات، إن فراعنة اليوم موجودون بكل تأكيد، وتنتشر أهراماتهم في كل مكان.

ويحذّر القرآن الكريم من التالي:

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، (سورة التكاثر).

إنّ الولايات المتحدة التي تنعم بأشياء أكثر كثيراً من بقية دول العالم نسيت حقيقة أنّ الله تعالى هو الذي يبقي هذه النعم، والأعمال التي تقوم بها أمريكا تثبت جحودها لله، وحتى لدى الملحدين فهو جحود وخيانة للأخلاق والطموحات العلمانية، التي خصصت للأخلاق التي أوجدها الإنسان، إنها خيانة لمصالح البشرية كلهم.

يرتبط الحلم الأمريكي بتحقيق الثروة على نحو وثيق، والثروة هنا تعني تحقيق الأرباح والتحكم الكامل بالاقتصاد العالمي لمصالح أمريكا الشخصية والأنانية والثروة بالسرقة والحرب المفتوحة والغزوات والغارات والمواجهات العنيفة، بعد أفغانستان والعراق هل ستستدير الولايات المتحدة تجاه إيران وسورية والسودان والصومال؟، حيثما يكون النفط، أو حينما لا يكون مزود النفط خاضعاً لإرادة أمريكا وبريطانيا، فإن هذه الدولة سوف تُغزى بطريقة أو بأخرى، لكن من سيستفيد؟، جميع الأمريكيين، أم القلة المختارة؟، في حزيران من عام 2003م لم تصبح حقول النفط تحت سيطرة الإدارة الأمريكية وحسب، لكن العراق أضحى مديناً للغزاة بمقدار 160 مليار دولار بسبب الحرب وديون الإصلاح، أما كلفة إعادة الإعمار فأضافت ديناً بلغ 120 مليار دولار،

وروسيا الآن مستعدة للذهاب إلى محكمة العدل الدولية في حال خسرت العقود التي وُقعت مع حكومة صدام حسين، ليس هناك أحد مستثنى من طمع المستعمرين، فمع حلول عام 2008م سوف تكون تكاليف ما يسمى أضرار الحرب قد تضاعفت أربع مرات من دون احتساب الفائدة، وفي خضم هذه الفوضى العارمة قامت الحكومة العراقية بتوقيع الصفقات النفطية، التي حققت مكاسب غير مسبوقة للشركات الأمريكية. لكن النفط لم يتدفق، وارتفعت أسعاره على حساب دول العالم.

تلك هي الحدائق التي كانت الولايات المتحدة تأمل أن تقطف ثمارها، ولا تبقي أي شيء للبقية، لقد كانت الثروة وسيلة لضمان تحقيق هذه القوة الاقتصادية والعسكرية الضخمة، وهذه القوة نفسها تسعى إلى ضمان الحصول على مزيد من الثروات والوصول إلى السيطرة العسكرية والنفسية على العالم أجمع.

ويتعجب المرء بناء على الحقيقة المثبتة والمعروفة سابقاً من أنه إذا كانت الولايات المتحدة تملك أكبر قوة عسكرية قتالية (على الأقل من ناحية التجهيزات الحربية) في العالم، فلماذا إذاً تحتاج إلى نظام دفاعي مطوّر؟، هناك الكثير من الفرضيات.

أولاً تخاف أمريكا من أعدائها الذين قد يهاجمونها بالصواريخ، لكن من يكون هؤلاء؟، من المؤكد أن العراق لم يملك أي صواريخ، يصل مداها إلى الولايات المتحدة وتدمرها، ولا تملك أي دولة إسلامية أخرى مثل هذه القدرة، إذاً من أولئك الأعداء المجهولون؟.

الفرضية الثانية هي أن أمريكا توقعت وعلمت على نحو كامل أن نيتها السيطرة على العالم وسياساتها التوسعية، خاصة من حيث أن حكومات الدول الموالية لها تضيف ولايات جديدة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قد تساهم في إنشاء قوة معادية تقرر مهاجمتها، لقد ضحك فلاديمير بوتين

في حزيران من عام 2007م من التهديد المزعوم الذي شكلته إيران على الولايات المتحدة، لكن هل هناك الآن خوف حقيقي من ردة فعل عنيفة، لا تأتي على نحو ضروري من دولة ما، لكن من حركة مقاومة؟، هل سمع بوش في الأخبار بأن رئيس الشرطة البريطانية اقترح عقد حوار مع القاعدة؟، هل يقف الغرب على رجليه مخافة خطر محدق؟.

تقول الفرضية الثالثة إن هذه الأنظمة الدفاعية قد تُستخدم في حقيقة الأمر كأنها أنظمة هجومية، فهل تعد أوروبا آمنة من الولايات المتحدة؟، تعارض روسيا والصين الخطط الأمريكية بوضع صواريخ دفاعية في أوروبا، ومع ذلك أشارت أمريكا إلى أنها سوف تقدم على نشر تلك الصواريخ، هل سيشعل هذا العمل فتيل سباق تسلح بين الولايات المتحدة والصين وروسيا في حرب باردة أخرى؟.

إنّ عشق أمريكا للثروة هو عشق عارم على نحو مؤكد، كذلك الأمر بشأن القوة السياسية والعسكرية، ويظهر هذا العشق في الصورة الدولية لإدارة بوش، وانشغالها بالسلطة العلمانية البيضاء ونفاد صبرها على الشعوب الملونة والاعتقادات الدينية المختلفة، والأهم هنا عدم صبرها على الشعوب المسلمة، التي تشكل القوة الدينية المؤثرة الوحيدة حالياً، وعندما تخفق الخديعة والدعاية الكاذبة ضد المسلمين، يحين الوقت لتلوح الولايات المتحدة بقوتها العسكرية.

نحن نرى الصورة الدولية لتلك الإدارة، لكن الذي لا نراه هو رد فعلها في السر على أخبار التدمير الشامل، الذي تسببه قاذفاتها وقنابلها، وعندما نقرأ القرآن الكريم نرى ما يلي:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾، (سورة المطففين، الآيات 29-30-31).

لقد بالغت الإدارة الأمريكية في تهديداتها للعراق، مفتخرة بأن أمريكا هي القوة العسكرية العظمى في العالم، ووقفت مثل رعاة البقر، الذين يظهرون في الأفلام الأمريكية الرخيصة، وهي راضية تمام الرضى عن صورتها، حتى إنها أخفقت في رؤية السخرية والاحتجاجات الدولية ضدها، وهي تماماً تلك الصورة التي أدّت إلى الانشقاق مع دول أوروبية مثل فرنسا وبلجيكا وألمانيا وروسيا، التي استوعبت برنامج أمريكا المريب والمشبوه.

وكيف يستجيب الشعب الأمريكي لكل هذا؟، هل هم مسرورون لرؤية المواطنين الأبرياء الذين جرى تسميتهم حديثاً «غير مقاتلين»، وهم يُقتَلون من دون أي سبب؟، هل يلاحظون أن غير المسلمين يوصفون «بالمواطنين الأبرياء»، بينما يجري وصف المسلمين بأنهم «غير مقاتلين»؟، هل هم غير فطنين لحقيقة أنه عندما يموت غير المسلمين فهم يعدّون قد قُتلوا على نحو متعمد ومقصود، بينما عندما يموت المسلمون يوصف القتلى بأنهم وقعوا ضحية «ضرر غير مقصود»؟، إن صفة البشرية تنزع من المسلمين عندما تستخدم مثل تلك العبارات، ولا يمكن رؤية هذا العمل بأنه وسيلة نفسية للتغطية على قتل المسلمين الأبرياء وحسب، إن وسائل الإعلام الغربية تقوم على نحو مقصود ودائم بتجريد المسلمين من الإنسانية، لأن القوى العلمانية لا تكترث حقيقة لخير المسلمين وسعادتهم، وهي أيضاً مصممة على تحقير المسلمين، حتى يعدهم بقية العالم لا يستحقون التعاطف العقلاني والوجداني.

لكن هذا الموقف الغربي غير الإنساني بتسويغ فقدان أرواح المسلمين بأنه «ضرر غير مقصود» ينزع ببساطة ثوب الإنسانية عن العلمانية الغربية.

إن هذا الوحش الغربي عنيف حقاً، فهو يمصّ دم المسلمين من دون أي اعتبار لأمن أرواحهم وكرامتهم وسلامتهم النفسية، كم هو عنيف هذا العشق للقوة؟، أليست أمريكا أشبه بالوحش المشار إليه في الآيات التالية؟:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾، (سورة العلق، الآية 6).

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾، (سورة العلق، الآيات 14-15-16).

يجب أن ننتبه إلى تحذير القرآن الكريم الذي يقول:

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾، (سورة القلم، الآية 16).

إنّ السياسة الاقتصادية الدولية التي تسبب الحرمان أو العواقب السلبية على دول أخرى، أو تقود إلى سوء فهم مبني على الجرأة هي سياسة قاصرة، وفي الوقت نفسه ، فخطة العمل السياسية الدولية المبنية على برنامج عمل اقتصادي أناني لا تملك أسساً دوليةً خيّرة، إن الانحياز غير الملائم والتعصب والأحكام السابقة تسبب الانشقاق، وحيث تكون الإرادة الخيّرة يكون الأمان، أما المواقف والطموحات المغرورة والمعادية فتعني عدم الأمان، وهذا ليس ممكناً دوماً، فأفراد العصابة الأمريكيون لا يستطيعون تحمّل بعضهم.

عند حدوث المآسي الأليمة والقاسية فقط يرجع هؤلاء القادة إلى رشدهم، بعض منهم يستمر في غروره، وبعضهم الآخر يعترف بأخطائه.

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾، (سورة ص، الآية 28).

من الضروري للشعب الأمريكي أن يعيد تقييم حكومته على نحو عقلاني وذكي، وإنّ احتلال أفغانستان والعراق لا يضمن لهم الأمن، بل على العكس يضعهم في دائرة الخطر، يعلم الشعب الأمريكي هذه الحقيقة، ولا يريد أن يغادر أمريكا للسفر، سوف تصبح أمريكا أشبه بقلعة أو سجن لشعبها، والشيء نفسه لدى بريطانيا .

لقد استهزأت أمريكا وبريطانيا بوقاحة بالرأي الدولي، عندما أعطت إسرائيل الضوء الأخضر في عام 2006م لمهاجمة لبنان وشعبه، وبعد ثلاثين يوماً من الجرائم المتواصلة ضد الإنسانية أصبحت إسرائيل تعد موتاها، وبرز حزب الله بطلاً دولياً لا يقهر.

وقد أخفقت الولايات المتحدة مع مساعداتها العسكرية الضخمة لإسرائيل في الفوز بهذه المغامرة، وزال أي اعتقاد في بريطانيا وأمريكا، أن إسرائيل كانت ستمحو حزب الله من الوجود.

متى سوف يتعلمون فعلاً؟، إنّ إيمانهم بقوتهم وآلاتهم الحربية غير كاف لضمان نجاح حملتهم لتحقيق الثروة والقوة، ليس الغرور سلاحاً نفسياً، لكنه موقفٌ يحجب التفكير والعمل المنطقي، وهذا ما يفسد الاستخدام المنطقي للثروة والقوة معاً. ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾، (سورة مريم، الآيات 77-78-79).

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾، (سورة مريم، الآية 81).

من المؤكد أن القرآن الكريم غني بالتعليقات بشأن تقييم الأفكار والأعمال المغرورة لقادة الحرب العالميين، وهذه الأعمال والأفكار تحدد مصير البشر ومواقفهم السياسية الشخصية، هل ينبع هذا من الشيطان، أو مما يسمى «آلهة غير الله»، أم من غرور العظمة الفردية؟.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، (سورة الصف، الآية 8).

تكمن الحقيقة المفزعة في أنه مع وجود نور الوحي الإلهي، لن يخضع الملحدون للاعتراف بجبروت الله، وقد يبغض الكثير منهم هذا الجبروت، نحن نتعامل مع أناس يمثلون الشر بمواقف عدائية ضد الله ذاته، وفي كل وجوه الهجوم على القيم الدينية الإسلامية أو المسيحية فإن نية الغرب هي إضعاف الإيمان بالله.

الفصل الثاني

لماذا «سمح» الله بالشر الغربي

إنّ تقدم آلات الحرب الأمريكية من دون رقيب ليس كما يبدو للوهلة الأولى، وكما ذكر في القرآن الكريم، لن تستمر الولايات المتحدة في تفوقها العسكري أو في غرورها النفسي إلى الأبد.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 178).

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾، (سورة آل عمران، الآيات 196-197).

ليس من خير أمريكا وحلفائها أن تتعجرف بكبريائها في الأرض مثل الغيلان، فالله سبحانه يسمح بحدوث هذا النجاح الزائف، حتى يغرقوا على نحو كامل في قوتهم مستمتعين بمسرّات فاسدة، لكن الله يعدهم ويحذّرهم من أنه سوف يقع عليهم عذاب شديد.

وقد يطرح السؤال: لماذا يعطيهم الله سبحانه هذه الفرصة للاستمرار في طغيانهم من دون رقيب؟، الجواب سهل: وهو أن التدخل الإلهي سيكون له تأثيران سلبيان، أولاً، لن يكون هناك ممارسة كاملة لإرادة الإنسان الحرة، حيث ستمتزج بإرادة الله المتدخلة، ثانياً، إن التدخل الإلهي المباشر سيكون في مصلحة من يمارس الشر، لأن أفعاله الشريرة سوف تتوقف لمصلحته الروحانية من دون أي مبادرة فعلية من هذا الإنسان، فالله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان الفرصة تلو الأخرى، علّه يرجع عن أعماله الشريرة ويتوب.

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾، (سورة مريم، الآية 75).

تؤكد الآية السابقة الرؤية والوقائع التاريخية المذكورة في القرآن الكريم أن الله سبحانه لا ينتظر إلى يوم القيامة، ليوقع عذابه على العاصين، فهو سبحانه، ووفقاً لإرادته، قد يعاقب الأمم تحذيراً ضمن واقعهم التاريخي المعاصر وقبل حلول يوم القيامة.

ومن المهم أيضاً أن نذكر أن هذه القوى الشريرة، التي تشن الحروب على المؤمنين سوف تكتشف على المدى الطويل أنها ضعيفة مقارنة بقوة المؤمنين والجبروت الإلهي.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾، (سورة مريم، الآية 98).

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾، (سورة الحج، الآية 45).

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾، (سورة الحج، الآية 48).

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾، (سورة القصص، الآية 58).

يعد القرآن الكريم أنّ الفَسَقَةَ والمذنبين لديهم الفرصة للرجوع عن أخطائهم وأعمالهم الفاسدة، ولقد زوّد الله سبحانه الجنس البشري بالقدرات العقلية، لكي يمارسوا إرادتهم الحرة على نحو إيجابي:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، (سورة الأحقاف، الآيات 26-27).

لقد استمر التخطيط الغربي ضد المسلمين من دون انقطاع، فهل سيهتم الغربيون والمجموعات المعادية للإسلام بالتمعن في الآيات التالية من القرآن الكريم؟:

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾، (سورة الزخرف، الآيات 78-79-80).

إنّ حقيقة أن الله سبحانه وتعالى لم يتدخل على نحو حاسم ومباشر قد ذكرت في الآية التالية:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، (سورة محمد، الآية 4).

تشير الآيات السابقة إلى العوامل المتصلة بعدم تدخل الله سبحانه عوضاً من المؤمنين، إنّ جوهر الإيمان هو طاعة أوامر الله، وإحد هذه الأوامر يقضي بأن يكافح المؤمن في سبيل هذا الإيمان وحمايته، وهذا ما على المؤمنين أن يقوموا به، وسوف تظهر حقيقة الإيمان فعلاً، عندما يجري اختبار المؤمنين على نحو شديد، من الممكن أن يحتج المرء قليلاً

على الإيمان، لكن عندما يُهاجَم الإنسان في بدنه وعائلته وعواطفه وسلامته العقلية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهنا يظهر المعدن الأصيل للمؤمن، أو يتبين استسلامه لإرادة المعتدين، ويتضمن هذا الاختبار مقارنات كثيرة، تماماً مثلما يختبر الإنسان قدرته في أي مجال ضد الآخرين، وتقارن جهودك على النحو الأمثل مع بقية المؤمنين، هل قمت، وأنت مؤمن، ببذل قصارى جهدك، كما فعل المؤمنون الآخرون؟، يطرح القرآن الكريم هذا السؤال، ويترك المجال للمؤمن لكي يعرف مقدار نفسه، وما يوقظ المؤمن هو ردة فعله على منزلة مساهماته الفردية، عالماً في الوقت ذاته بأن الله سبحانه يعلم جيداً هذه المنزلة.

لا يتوقع الله سبحانه من المؤمن أن يبذل فوق طاقة البشر، لكنه يتوقع أن يبذل المؤمنون قصارى قدراتهم الإنسانية، والحقيقة، أن الآية تنتهي بوعد خاص بمكافأة الشهيد، الذي يموت في سبيل الله.

وقد يكون من السخرية أن يتدخل الله سبحانه لحماية المؤمنين في كل لحظة، من دون أن يكلف هؤلاء تعب حماية أنفسهم، أما غير المؤمنين فلن يتعلموا أن يتوبوا عما صدر منهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، (سورة الرعد، الآية 11).

وإذا تدخل الله سبحانه ببساطة فلن يواجه المعتدون أي معارضة لخططهم الشريرة، وعندها سنخسر فائدة استخدام الإرادة الحرة والقدرة على الكفاح ببسالة نتيجة لإيمان عميق، وبكلمات بسيطة لن يكون هناك فرق بين البشر والحيوان عند تدخل الله سبحانه في كل مناسبة.

لاشكّ في أننا سنصبح خاضعين، لأن عالم البشر عندئذٍ سيكون متميزاً بتدخل الله سبحانه في كل وقت وحين، إنّ إمكانَ الرقي الأخلاقي البشري في ذاته هو جوهر الإرادة الحرة، تماماً كما تكون هذه

الإرادة احتمالاً للانحطاط الأخلاقي للنفس البشرية، وحالما تنتفي هذه الاحتمالات، لن يكون الإنسان في حاجة إلى السعي الدائم لتطوير نفسه، إذا كان السلام المحقق بالاستسلام لغضب الله وجبروته سبحانه هو الذي يحدث على هذه الأرض، لن يملك أيٌ منا الوقت أو الفرصة الملائمة لكي نحقق الإيمان بالله بإرادتنا، ولن يستحق أي واحد منا دخول الجنة، لأننا لم نخضع للاختبار.

إنّ الفعل الإلهي الحاسم والسابق لأوانه إلى أن يصبح جبروت الله سبحانه واضحاً جداً سوف يدمر الفردية ذاتها التي يتميز بها كل واحد منا، وسيكون أيضاً غير منطقي، ولا يتلاءم مع حقيقة خلقنا بشراً. لذلك لن تُفتح الجنة لأي واحد منا على نحو مؤكد إلا إذا أعددنا العدّة، وخضعنا للاختبار على هذه الأرض.

ومن دون هذا الاختبار لن نستحق دخول الجنة أو الفردوس المذكور سابقاً، وفي المقابل كيف سيستحق غير المؤمنين دخول النار، إذا تدخل الله سبحانه بجبروته العظيم، ليعاقبهم قبل أن يحين الوقت الملائم؟، إنّ إبادة الشر على نحو كامل بإرادة الله سبحانه لا يساعد المؤمنين، وحقيقةً هي تسلب منهم الفرصة لإثبات أنفسهم وزيادة إيمانهم بالقواعد والمبادئ القرآنية، حتى يستحقوا أن يفضّلهم الله سبحانه وتعالى.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾، (سورة الأحزاب، الآية 23).

إنّ الشهداء هم أولئك الناس الذين أتموا وعدهم للعمل فيما يرضي الله سبحانه، وهناك آخرون مازالوا ينتظرون، ولم تخف عزيمتهم مع الغزوات المتلاحقة ضد الشعب المسلم، ما يفرضه القرآن إذاً هو أن يظل المؤمنون جميعهم مخلصين للإسلام والسعي بصبر وثبات لنيل رضى الله سبحانه.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾، (سورة محمد، الآية 31).

سوف تُختبر وعودنا وتعهداتنا التي قطعناها في سبيل الله، وهي تختبر في الوقت الحالي، ومع العدوان الغاشم على المسلمين منذ منتصف التسعينيات في البلقان وأفغانستان والعراق، والتهديدات على إيران وسورية والصومال والسودان، فإن سلامة المسلمين الدينية تخضع لتحديات شديدة، والقرآن الكريم حاسم في إقراره بأن المسلمين سوف يختبرون في إيمانهم، وقد أظهر التاريخ الحديث أن المسلمين في العالم عرّفوا الهجوم على العراق بأنه هجوم على المسلمين، وبدلاً من أن يهجروا الكفاح في سبيل إيمانهم، اجتمعوا معاً للاحتجاج على هذا الهجوم.

في العشرين من حزيران عام 2003م، صدّق كولين باول قيام إسرائيل باغتيال المقاتلين الفلسطينيين مع أن المدنيين الفلسطينيين هم الذين قُتلوا في العملية، لقد حُرمت الأراضي الفلسطينية المحتلة من حق المقاومة، التي جرى تصنيفها على أنها «إرهاب»، وفي آب عام 2003م أعلن الرئيس الأمريكي بوش أن حماس هي منظمة إرهابية، ومع ذلك، سُمح لإسرائيل باغتيال قادة حماس خلال وقف إطلاق النار، ألم يكن هناك مقاومون في أوروبا عندما احتلها هتلر؟، هل عدّدت هذه المقاومة إرهاباً؟، ربما يجب علينا أن نكون عادلين في حق بوش، ونقول إن هتلر ربما كان عدّها إرهاباً فعلاً.

لو حاولنا أن نكون منطقيين في تفكيرنا لبرزت الحقيقة، وهكذا فإنه من واجبنا أن نفكر بمنطقية، وألا ننساق وراء الدعاية السامة، التي تغزو عقولنا.

(28❖وَقَالَ لِلإِنْسَانِ: هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ). — أيوب 28: 28

لقد قاد السم الغربي المستمر الرجل العادي إلى أن يتفكر في تاريخ العنصرية وسيطرة البيض والتطهير العرقي، فقد أبادت الولايات المتحدة الهنود الحمر، وأنتجت بعد ذلك مجموعة «الكو كلكس كلان» العنصرية البيضاء، ولدى ألمانيا تاريخ معروف بعداوة السامية، وتعاني حالياً التحامل على الآسيويين، وتعد جمهورية الصرب وسياستها في التطهير العرقي، وخاصة ضد مسلمي البلقان كابوساً حديثاً مرعباً، واحتلت بريطانيا الهند وقتلت الآلاف، كما سفكت أوروبا دماء الإفريقيين، واصطادت أستراليا السكان الأصليين بدم بارد، لقد أنتجت أوروبا هؤلاء العنصريين البيض، وسمعت أحد الأشخاص، وهو يقول إن الولايات المتحدة هي الابن الشيطاني لبريطانيا وأوروبا.

إذا كانت أمريكا وحلفاؤها لا تحارب المسلمين على نحو عام، فهم يحاربون العرب على نحو خاص، وهم يزعمون أن السعوديين قد أنتجوا خلاصة المهاجمين العرب الخمسة عشر، الذين قاموا بمهاجمة برجي التجارة العالميين، لكن، هل يعطي هذا الحق لأمريكا بتشويه المملكة العربية السعودية أو مهاجمتها؟، هذا واضح، وسواء إن كنت صديقاً أو عدواً للولايات المتحدة، فهذا يعتمد الحدث، لقد كان بن لادن وصدام حسين صديقين لأمريكا، وأرادت الأخيرة أن تقبض على أسامة بن لادن، أو هذا ما زعمته، ومن ثمّ قامت بمهاجمة دولة كاملة واحتلتها، لماذا لا تصبح السعودية أفغانستان أخرى؟، لقد ارتكب الأمريكيون الأعمال الإرهابية في المملكة، ولم نسمع السعودية تحمل أمريكا مسؤولية ذلك، أم هل تملك الدول الأوروبية العنصرية البيضاء سابقاً أو السياسيون البريطانيون البيض الحق في إعطاء التعليمات، كما يريدون للدول غير الأوروبية وغير البيضاء؟، هذه العنصرية غريبة حقاً، فاليهود يحوزون منزلة البيض في الغرب، وكذلك الأمر في جنوب إفريقيا العنصرية، يمكن فهم هذا الاستثناء في القاعدة، فإسرائيل هي الحليف الذي جرى

إيجاده لأهداف سياسية غربية ﰲ الشرق الأوسط، ومع ذلك تخلصت إسرائيل من كونها عبداً لأوروبا بالسيطرة على الولايات المتحدة، وجعل واشنطن عاصمتها العالمية، إن إسرائيل معادية للعرب المسلمين ومعادية للفلسطينيي، سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين، وليس لديها مشكلة بتطبيق التطهير العرقي، وواضح أن الولايات المتحدة لا تعارض العنصرية، ولا تعارض التطهير العرقي.

إنّ بروز دعاة الحرب الغربيين قد حفّز ضمير شعوب العالم أجمع، ويبدو أن الإلحاد والعلمانية الأساسية ، المتنكرة بثوب «المسيحية الأساسية الأمريكية»، تخوض حرباً شاملة ضد المسلمين والإسلام.

8(❖يَا رَبُّ اهْدِني إِلَى بِرِّكَ بِسَبَبِ أَعْدَائِي. سَهِّلْ قُدَّامِي طَرِيقَكَ. 9❖لأَنَّهُ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهِمْ صِدْقٌ. جَوْفُهُمْ هُوَّةٌ. حَلْقُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. أَلْسِنَتُهُمْ صَقَلُوهَا. 10❖دِنْهُمْ يَا اَللهُ. لِيَسْقُطُوا مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ. طَوِّحْ بِهِمْ لأَنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ). — المزمور 5: 9.

نحن نقول لأنفسنا إن هذه الحملة الصليبية ليست حملة مسيحية، بل حملة ملحدة وعلمانية، هل اهتم صدام حسين بديمقراطية الولايات المتحدة وحريتها المزعومتين؟، لماذا يشعر ديكتاتور مثل صدام حسين بالغيرة من ديمقراطياتنا؟، يأتي الرؤساء الأمريكيون ويغادرون، ووفقاً للدستور الأمريكي يسمح لهم بفترتي رئاسة فقط، لماذا يشعر صدام حسين بالغيرة من هذه الحرية؟، كان باستطاعة صدام حسين أن يتبنى الدستور الأمريكي ﰲ بلاده، ويتبنى الحريات نفسها التي ينادي بها الرئيس بوش، مهما كان معناها، ولو كان حسين يهدد حرية الولايات المتحدة وبمهاجمة الدول بإرادته علناً، فربّما كان هذا كله مفهوماً، هل هذه هي الحرية التي لا يريد الشعب الأمريكي أن يفقدها؟، هل يريدون الحرية التي تخولهم السيطرة على العالم؟، يجيب الرئيس السابق لجنوب إفريقيا نيلسون مانديلا بأنه ليس لأي دولة الحق ﰲ إملاء

أوامرها على العالم، إن جنوب إفريقيا دولة محايدة، والشعب هناك ليس مع الولايات المتحدة، هل هذه الحقيقة تجعلنا نحن الشعب الجنوب إفريقي «ضد أمريكا»؟، هل نحن دولة إرهابية؟، هل ستفكر أمريكا في شن الحرب علينا؟، هذا ليس ببعيد، لو ملكنا النفط، فهل ستفكر أمريكا في مهاجمتنا، خاصة أننا شعب أسود، ولسنا دولة بيضاء؟، هل تفكر في أن صدام حسين أراد أن يحول الأمريكيين إلى المسيحية أو الإسلام؟، هل أراد أن يفرض حكومة إسلامية أو مسيحية محل حكومة الولايات المتحدة العلمانية، التي لا تسمح بإقامة الصلوات في مدارسها؟، ماذا يريد صدام حسين من أمريكا؟، لماذا يدمر المستورد الأكبر للنفط العراقي بصاروخ نووي؟.

إذاً بعد كل ما قلناه، لم يستطع العراق احتلال الكويت، فكيف يستطيع غزو أمريكا واحتلالها؟، ومع ذلك ترى الأمريكيين خائفين من صدام حسين؟، هل يريد الشعبان الأمريكي والبريطاني أن يجري خداعهما حتى يقع ذنب الجشع المادي والعنصرية والتطهير العرقي على بوش وبلير وليس عليهم؟، هل جورج بوش هو الرجل المذنب؟، هل هو ضحية مجموعة قوية يثق بها؟.

لقد سمح الله سبحانه بحدوث الشر الغربي، لكي يضرب مثلاً بالحقيقة التي تبرز في القرآن الكريم.

وأنا أقتبس هنا الآية التالية من القرآن الكريم لفائدة الإعلام الغربي، وهذه الآية تحدثت عن سعي الإعلام الغربي الحديث لتقويض الرسالة الواضحة في القرآن ولتشويه محتواه وهدفه:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾، (سورة فصلت، الآية 26).

كلما كانت هناك محاولات لشرح حقيقة الإسلام، أتت الاتهامات بسرعة البرق لصرف الانتباه عن الحقيقة أو تشويهها وتغييبها بتدخل

الدعاية الكاذبة، لكي لا تبرز تلك الحقيقة، وخلال تشويه الحقائق المتعمد والتنافس الشديد في وسائل الخداع والأساليب التكتيكية الكاذبة، التي تستخدم الدعاية المعادية للإسلام، يحاول المعتدون أن تصبح لهم اليد العليا في هذا الأمر.

من المؤكد أن هذه الآية تضرب حبال أولئك المتهمين بنشر الدعاية الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين، ولابدّ أن تهز الآية مضاجعهم وتجمعاتهم العلمانية، وتدهش عقولهم، وتنعش ضميرهم، لكي يعوا حقيقة أن ما يسمى «الأدب القديم» (المقصود هو القرآن الكريم) مرتبط على نحو وثيق بروح العصر، خاصة عند فضح الدعاية الغربية الكاذبة، التي تفننت في التلاعب بالكلمات، لقد قلت مراراً، وأقولها مرة أخرى إن القرآن الكريم مرتبط بعصرنا الحديث هذا أكثر كثيراً من زمن الرسول محمد ﷺ.

لقد عبّر القرآن الكريم بوضوح عن حقيقة أن الإسلام لا يتعارض مع المسيحية، وأكثر من هذا، فهو يشير إلى أن المسيحيين والمسلمين جزء لا يتجزأ من أخوية مشتركة:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾، (سورة الشورى، الآية 13).

لقد سمح الله سبحانه بوقوع الشر الغربي، لكي يرجع المسيحيون إلى المسيحية، التي نادى بها المسيح عليه الصلاة والسلام، بوسعنا أن نستفيق لرؤية الحقائق، وليس فقط لفلسفاتنا الدينية، ويجب علينا أن ندرك أن العلماني غير المؤمن يقوض التناغم الذي يجب أن يكون بين المسلم والمسيحي واليهودي، لقد استمر الغرب، وخصوصاً الأوروبيين، في مهاجمة الإسلام، وإن الرسوم الكاريكاتورية التي أساءت إلى الرسول

محمد ﷺ، والاستمرار في نشرها، وحظر اللباس الإسلامي يجعل الأوروبيين أعداء المسيح عليه السلام، لايمكن المسيحيين اليوم أن يميزوا بين مسيحي ومن ليس بمسيحي، وإن التمييز الانتقادي قد أصبح واجباً مطلقاً، والمسيحيون يلاحظون بقلق تسلل الدعاية الصهيونية إلى البرامج المسيحية المتلفزة والمحاولات الماكرة لتطبيق اتحاد مسيحي صهيوني ضد الإسلام.

عندما يبرز الشر، يستيقظ ضميرنا الديني، أو تصبح حواسنا الفكرية واضحة على نحو أكبر، ومهما كانت أسباب الانتعاش الفكري الحسي، فإن الحقيقة هي أنه حتى الولايات المتحدة قد استيقظت على زيف حرب بوش، وسيطر الديمقراطيون في عام 2006م على مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وبدأ بعض الأمريكيين بالتفكير منطقياً، أما الحزب الديمقراطي، فالفوضى الدولية لا تزال في مصلحتهم خاصة، وهم يسعون على نحو حثيث إلى احتواء الرئيس، وقد منحتهم هذه الفوضى الدفع الكبير، الذي كانوا يحتاجون إليه للفوز بالانتخابات، لكن مازلنا ننتظر رؤية إذا كان الحزب الديمقراطي سيصبح أقل شراً من نظيره الجمهوري.

والآن يدّعي الرئيس أوباما بقوة أنه مسيحي، حسنٌ، هذا ما كان يدّعيه الرئيس السابق جورج بوش أيضاً.

الفصل الثالث

لماذا ستزداد مقاومة المؤمنين

لم يتعاضد العالم الإسلامي مع بعضه مثل ذلك من قبل، فمهاجمة الغرب لهم واضحة جداً، لقد بدأت المقاومة للتو، وسوف تتصاعد، ومن ثمّ ستتوقف، عندما ينتهي الظلم.

تدّعي الأمم المتحدة أنها تدير الشؤون الدولية، وأعلنت عن مبادئ الدول المستقلة وحرية الدين والعادات الثقافية، لكنها في المنظور الأكبر قد خرقت واجبها في أن تكون مخلصة لدول العالم بلا استثناء.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾، (سورة التوبة، الآيات 7-8).

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾، (سورة التوبة، الآية 12).

إنّ أوامر الله سبحانه تقضي أن تكون مقاومة طغيان المعتدين واجباً على المؤمنين، إنّ «أئمّة الكفر أو العدوان» المذكورين في الآية الكريمة السابقة ليسوا فقط الولايات المتحدة وبريطانيا، ويبرهن غزو أفغانستان على أن دعم الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن وبعض الدول الأخرى ذات النفوذ يأتي ضمن تصنيف «أئمّة العدوان»، أمّا الأمم المتحدة فهي المنصة التي يستعملها أولئك الأئمّة، وقد جلب التحالف الأمريكي معه إلى العراق أئمة عدوان آخرين.

ولذلك كان متوقعاً أن المقاومة المسلمة في العراق وأفغانستان ولبنان والصومال كانت ستستهدف كل شيء أجنبي على أراضيها.

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾، (سورة التوبة، الآية 14).

تتضمن معاقبة الظالم إيقاع العار عليه، ومحاولة مداواة كرامة المؤمنين، ولا تكمن مداواة صدور المؤمنين في تحقيق الانتقام ببساطة، فالعمل الدفاعي ليس انتقاماً، وبالانتصار على الظلم يسيطر المؤمنون على قدرهم الديني، وتأكيد تدخل الله سبحانه نيابة عن المؤمنين، عندما يكرسون أنفسهم لخدمة دينهم والمؤمنين على نحو عام ينتج حساً بالطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه، وهذا في ذاته يقود إلى مداواة الجروح والآلام، التي عاناها المؤمنون.

تؤكد الآية الكريمة السابقة أن الله سبحانه سوف يعاقب المعتدين بأيدي المؤمنين أنفسهم، ويتمثل تدخل الله جلّ وعلا في عمل مقاومة بشري، والمقاومة الشرعية هي التي تحظى بمباركة الله سبحانه وتأييده، ويدّعي حزب الله أنه يحظى بهذا التأييد من عند الله، خاصة عندما نرى الإحصائيات التي تسوغ ذلك.

ومن حركات المقاومة الجديدة، التي تبرز من وحي القتل وإحداث الفوضى، سوف يكون هناك بعض منها، وهي تتلقى تحفيزاً خلال الانتقام أو الحقد الشخصي أو الألم الفردي، وهذه قد لا تملك أي هدف ديني، ولا تتلاءم مع الجهاد، حيث من الممكن جداً أن تنحدر إلى مستوى الهجمات الانتقامية الصرفة، إذاً فإن الانطباع العام هو أن المقاومة يجب أن تُنَظّم، وتعمل وفقاً لمنهجية هادفة بما يتوافق مع مبادئ الجهاد.

لقد شهدت العاصمة السعودية، الرياض، هجوماً انتحارياً صاعقاً على الغربيين، وبينما تقتنع الولايات المتحدة بنسبة جميع الهجمات ضد

الغربيين إلى شبكة القاعدة، فهي تبالغ في تبسيط الأمر، فالواحد منا يأخذ انطباعاً أن إدارة بوش تحاول أن تطمئن الأمريكيين، وتحشد الدعم الدولي على أساس أنها تعلم من وراء هذه العمليات، وهذا أيضاً يعطينا الانطباع أن الأمر برمته لا يتعدى شبكة واحدة، يجب القضاء عليها، إن الهجوم على المسلمين ظاهرة منتشرة عالمياً، وإمكان وجود منظمات سرية متعددة هو حقيقة، لا يمكننا أن نتجاهلها.

يجب ببساطة أن نلاحظ حقيقة الهجمات الانتقامية العنيفة، وأن نجد طريقة لكي نتحرك على نحو مؤثر، وبمنهجية موازية مسالمة، حتى نكتشف سبب المواجهات العنيفة، وأنا أؤكد أن السبب هو الذي يجب أن نعمل على تبطئته وإيقافه، وهو السبب نفسه، الذي يعد غير أخلاقي وغير شرعي، إن المقاومة شرعية، وسوف تتوقف فقط، عندما ينتهي الهجوم على الإسلام والمسلمين.

لا يرفض أي مسلم أن يواجه أعداء الدين وقتلة المؤمنين، والحقيقة أن العالم الإسلامي يغلي في استيائه مما يحدث له، وهذا الاستياء يقود المسلمين إلى أن يقدّروا دينهم على نحو أكبر، ويقدروا الآيات القرآنية، التي تحذر من هجوم المعتدين على المسلمين، ويعلموا واجباتهم الشخصية، وما يجب عليهم أن يفعلوه في حال المواجهة، إذاً يعيش المسلمون التزاماً قرآنياً وشحناً دينياً متجدداً.

لقد أيقظت الولايات المتحدة العالم على حقيقة زيف القيم الديمقراطية، والمقاتلون اليوم على اختلافهم يتحركون للدفاع عن أنفسهم، ولا يستسلمون أو يخضعون، والمعروف أن الهجمات، مهما كان حجمها صغيراً ضد القوة العسكرية الضخمة للأمريكيين، تؤدي إلى موت جنود كثيرين، وتؤدي أيضاً إلى إحراج الإدارة الأمريكية داخل البلاد وخارجها أكثر من إيقاع القتلى، يواجَه محررو العراق المحمّلون بالزهور البيضاء بالهجمات الصاروخية، وكل جثة أمريكية تعود إلى بلادها

تقوض صدق الإدارة الأمريكية، ما يؤثر في ملايين المشاهدين، الذين تحولوا إلى مراقبين لما يحصل، وهم يراقبون، ويعلّقون على الأحداث أمام ضمائرهم على الأقل، إن لم يكن أمام الآخرين.

لن تكفي ادعاءات الولايات المتحدة وتظاهرها بسلامة النية أو الرغبات الحسنة لتغير الإدراك بوجود حرب ضد الإسلام والمسلمين، وأكثر من ذلك، فمن الواضح جداً أن المسلمين، سواء جرى تسميتهم إرهابيين أم مقاومين، يقومون بالمقاومة، وقد تغير الرأي الدولي منذ الحرب على العراق، والرأي القائم يقول إنه إذا لم يحارب المسلمون في سبيل عقيدتهم وهويتهم متسلحين بكل ما يملكون، فالمصير الواضح والجلي هو أن أعداءهم سوف يحتلون أراضيهم.

وتذكرنا المغامرة الأمريكية البريطانية بالتحذير القرآني التالي:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾، (سورة البقرة، الآية 217).

إنّ الإيمان بجبروت الله وقوته سبحانه هو سلاح يستخدمه المؤمنون، ويخبر القرآن الكريم عن الرسول محمد ﷺ، وكيف أجاب دعوة الله سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 173).

ويؤكد المسلمون مراراً وتكراراً أهمية هذا الإيمان، حيث يستمدون قوتهم وهدفهم من الثقة الصلبة التي يمنحها هذا الإيمان، يقول المؤمنون:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 26).

يجب أن نتذكر ما أشار إليه القرآن الكريم في ذكره لذي القرنين، الذي كان رجلاً قوياً:

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾، (سورة الكهف، الآية 84).

كان ذو القرنين هو من اقترح فكرة السد الفولاذي، الذي حجز قبائل يأجوج ومأجوج، التي كانت تزعج الناس المسالمين.

لقد كانت قوة ذي القرنين الروحانية منحة من الله سبحانه، لكنه لم يعد قط بأن الجهود البشرية لصد الأشرار سوف تظل ناجحة من دون الإيمان بالله، فهو ذكّر الجميع بأن إرادة الله سبحانه هي الوحيدة التي ستسود على نحو مؤكد.

وفي الوقت ذاته، من المهم ملاحظة أن وجود الإيمان والعمل به على أرض الواقع هو ما فعله ذو القرنين، عندما أمر بسد جوانب الجبال بالفولاذ والرصاص لمنع يأجوج ومأجوج من الخروج، والأعمال الدفاعية البشرية كانت أيضاً مطلوبة لصد الهجمات.

إنّ الإيمان الذي ترافقه الأعمال الدفاعية هو المسار الصحيح، والشعب الموحد ضد دعاة الحروب والناهبين الدوليين سوف يخلق توازناً جديداً للقوى ووسيلة للتعامل مع الوحشية المستخدمة ضد الإنسان.

يدرك المؤمنون أن حيوية دينهم هي ما يساعدهم في هذه الحرب، فالقرآن الكريم في حداثته الأبدية ومعاصرته لكل حدث تاريخي على مر الزمن، كما تثبت آياته الكريمة، يساعد المؤمنين في سعيهم لتحقيق العدالة الحقيقية مع تهديد القوة العسكرية الغاشمة للمعتدين.

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾، (سورة العاديات، الآيات 1 إلى 5).

يتساءل المعتدون بين بعضهم لماذا يكون الشهداء بين المسلمين؟، لقد كان الرسول محمد ﷺ، في طليعة الجيش، وخاض بنفسه الحروب، حيث خاطر بحياته، حتى ولو كان لديه مهمة أكبر كثيراً من معركة

واحدة فقط، وبخلاف الرأي البسيط الذي يؤمن به بعض المسيحيين والذي يقول إنهم قد جرى إنقاذهم ولا يحتاجون إلى أن يفعلوا أي شيء إضافي لتطهير أنفسهم، لأن المسيح عليه السلام ضحّى بنفسه في سبيل ذلك، يدرك المسلمون، كما يدرك المسيحيون الحقيقيون، أن السعي إلى الخلاص وتطهير النفس هو عملية شخصية ومستمرة ودائمة.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 144).

إنّ التحدي القرآني واضح وصريح، وهو يقول إنه لو مات الرسول محمد ﷺ، أو قتل، فهل كان المؤمنون سيرجعون على أعقابهم أو يهربون؟، يقدّر المسلمون حقيقية أن كل فرد فيهم يقع عليه واجب ملازم بالبقاء على الطريق المستقيم والنضال، كما فعل الرسول الكريم محمد.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، (سورة الأنفال، الآيات 15-16).

لن يتراجع المسلمون في وجه العدوان الغربي، حتى لو كان من الأمم المتحدة أو التحالف الأمريكي.

لقد شهد شباط وآذار من عام 2003م الملايين من الناس من العالم (على الأقل 600 مدينة)، وهم يتظاهرون من أجل إحلال السلام محل الحرب، وأكثر من ذلك، لُقّب بوش وبلير بعبارات سيئة، وجرى شجبهما ونزع صفة المسيحية عنهما، وفي ذلك الوقت ارتفع اسم نيلسون مانديلا أكثر من أسماء القادة الغربيين، ومُدح من كان له مواقف رجولية ورفع صوته معارضاً للحرب، بينما كان يشار إلى بوش وبلير بكثير من الحقد

والكراهية، في ذلك الوقت حوصر بلير بطوق من الفولاذ في اسكتلندا، عندما تظاهر أكثر من 300 ألف شخص ضد سياساته، وأكثر من مليون شخص في هايد بارك، في ذلك الوقت اجتمع طارق عزيز، وهو وزير الخارجية العراقي المسيحي الأسبق، بالبابا يوحنا بولس، الذي كان قد أرسل مبعوثه إلى بغداد من قبل، ولم يكن البابا يوحنا بولس الثاني رجلاً عنيفاً، ولكن هذه الخطوة كانت بمنزلة صفعة على وجه الرئيس بوش، الذي كان يحاول أن يصور العراق والمسلمين أعداء المسيحيين، وقد أخفقت دعاية بوش الكاذبة، حتى في تصويره مسيحياً.

سوف تزداد المقاومة، لأن القوى الأخلاقية في الميادين الدينية وخارجها ستشكل شراكة سرية أو علنية على نحو عفوي أو غير عفوي، وسواء كان هناك تخطيط أو استراتيجية بشرية أم لا، فإن أصوات الاحتجاج والأصوات الداعية للسلام سوف تناضل ضد آلات الحرب التابعة للمعتدين، وخلال هذا العملية سوف تستمر المقاومة الجسدية، وسيختار المؤمنون، سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهوداً، الطريق الإلهي في مقاومة الشر على جميع المستويات.

لم يكن المسلمون من قبل قط مدركين لأهمية دينهم وإيمانهم، ومجتمعين على سبيل الله، كما هم اليوم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 149).

لقد رجع المسلمون إلى قضية الدفاع عن المؤمنين، والآية التالية متصلة بهذا الموضوع في زمننا الحالي:

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ

وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، (سورة النساء، الآية 95).

إنّ أذان الصلاة في كل مدينة وقرية يعني الكثير اليوم للمسلمين، ويحمل معنى كبيراً للقضية، وهذا الأذان اليوم ملحوظ ومسموع على نحو خاص من غير المسلمين أيضاً، نعم، فالأذان كان يمر مرور الكرام، وكان أمراً تعودناه جداً، حيث لم نلحظه على نحو كبير من قبل، لكن الأمر تغير، فالأذان يصل إلى الأذن العاقلة والأذن ذات الضمير الحي.

وسواء أحبوا هذه الحقيقة أم لا، فإن الولايات المتحدة وبريطانيا قد ساهمتا في زيادة تسليط الضوء على أهمية الإسلام، فحقيقة الإسلام والمسلمين تتلقى دفعاً إلى مقدمة الاهتمامات الدولية، وعاد الضمير المسيحي مرة ثانية، فالمسيحيون اليوم أصبحوا على الأقل مدركين للأعمال الوحشية، التي ارتكبت باسمهم، لكن، أكثر من ذلك، رافق هذا الإدراك دعم غير مسبوق من المجتمع الدولي للمسلمين في أزماتهم في العالم، وهكذا وجدت الولايات المتحدة وبريطانيا نفسيهما في مواجهة بقية دول العالم، ليس فقط من ناحية الحكومات السياسية، ولكن أيضاً من الشعوب.

لا يمكن أبداً بضعة آلاف من عمليات الفحوص والعناية الطبية لأطفال قُصفوا واحترقوا بقنابل وحشية أن تشتري عفواً للغازين، ولا يمكن العقول التي خططت للدعاية الكاذبة في هذا المجال أن تفوز برضا الناس الذين تظاهروا ضد الغزو، وأكثر من ذلك، يجب على من دعم غزو العراق أن ينتحبوا الآن، ويعانوا ذنوبهم لتعاونهم ذاك، متى تراهم يشاهدون المناظر الفظيعة للقتلى؟، ألا يطفئون أجهزة التلفاز عندما تظهر هذه المشاهد؟.

هذا هو الظن على أرض الواقع فيما يخص الشر، الذي يرتكب ضد المسلمين، هذه هي الحقيقة، لا يُنظر إلى قوات التحالف كأنها بطلة، بل هي وحشية.

ويظهر القرآن الكريم أن الله سبحانه سوف ينشر غضبه بطريقة موزونة على البشر من وقت لآخر في تحذيرات، لكي يتعلم الإنسان من هذه الإشارات الإلهية، ويتوب عن ذنبه بإرادته، وبهذه المنهجية الموزونة فقد دمّر الله سبحانه قبائل وأمماً برمتها، لكنه سبحانه أعطى الفرصة للكثير من الأمم الأخرى، ولم يفعل ذلك ليجعل الحياة أسهل على المؤمنين، فالله سبحانه يريد أيضاً أن يرشد غير المؤمنين إلى طرق شرعية أكثر، فهو إذاً لم يهجرهم، والحقيقة هذه أخبار طيبة لمن أعلن إيمانه، لكنه لا يؤمن بالطرق الموزونة، وهي أخبار جيدة للمنافقين أيضاً، وقد ذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه رحيم، وتثبت الأحداث التاريخية المذكورة في القرآن الكريم هذه الحقيقة.

ولذلك يمكننا افتراض أنه عندما يُجابَه بالشر والمواجهة، فإن معدن المؤمن يعطى الفرصة للظهور والبروز فوق مياه البحر العاصفة وفوق ميادين النزاعات، متسلحاً بقوة التصميم المستمدة من الإيمان، إذاً فالنضال هو بين اثنين، الأول هو المؤمن وقضيته الفاضلة التي يؤمن بها، والثاني غير المؤمن وقضيته الفاسدة.

ترتاب الدول الإسلامية والعربية حالياً السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وجدير بالذكر هنا التحذير المتكرر الذي ردده القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾، (سورة الممتحنة، الآية 1).

وفي الوقت الذي يُهدَّد المسلمون في أراضيهم وسيادتهم، فإن الحقوق نفسها التي أعطاهم الله سبحانه إياها تخضع للاعتداء، ويفلت المعتدون

من العقاب، بعد غزو العراق والتهديدات المفتوحة ضد سورية وإيران يدرك المسلمون الآن أكثر من قبل أن التحذيرات والقرآن الكريم ليست فقط موجهة لغير المؤمنين، بل للمؤمنين أيضاً، وسوف يعيد المسلمون تقييم تحالفاتهم، لئلا يصبحوا مرتدّين مثل المنافقين الغربيين:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾، (سورة محمد، الآية 26).

يحذّر القرآن الكريم من أن أولئك الذين يتعاونون مع الأعداء، حتى ولو جزئياً، لأنهم لا يملكون الشجاعة لمعارضة العدو، أو لأنهم يسعون للحصول على المنفعة المادية، هم في شراكة مع الشر نفسه، الذي يعترفون به، أما المؤمنون الذين يقبلون حقيقة وجود طريقة شرعية مثلى للعيش فيفهمون أن الشر سيُغلَب في النهاية.

هذا هو جوهر المعركة، فالمؤمن ينجح باندماجه في الكفاح ذاته، وبهذا الكفاح يطور المؤمن روحه الأخلاقية والدينية، ويحسّن نصيب المؤمنين، ويحمي الدين وينشره، وليس على المؤمن أن يحقق النجاح قبل أن يصل إلى تحسين جانبه الروحي، وليس عليه أن يحقق هدفاً معيناً قبل أن يقال إنه قام بحماية ونشر الدين، وحتى قبل أي نجاح محدد يدرك المؤمن هدفه على كل الأحوال بعدّه ظاهرة مستمرة إيجابية ومتقدمة، ومادام ينخرط في هذا الكفاح المستمر، فالفوائد التي يحصل عليها تتراكم ثمرة جهود طويلة، إذاً كما يزرع المؤمن يحصد هو والمؤمنون فوائد فورية، وعندما يكون الزرع متواصلاً، كذلك يكون الحصاد.

لقد هجّر المشركون من أهل مكة الرسول محمد ﷺ، خارج المدينة، وذكر الله سبحانه أنه دمّر مدناً أقوى كثيراً من مكة بسبب ذنوب أهلها، وكان الله قادراً على أن يدمر مكة في الوقت الذي أخرج فيه الرسول محمد ﷺ، خارجها.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾، (سورة محمد، الآية 13).

لكن وجّب على النبي محمد ﷺ، أن ينجح في الاختبار كله، وهكذا كانت عودته المنتصرة إلى مكة بفضل الكفاح البشري، وليس بسبب تدخل الله سبحانه ببساطة.

لم يكن المسلمون المحيطون بالرسول آنذاك كثيرين مقارنة بملايين المسلمين اليوم، ويمكن مقارنة المدن العدوانية العاتية اليوم بنيويورك ولندن وتل أبيب، وبكل مدينة حرمت الإسلام والمسلمين الحق في الوجود وامتلاك وطن كما الجميع، والحق في اللباس وفقاً للاختيارات الثقافية والدينية، والحق في التعليم الديني في المدارس الإسلامية.

ليس المطلوب اليوم تدمير هذه المدن العاتية، حيث يجب أن تظل مبانيها قائمة، لم تكن مكة مدينة مصممة لكي تدمّر، والدّاعون إلى الإسلام سوف ينتشرون ويعيشون في تلك المدن نتيجة لفضائل الإسلام، أو بالكفاح الذي أمر به القرآن الكريم، لكي يرسخ الإسلام حقه الشرعي للازدهار بسلام، حيثما تعمّ جذوره، إن العودة إلى مكة هي عودة إلى كل مدينة طردت المسلمين أو آذتهم في دينهم، وسوف يؤسس المسلمون أراضيهم، وهذا القدر يقع فقط بيد المسلمين، والقرآن الكريم واضح على نحو قاطع في أن غير المؤمنين يجب ألا يسمح لهم بأن يؤثروا في مصير المؤمنين، والمسلمون اليوم يؤكدون حقهم الشرعي ويكررونه بأن يجري احترام دينهم.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، (سورة الكافرون).

لا نطلب هنا إلا أن يكون هناك سياسة واضحة ومحددة واعتراف بحقوق ونيات المسلمين في ممارسة دينهم، وتعد الآية «لكم دينكم ولي دين» أمراً يكرره المسلمون، ونرى في هذه الآية تسامحاً دينياً جلياً، ولكن على نحو مشابه ومؤكد فالمعاملة بالمثل من الطرف الآخر مطلوبة أيضاً، الاحترام وليس التسامح الديني فقط هو ما نحتاج إليه.

يطالب المسلمون بحقوق إنسانية معروفة، منحهم الله إياها، وهذه القضية تشكل تحدياً لم يؤخذ في الحسبان، كما يجب، وهكذا فإن خطوط المعركة قد رسمت.

إنّ الرسوم الكاريكاتورية التي أساءت إلى الرسول محمد ﷺ، والهجمات الشنيعة على الإسلام، والأذى الكبير الذي أصاب صفحات من القرآن الكريم هي فقط بعض من الأعمال التي دفعت المسلمين إلى حماية عقيدتهم، وبينما لم تهز الإسلامَ تلك الهجماتُ ضد الرسول محمد ﷺ، وضد القرآن الكريم، فقد كان لها على نحو مناقض الأثر الإيجابي بإعادة التعبئة الروحية للعالم الإسلامي برمّته، أضف إلى ذلك أنها أشارت، ضمن عيون المجتمعات الدينية غير المسلمة، إلى حقيقة أن الإسلام قد واجه هجوماً ظالماً وكافراً، ولم يكن المسيح عليه السلام، ولن يكون بمنأى عن التشويه، الذي يخطط له أصحاب العقول الشيطانية.

وهكذا، فقد كان على المسيحيين أيضاً أن يضعوا حداً أخلاقياً بين أنفسهم والمجموعات المعادية للإسلام، يأمر القانون المسيحي الأساسي بالتسامح واحترام الحقوق الدينية للآخرين، ويعلم المسيحيون الحقيقيون جيداً تماماً أن المسيح عليه السلام وجّه بأن يستعد الإنسان للتضحية بحياته من أجل أصدقائه:

(13❖لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِه)، يوحنا 15: 13.

وأكّد المسيح عليه السلام الحاجة إلى أن يكون المرء مستعداً في أثناء المواجهة، وقد قتل الرومان قريبه يوحنا المعمدان، وأعلن القديس أوغسطين، الذي كان العالم اللاهوتي البارز، الذي ترك بصمة واضحة على الكاثوليكية الرومانية، عن المذهب القائل إنّ لدى المسيحيين الحق بالدفاع الجسدي عن أنفسهم.

أمّا على الجبهة السياسية، فإنّ التصرفات الغربية، التي طالبت بنشر الديمقراطيات في العالم الإسلامي وتأسيسها كان لها تأثير سلبي، لقد أصبحت الديمقراطية كلمة سيئة حقاً، وأصبح من واضحاً جداً أنّ إله الديمقراطية الغربي هو شيطان، يتنكر بمظاهر متعددة يجري إنتاجها في الاستوديوهات الأمريكية، ورُفضت تلك الديمقراطية، التي قادت إلى انتخاب حركة حماس، وأكثر من ذلك، فإن تعليقات الرئيس باراك أوباما الصبيانية، التي قالت إن حركة حماس منظمة إرهابية، تظهر إخفاق أوباما في إدراك أنه أدان أكثرية الناس في فلسطين، الذين انتخبوا حركة حماس لتقودهم، إذاً إنه يرفض أن يتعامل مع الشعب الفلسطيني، أما حكومة العراق، التي تعد لعبة بأيدي الأمريكيين، فهي نسخة بائسة عن كيفية إنشاء حكومة، يقال عنها ديمقراطية، والرأي على أرض الواقع هو أنه إذا لم تكن الحكومة الديمقراطية موالية للغرب فهي ليست ديمقراطية مقبولة بالمعايير الدولية.

النتيجة إذاً هي شك المسلمين في معنى الديمقراطية ونظرهم إليها خديعة غربية، أو بمنزلة حصان طروادة، صُنع في الولايات المتحدة، ليتم تقديمه ونشره في قلب الشرق الأوسط، لقد أصبحت هذه الديمقراطية مترافقة مع جورج بوش ومرفوضة في الوقت ذاته، ويتحرك المسلمون الآن أكثر من أي وقت مضى إلى إنشاء نظام دستوري، يتوافق مع المعايير الإسلامية، أما النسخة الغربية عن الديمقراطية فهي مرفوضة بغض النظر عن الصيغة المثلى.

والنتيجة النهائية هي أنّ مقاومة الديمقراطية الغربية أصبحت جزءاً من المقاومة الكلية للهجوم الغربي على الإسلام، ولا يفوّت النشطاء السياسيون الفرصة بأن يستغلوا القضايا الدينية لتحقيق بعض الانتصارات على الغرب في مسألة القضايا الدستورية.

تزداد المخاوف من دور السلطة العلمانية في تركيا، التي تمثل اليوم النموذج الأسوأ في الإساءة إلى الإسلام، لقد أصبحت تركيا علمانية لتحقيق المصالح المادية فقط المبتغاة من سعيها لتصبح عضواً في الاتحاد الأوروبي، والقوة التي يهدد بها الدستور التركي عندما يلوح بعصا العلمانية ضد الشعب المسلم هي اتهام يمثل وحشية الديمقراطية، التي جرى تصميمها لكي تلائم اللباس الغربي والمجموعات المعادية للإسلام، إنّ اضطهاد المعارضة الدينية بالتحصّن بالعلمانية هو ضربة لأي جهود تبذل للتوصل إلى تسوية بين السلطة الدينية والعلمانية، وحظر الحجاب هو رفض واضح وصريح للتقاليد الدينية والحضارية للمسلمين الأتراك، أما الحظر المفروض على أي حزب سياسي يسعى إلى تغيير علمانية تركيا فهو إهانة للحرية الديمقراطية الحقيقية، ولأنها دولة إسلامية سابقة، فإنّ رفض تركيا الحالي لأي تسوية سوف يفتح أبواب الجهاد.

وحتى تتعقد الأمور أكثر، نسمع عن بعض الأطراف في تركيا، وهي تبذل جهداً جدياً لمواكبة الإسلام مع القرن الحادي والعشرين، إذا كان هذا الجهد يعني وجود تفسير جديد للقرآن الكريم، أو أي تعديل أو تغيير يطرأ على نص القرآن نفسه، فهذه الجهود تمثل التجديف ذاته.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾، (سورة التوبة، الآية 107).

يحذّر القرآن الكريم من الفتنة:

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾، (سورة التوبة، الآيات 47-48).

تدرك الأطراف الإسلامية جيداً أن حكومة تركيا العلمانية قد اقترفت إثماً، عندما حرّضت على الإسلام والمؤمنين، وأضعفت القيم التقليدية، وتحدّت رسالة القرآن الكريم الواضحة، وستقول هذه الأطراف للعلمانيين:

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾، (سورة التوبة، الآية 66).

لقد رُسمت خطوط المعركة، أما المسلمون، الذين كانوا مقتنعين، فهم يتدارسون الإسلام كله مدركين في الوقت نفسه أن القرآن الكريم يمثل برنامج عملٍ اجتماعي وسياسي واقتصادي، يدعو إلى العيش في مجتمع عادل، وظهرت الديمقراطيات الغربية المصممة، لكي تلائم البرامج الغربية على أنها دسائس المعتدين الخادعة، وفي الأحوال الحالية سوف يتظاهر المسلمون، ويبذلون أرواحهم، لكي يحققوا القيمة الجوهرية لواقعية القرآن الكريم.

أما المؤمنين فالأيام التي يعيشونها الآن ليست الأكثر ظلاماً، فعدا المحن والانتصارات التي عاشها الرسول محمد ﷺ، لم يكن هناك قط من قبل مثل هذا الامتحان الدولي لمعدن المسلمين الملتزمين، والمسيحيين الحقيقيين، وجميع البشر ذوي الضمائر الحية.

الفصل الرابع

لن يُترك المؤمنون

(1* إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي! 2❖إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ!). المزمور 13.

نلاحظ ضمن سياق هذه الترنيمة الإحباط مع مرور الوقت، حيث يصبح إمكان الاضطهاد أمراً صعباً، ويتساءل المضَّطهَدون إذا نسيهم الله سبحانه فعلاً، أو أنه سبحانه سوف يستمر في تجاهل مصيبتهم، لكن الواضح أنه حتى عندما تُذكر تلك الكلمات الحزينة، مازال هناك إيمان قوي بالله.

وفي السنوات الأخيرة فإنّ استمرار الهجوم العنيف على المسلمين في البلقان وأفغانستان والعراق وفلسطين وفي إفريقيا، والهجوم المترافق عليهم ضمن ما يسمى الحرب على الإرهاب، يعني أنّ المعتدين لم يتركوا شيئاً لم يفعلوه في محاولاتهم المستمرة لكسر إيمان المسلمين وإضعافهم، وتعدّ الجرائم بحق المسلمين، وحالات الاغتصاب، والاحتلال، وسرقة الطاقات، وتدمير البنى التحتية، وخلخلة الاقتصاد، وإحداث الفوضى العامة، والاعتداء المميت على عامة المسلمين، وتشويه سمعة دينهم بالإعلام، وتدنيس القرآن الكريم جميعاً جهوداً في سبيل الهجوم النفسي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والجسدي على نفسية المسلمين في العالم للوصول إلى هدف محدد، وهو تدمير إرادتهم في الاستمرار في التزام تعاليم دينهم، ولكي يتخلوا عن عقيدتهم وإيمانهم وهويتهم.

إلى متى يستطيع المسلمون تحمل هذه الأوقات العصيبة؟، وإلى متى يستطيعون تحمل انتصارات المعتدين؟.

لكن هذا تحديداً ما تنبأ به القرآن الكريم، إن الخالق سبحانه يعلم جيداً تاريخ الإنسان، والقرآن الكريم تحدث عن أناس وقبائل فعلت ماهو مماثل للولايات المتحدة وبريطانيا، ومثل هذا الفعل البشري قد ذُكر في القرآن الكريم على نحو واضح، أما المؤمنون الأفراد، فإن لهم الاهتمام الخاص، كما هو مذكور على نحو متكرر في القرآن، والإحباطات التي يشعر بها المؤمنون والغضب العارم لهذه المجموعة من الناس، التي تخضع لهجوم غير أخلاقي وغير ديني ليس بجديد في التاريخ البشري، وليس أيضاً بجديد على الله سبحانه.

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾، (سورة آل عمران، الآية 179).

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، (سورة المؤمنون، الآية 1).

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾، (سورة فصلت، الآية 31).

ويتنبأ القرآن الكريم في إشاراته بحقيقة أن الشعوب الطالحة سيكون مصيرها الدمار، ولن يُترك المؤمنون في حالة الاضطهاد الحالية التي يعيشونها، وهذا يعدّ وعداً صريحاً من القرآن الكريم.

والمهم هنا هو أن الله سبحانه وتعالى يؤكّد أنه نصير المؤمنين «في الحياة الدنيا»، وليس فقط في «الآخرة».

ويقطع الكتاب المقدس هذا الوعد أيضاً:

(3*أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ لِي. مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي). المزمور 3: 3.

وما هو مهم أيضاً هو أنّ القرآن الكريم يسهب في ذكر كيف يريد الله سبحانه حماية المؤمنين:

﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾، (سورة الفتح، الآية 22).

يتوقع الله سبحانه من المؤمنين مقاومة الهجمات ضدهم، وضمن سياق هذه الحملات الهجومية لابدّ أنّ المعتدين سوف يولّون الأدبار للبحث عن العون من مصادر أخرى، قد تكون من حلفائهم أو حتى اللجوء إلى الله، عندها لن يجد المعتدون أي نصير أو معين، وسوف تنتصر المقاومة، وقد أظهر تاريخ البشرية أن الاضطهاد يولّد المقاومة، وإذا كانت هذه المقاومة مبنية على معتقدات دينية وأخلاقية، فسوف يتدخل الله سبحانه بطريقة أو بأخرى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾، (سورة الفتح، الآية 23).

ومع أنّ المعتدي قد خطط لهجومه ضمن فترة زمنية، ومن ثمّ فاجأ المعتدى عليه، فلن يكون هناك على نحو ضروري أي انتصار، قد يفوز به المعتدي في آخر الأمر.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾، (سورة الأنفال، الآية 30).

لقد خططت الولايات المتحدة وبريطانيا ضمن هجومهما على العراق وأفغانستان لطرد حكومتي الدولتين والسيطرة على هذه المناطق، لكن التاريخ المعاصر يظهر أنّ المقاومة كانت مرنة على نحو كاف، أبطلت معه أثر هذه الهجمات، لقد أخفق التحالف في جذب أوروبا للتورط في العراق، وتعد زيادة القوات الأمريكية الأخيرة في العراق الجهد غير الناجح الأخير للرئيس غير الناجح بوش، الذي فقد السيطرة على الحكومة الأمريكية، وخسر الأكثرية لمصلحة الديمقراطيين، وأخذ التحالف بالانحلال بعد أن سحبت دول شريكة مثل إسبانيا وأستراليا واليابان قواتها من العراق، وهكذا فقد ولّت الولايات المتحدة وبريطانيا

الأدبار، ولم تجد أي نصير أو معين، ليس في حكومة العراق العميلة، التي يدرب التحالف قواتها، والتي تعد عاجزة عن إنشاء جيش قادر على تثبيت دعائمها في مواجهة حركات المقاومة، وحتى الاقتتال الطائفي بين السنة والشيعة في العراق ليس بقادر على أن يشتت الانتباه عن برنامج العمل المركزي المتمثل في طرد المحتلين غير الشرعيين ونظام الحكم الذي وضعوه، ويبدو أن حربين، حرباً طائفية وحرباً ضد المحتلين، تشتعلان معاً في الوقت الذي كان المرء فيه يتوقع أن العراقيين تغاضوا عن قوات الاحتلال، وهذا ما كان سيضمن النصر لهذه القوات، وسواء كان العنف الطائفي مدعوماً من طرف ثالث أم لا، لم يسبب هذا العنف تراجعاً رئيساً في حركات المقاومة وقتالها ضد قوات التحالف، يريد الكونغرس الأمريكي أن تنسحب قواته من العراق، وجورج بوش هو الوحيد في هذه الحرب، وقد سبّب طوني بلير إحراجاً لحزبه، حيث أصبح عبئاً ثقيلاً على حزب العمل البريطاني، لقد مكر جورج بوش وطوني بلير في هذه الحرب، لكن الله سبحانه يخطط ويمكر أيضاً: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ .

يؤكد القرآن الكريم الجانب المهم المتمثل في أنّ الله سبحانه عليم بكل شيء: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾، (سورة الزخرف، الآيات 79-80) .

ما الذي يمكن أن نستنتجه إذاً من الفعل الذي يسمح به الله سبحانه، عندما يخضع الإنسان للاضطهاد؟، يقرر القرآن الكريم أن هذا الفعل هو حقيقة مستمرة، وقد أثبت نجاحه في الماضي، إن الإنسان المغرور، الذي يتبع منهجاً عنيفاً في حياته، لا تحيطه إرادة الله سبحانه فجأة، فهو، كما يوصف في مواضع من القرآن الكريم، (يُمَدّ له) حتى يستمر في ارتكاب انتهاكاته، وقد بارك الله سبحانه في المقاومة

والجهاد، ومستوى هذا الجهاد هو شيء ملهم، حيث يحقق الانتصارات المتتالية، التي لا تدركها أعين المعتدين، ويبدو التأثير النفسي في القوات المعتدية من أوطانهم، حيث تبدأ المقاومة في وطن المعتدي بالنمو والازدياد، ويهجر المتحالفون قائدهم الأول، إذاً إن هذا الإلهام الروحاني للمؤمنين هو جزء من فعل الله سبحانه وتعالى وخططه.

أما الحد الذي يؤثر فيه الله سبحانه في منحى بعض الأحداث فهو عائد إلى إرادته الحكيمة، ويرسل الله سبحانه رسائل مباشرة، تلهم أولئك المؤمنين، الذي يدافعون عن عقيدتهم، كما يسمح الله للمجرمين وهؤلاء الذين يسعون في الأرض فساداً بالاستمرار في نياتهم الشريرة إلى أن يحين وقت يحدده الله سبحانه، أو يحدده الإدراك الذاتي لهؤلاء الناس، وكما يظهر القرآن الكريم، سوف يدمر الله سبحانه في الوقت الملائم وضمن الأحوال الملائمة القبائل أو الأمم المعتدية بإرادته قبل يوم القيامة.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾، (سورة مريم، الآية 83).

وعندما يصل الشر إلى مرحلة يتحدى فيها المعتدون بجنون جميع القوى والقيم الأخلاقية، ينمو الشر ويكبر، حتى يدفع أولئك المعتدين إلى تدمير أنفسهم بأنفسهم، وهذا حقاً جزء من خطة الله سبحانه وإرادته.

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾، (سورة مريم، الآية 84).

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى المقاومة بألا تقوم بعجلة أو بإلحاح غير ملائم، ولكن أن تتحرك بحكمة، لقد منح الله سبحانه المعتدين وقتاً قصيراً ومحدداً فقط، لكي يرتكبوا جرائمهم، وهذا الوقت ليس أبدياً، ويمكننا القول فعلاً إن أيامهم أصبحت معدودة.

الفصل الخامس

المنذرون والنُذُر

لا يمكن أحدنا أبداً القول إنه في القرن الحادي والعشرين لا يعلم ماذا يحدث في العالم، لقد كان هناك أنبياء ومنذرون، أُرسلوا قبل الرسول محمد ﷺ، لقد كان هناك موسى عليه السلام والمسيح عليه السلام، وآخرون أيضاً قبل الرسول محمد ﷺ.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾، (سورة القصص، الآية 59).

﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾، (سورة طه، الآيات 1 حتى 4).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾، (سورة الشورى، الآية 7).

من المهم ملاحظة أن اللغة العربية هي لغة القوم الذين تلقوا رسالة الإسلام، ولهذا فقد صيغت هذه الرسالة على نحو واضح وبسيط لهم، وبدأت هذه الرسالة في مكة المكرمة، لكنها توسعت بعد ذلك، وذهبت إلى أبعد من مكة، خاصة أن المؤمنين قد أُمروا بحمل الرسالة ونشرها إلى جميع الأماكن، لذلك إذا تخيل الواحد منا أن مكة المكرمة هي مركز العالم الإسلامي، فقد كان على الرسالة أن تنتشر إلى جميع الأماكن حول هذا المركز، أي إلى أطراف العالم أجمع.

أي أن طرق العيش الخيّرة التي جسدها القرآن الكريم مرتبطة بالعالم أجمع، وليست حكراً على المؤمنين الحاليين فقط.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾، (سورة مريم، الآية 97).

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، (سورة الزخرف، الآية 61).

يجب على المسيحيين أن يعطوا انتباههم للآية المذكورة سابقاً، إنّ تقوى الله سبحانه هي الطريق المستقيم.

(13❖ أُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! 14❖ مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!). متى 7: 13.

لقد كان الرسول محمد ﷺ، منذراً للبشرية:

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾، (سورة فاطر، الآيات 23-24).

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾، (سورة النجم، الآية 56).

إنّ رسول الله محمداً ﷺ، هو خاتم الأنبياء، أما أولئك الذين يؤمنون بقدوم رسول بعده، فالسؤال الذي نطرحه هو لماذا؟، لماذا يجب أن يكون هناك رسول آخر بعده؟، لماذا يحتاج العالم إلى رسول آخر؟، هل مازلنا في القرن الحادي والعشرين جاهلين على نحو نحتاج منه إلى رسول آخر؟، ماذا سيضيف هذا الرسول إلى شيء قد قيل من قبله؟، قد يقول النقاد إن أولئك الذين يلقبّون أنفسهم المسيحيين، مثل المسيحيين الصهيونيين، ينتظرون أيضاً عودة المسيح.

لقد أعلن القرآن الكريم على نحو قاطع أنّ القواعد قد تمت وأنّ الطرق الشرعية التي يجب أن يتبعها الإنسان قد وُضِعت، وهكذا فإما أن

يطيع الإنسان هذه القواعد والطرق، وأما أن يواجه العواقب، إنّ القرآن الكريم هو الرسالة السماوية الأخيرة والختامية، ونحن بشراً لا نحتاج الآن إلى أكثر من ذلك الذي نملكه حالياً. وإذا قمنا مسيحيين بإعادة قراءة العهد الجديد والقرآن الكريم على أنهما الرسالتان الختاميتان، نستطيع إذاً أن نرى جميع القواعد والتوجيهات الرشيدة ونملكها.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾، (سورة التكوير، الآيات 27-28).

ويحوي القرآن بين طياته جميع النُذُر الممكنة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾، (سورة آل عمران، الآيات 116-117).

إنّ الوحي القرآني ذاته يشكل النذير الأخير، ولقد أخفقت ستمئة عام من التعليم المسيحي في تحويل أوروبا إلى التزام المعايير الأخلاقية، ولو نجحت الحركة المسيحية في ذلك لما كان هناك على نحو مؤكد أي سبب لظهور الرسالة السماوية المتمثلة في الإسلام، ويشهد القرآن الكريم في الواقع على إخفاق الغرب في الوصول إلى المعايير الأخلاقية المطلوبة، وإن النمو المطرد لتأثير الإسلام في العالم هو نتيجة لتراجع الوجه الدولي للمسيحية وانحداره.

وإذا رجعنا إلى الوراء، آخذين هذا الاستنتاج في الحسبان، لرأينا أنّ أوروبا وصلت إلى حافة الانهيار والإفلاس من الناحية الأخلاقية، ولم يكن هناك إعادة تقييم أو تفكير في الوضع، أو أي تدقيق في التوازن الأخلاقي، وحتى بعد البروز المذهل للرسول محمد ﷺ، واختياره في عام

608 للميلاد ليصبح رسول الله، لم يتساءل أي أوروبي إذا كان هذا الدين القادم من الجزيرة العربية، والذي ترك بصمته المؤثرة في غضون عقد من الزمن، وبنتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية على الشرق الأوسط، يمكنه أن ينتشر في العالم كما فعلت المسيحية من قبله، لم يتساءل أحد: لماذا عندما بنت المسيحية لنفسها قاعدة في الشرق الأوسط كان هناك هذه القوة الدينية الجديدة القوية والمنافسة؟، لماذا أتى المنتَج المسيحي ثانياً في مثل هذا السوق؟، هل كان هذا خطأ المؤمن؟، هل كانت صورة القيادة المسيحية المزعومة ملطخة؟، هل كانت النصرانية اللاعب الأقل تأثيراً في مواجهة القوى العلمانية؟، هل كان الإسلام صديقاً أم عدواً للمسيحية؟، ألم يكن التحالف بين العقيدتين أفضل للعالم في ظل وجود معارضة قوية ومتنامية من القوى العلمانية؟، لقد خضعت الكنيسة الكاثوليكية حقاً للقوى العلمانية، وكانت مدينة الفاتيكان تسوية لحفظ ماء الوجه.

وعلى مر ألفي سنة بعد ذلك، سيطرت القوى غير الدينية على العالم متخفية بوجه مسيحي وبوجوه أخرى، أما نحن، الذين نؤمن بالله، فعلينا أن نطرح تلك الأسئلة الآن، حتى لو أخفق أجدادنا في طرحها.

وعند النظر إلى محتوى القرآن الكريم يبدو العذاب والاضطهاد، وكأنه جزء من تاريخ البشرية فقط، لأن الإنسان سمح لنفسه بأن يقع في مستنقعات المياه الروحية الراكدة، إنه لتاريخ قصير منذ ظهور المسيح عليه السلام إلى الآن، لكنه مع ذلك تاريخ خامل وهامد، أصبح فيه التدين المسيحي مظلماً، وسيطرت فيه جميع القوى العلمانية المعارضة.

لقد ازدهر الإسلام على نحو ملحوظ، وأصبح العدو الأول للقوى المعادية لقواه الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

يجب على المسيحيين أن يعيدوا التفكير في معمودية المسيح من قبل يوحنا، وأن يعيدوا التفكير أيضاً في معموديتهم، إن إعادة التسلح

الأخلاقي لمسيحيي العالم سوف يسحبنا من هذه المياه الروحية المظلمة، وتضعنا على طريق التحالف مع المسلمين بعدّهم شركاء في الرحلة المشتركة في سبيل الله من دون أن نخسر هويتنا، لكن تأكيداً لأخوة كانت، ومازالت تعد مصيرنا المشترك.

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ۞ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾، (سورة الأنبياء، الآيات 91-92-93).

إنّ التحذيرات والأوامر المذكورة في القرآن الكريم هي في صلب القضية، وفي جميع هذه التحذيرات، هناك تذكير صريح بأن الهدف الإلهي متوقع في الأعمال والنيات الإنسانية.

إنّ التحذير الأخير متمثل في القرآن الكريم، لقد أرسل الله سبحانه الرسول محمداً ﷺ، برسالة يجب علينا أن نوليها اهتمامنا.

الفصل السادس

عقوبة المخالفين لأمر الله

من الجدير بالذكر فيما يتعلق بالمخالفات أن القرآن الكريم أعلن أن السارق مثلاً يجب أن تقطع يداه، ما العقوبة التي ينزلها الله سبحانه سوى نار جهنم على القبائل والأمم، التي تسلب المؤمنين أراضيهم وحقوقهم، وتُخضع الأمم المؤمنة عبر بتغيير الأنظمة الحاكمة وإرساء حكومات عميلة كافرة بدلاً منها؟، هل ستُقطَع أطراف أفراد تلك القبائل والأمم من أجسامهم؟، هل سيكون هناك أذى جسدي أكبر يطبّق على نطاق أوسع؟.

لقد اكتسب وضع المؤمنين المظلوم التعاطف والنيات الحسنة من الشعب الأمريكي وجعله يقف بعيداً عن حكومته، لكنّ هذا التعاطف لا يبرئ الناخب الأمريكي.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. (سورة المائدة، الآية 44).

إنّ أي دفاع إنساني عن أولئك الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يحاسبهم على أفعالهم الشريرة لن يساعدهم أو يعينهم، وفي المقابل لا يجوز لأي إنسان أن يتحدى حكم الله سبحانه في هؤلاء القوم.

يتساءل النقاد قائلين: ماذا فعل الشعب الأمريكي وفقاً لحقوقه الديمقراطية، لكي يوقف الحرب ضد المسلمين؟، عندما يصدق مجلس النواب الأمريكي قرارات الرئيس، فهل هذ التصديق يمثل مواقف الشعب الأمريكي؟، ربما تصبح مثل هذا التصديق فعلاً برهاناً على الذنب الذي اقترفه الشعب، ولن يكون كافياً ادّعاء الأمريكيين بأنهم قد خُدعوا، وهذا الادعاء يمكن أن يقال بقصد للتخفيف عن الذنب فقط، لكنه لن يبرّئ ساحة الأمريكيين.

ونكرر هنا آية من القرآن الكريم، لا تتعلق بالمعتدين وحسب، لكنها تتصل على نحو رئيس بالناس، الذين كانوا يعلمون ما يجري، وهذا تماماً ما يمكننا أن نقوله عن قادة الدول، لكن كما هي الحال لدى جميع الناس المطّلعين، سوف يكون الفرد الأمريكي والبريطاني مسؤولين عن خطئهما وعن مساهمتهما في أخطاء وذنوب قادتهما.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾، (سورة النساء، الآية 85).

﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾، (سورة النحل، الآية 25).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه علينا أن نتحمل ذنب الإخفاق وعقوبته في تثقيف الآخرين ونصحهم خاصة أننا نعلم أوامر الله سبحانه وتوجيهاته، وهكذا يجب علينا أن نشترك في حمل العبء مع الجاهلين والمخدوعين، وبينما سيغفر الله سبحانه للقسم الأخير جزئياً، سوف نعاني العبء الكامل لإخفاقنا في التحرك وإيصال حقيقة ما نعرفه إلى الناس، إضافة إلى المعاناة الناتجة من أولئك الذين لم نفلح في إطلاعهم على الحقائق.

وبناء على التحذير القرآني، الذي أشارت إليه الآية السابقة، يجب على المؤمنين ألا يستكينوا، ويتراجعوا عن القضايا الهامة، التي تتعلق بهم.

وكما يمكننا أن نرى في القرآن الكريم، فإنّ المغفرة التي تمنح لإنسان مقابل آخر ليست شيئاً مادياً مقابل شيء إلهي، إنّ الرحمة، التي يسعى إليها الناس الذين ظُلموا، لا يمكن أن تحل محل العدالة، التي سوف يحلّها الله سبحانه، فهو وحده الذي يقرر من ستجري عقوبته وإلى أي مدى، إنّ هذه الحقيقة هي بإرادة الله واختياره، وليست بإرادة الإنسان،

أي إن المغفرة التي يسعى جميع المسلمون إليها، والصلوات التي يقومون بها لإنزال الرحمة على القتلة واللصوص الغربيين، لا يمكنها أن تثني الله سبحانه عن إنزال العقوبة الملائمة.

﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾، (سورة مريم، الآية 87).

يجب علينا أن نعلم أيضاً أن الله سبحانه ليس مقيداً بمثل هذه الشفاعة، لقد ذكر الله جلّ وعلا أنه سوف يأخذ تلك الشفاعات وصلوات الرحمة الآتية من أفراد محددين، (من الأنبياء والأتقياء) في الحسبان، لكنه سبحانه هو الوحيد الذي يقرر إنزال العقوبة أو عدمه.

لاحظ أنه عندما يتعلق الأمر بعقاب الأمم أو القبائل المتكبرة، فقد اختار الله سبحانه أن يدمرها:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾، (سورة الكهف، الآية 59).

ويبرز التحذير المحدد للقادة والأمم على نحو واضح في الآية التالية:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾، (سورة محمد، الآيات 22-23).

إذاً في هذه الآية هناك قاعدة واضحة وبسيطة، تقول إنه يجب على القادة أو الأمم ألا تظلم الآخرين، أو أن تنتهك حدود الإنصاف والعدالة، التي حددها نص القرآن الكريم.

لا يمكن النيات الديمقراطية، التي وضعها الإنسان، أن ترتقي إلى كمال ميزان العدالة، التي ذكرها القرآن الكريم، ومما لا شك فيه أنه ليست هناك أي نيات ديمقراطية، تسمح بسفك دماء المؤمنين وسلبهم أراضيهم بذريعة أنّ إحلال هذه «النيات الديمقراطية» كان العمل الصحيح.

لقد وعد القرآن الكريم بإضعاف أنماط النفوذ، التي تتخذها الدول المعتدية، وسوف تجد هذه الدول نفسها حتماً وعلى نحو بطيء ضعيفة النفوذ.

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾، (سورة الأنبياء، الآيات 43-44).

لقد واجه الاتحاد السوفييتي السابق هذا المصير، عندما فقدت روسيا السيطرة عليه، وفقدت القوى الاستعمارية سيطرتها على مستعمراتها السابقة، هل تتوقع الولايات المتحدة أن تستمتع بسيطرتها المطلقة على العالم بالقوة والاقتصاد إلى الأبد؟، تسعى أوروبا الآن إلى الحصول على قوة مسلحة على نحو مستقل عن أمريكا، وهي تطور اقتصادها الخاص بها، مدركة في الوقت نفسه أن الولايات المتحدة وطنية على نحو أناني في تبنيها للتجارة الحرة العالمية، إن سياسة الحماية الأمريكية في قطاع الفولاذ فاجأت أوروبا بعد فترة قصيرة من الإجماع المزعوم في الحرب على أفغانستان، ورأت أوروبا تراجع الولايات المتحدة في الحرية الاقتصادية، وساهمت جنوب إفريقيا في عزلة أمريكا، عندما استضافت مؤتمراً عن العنصرية، ونأت روسيا وفرنسا بنفسيهما عن حرب العراق، حتى إن الرئيس الروسي بوتين شجب على نحو قاطع اتهام بلير للعراق، حيث لم يثبت هذا الاتهام أي شيء ضد هذا البلد، وقد خُفّف القرار بعد ذلك، لكي يحرم الولايات المتحدة الحق التلقائي بشن الحرب، وقد تضمن القرار أن العواقب الوخيمة التي قد يواجهها العراق يجب أن تحددها الأمم المتحدة، وليس البيت الأبيض، إن غزو الولايات المتحدة للعراق فردياً مع ما يسمى التحالف ساهم في

عزل أمريكا على نحو أكبر، كما كان رد الفعل العالمي على أنانية أمريكا في قضية التلوث البيئي مدوياً، أما رفض الولايات المتحدة قبول شرعية المحكمة الجنائية الدولية فدق ناقوس الخطر، خاصة عندما يتعلق الأمر بقوتها العسكرية في العالم، لقد انحدر تأثير أمريكا دراماتيكياً منذ بدء مغامرتها العراقية، وتلقى صدقها ومصداقية بريطانيا صفعة قوية مستحقة، ويستمر الدعم الأمريكي والانكليزي لإسرائيل ومعاييرها المزدوجة في تعريف الإرهاب والإرهابيين، وفي تعريف العدوان والدفاع عن النفس في تعميق الخلاف بين هاتين الدولتين وبقية دول العالم، ومع البرود الدبلوماسي يتضح من ردة فعل الناس على الأرض أن الولايات المتحدة وبريطانيا ومعهما إسرائيل تتحول بسرعة إلى دول منبوذة، وبينما يستمر بلير في جولاته المكوكية الدبلوماسية، فهو يعد غير مرغوب، أو مدعواً وزائراً غير مرحب به، وخصوصاً أن وجوده أصبح لا يحتمل، وعلى نحو مؤكد، لو كان التعاون قريباً على نحو إرادي لكان الوزراء من بقية دول العالم مسرورين بالسفر إلى أمريكا وبريطانيا عوضاً من رؤية بلير، وهو يتضرع إلى المجتمع الدولي، لقد كانت بريطانيا القوة الدولية الوحيدة، التي دعمت الولايات المتحدة من دون أي تحفظ في غزوها للعراق، أما بقية الدول فقد تراجعت عن هذا الدعم، وبدت الأمم المتحدة في مأزق أمام كيفية السيطرة على تلك المغامرة الأمريكية، لقد أدان نيلسون مانديلا الرئيس السابق لجنوب إفريقيا الولايات المتحدة، عندما أعلن أنه ليس لأي دولة الحق في إملاء الأوامر على بقية الدول، وبسبب الإهمال الدولي أصبحت أمريكا اللاعب الدولي الأكثر أهمية والقائد وواضع السياسة في العالم، وهذا الوضع يخضع الآن لإعادة التفكير فيه من الأجندة الدولية، وسوف يخضع وضعه المستقبلي لتعديل يجري إقراره، إن أمريكا تسمع أصوات الشجب والإدانة لسياساتها، وبينما هي ما زالت تتخبط في مجدها الذاتي المغرور وقوتها العسكرية، فقد تضاءلت حدود تأثيرها كثيراً، لدى

الولايات المتحدة القوة العسكرية التي تؤهلها لشن الحروب، لكنها فقدت صدقها في الوقت الذي يظهر فيه أنها تحتاج إلى القدرة العسكرية الإنسانية، حتى تحتل العراق على نحو آمن. ومع تضاؤل صدقها سوف تضعف أيضاً مناطق تأثيرها، سوف يجبر العراق في النهاية كلا الولايات المتحدة وبريطانيا على الخروج من أراضي بلاد الرافدين التاريخية، وعلى ترك حقول النفط العراقية.

في شباط/فبراير من عام 2003م أصرّت فرنسا وروسيا والصين من بين دول عدة على أن يعطى المفتشون وقتاً أكبر، حتى يكون هناك حل سياسي، وعلى زيف ادعاءات بريطانيا وأمريكا من أجل غزو العراق.

وفي حزيران/يونيو من عام 2003م حذرت إيران الولايات المتحدة من التدخل في شؤونها الداخلية، كما أكدت إيران على حقها في امتلاك التكنولوجيا النووية، تماماً مثلما تملك أمريكا وروسيا هذا الحق، وقد كان هناك المفتشون النوويون، تماماً كما كانوا في العراق، لم يجد المفتشون شيئاً في العراق غير حرب كانت تنتظر شنها على كل الأحوال، هل هناك سباق في إيران للحاق بما فعلته كوريا الشمالية وبالقوة نفسها؟، في تشرين الأول/أكتوبر 2003م خضعت إيران دبلوماسياً لمطالب الأمم المتحدة، لكن مع حلول عام 2007م أعلنت إيران عن حقها في السعي وراء برنامج نووي مع العقوبات والتهديدات بالتدخل العسكري الأمريكي، وكررت إيران هذا الحق في عام 2008م مع العقوبات، وهكذا فإن تأثير إيران قد ازداد فعلاً.

وعندما يتعلق الأمر بالسيطرة على العالم، يجب أن نتذكر أن نابليون وهتلر أخفقا في تحقيقها، وكان جنكيز خان هو الوحيد الذي حافظ على نفوذه الكبير مئتي عام، لكنه لم يسيطر على العالم إلى الأبد.

ألا ترى الولايات المتحدة وبريطانيا أنهما تفقدان السيطرة على الأراضي، التي كانت سابقاً تخضع لنفوذهما؟، إن مناطق تأثير كلتا

الدولتين تتقلص بسرعة، إن التحالف الذي افتخرت به هاتان الدولتان كان دولاً ذات تأثير محدد، ولم تعوض فقدان الدعم، الذي تمثل في غياب الدول المؤثرة في الساحة الدولية.

إن القيادة الملهمة هي تلك التي تملك القدرة على جمع الدعم الشعبي القوي والمنطقي، والتي تدرك وتسمع صوت الشعوب أيضاً، وقد قال الرئيس الأمريكي السابق وودرو ويلسون: «إن حقبة القائد يجب أن تستجيب لصوت الشعوب»، وأنا أقول إنه إذا عدت الولايات المتحدة نفسها قائداً دولياً، يجب أن تستجيب أذنها لأصوات شعوب العالم قاطبة.

لقد شجبت جنوب إفريقيا التي ترأس مجموعة دول عدم الانحياز بصراحة السعي الأمريكي للسيطرة على العالم، وبدأت فرنسا وروسيا وألمانيا بسحب دعمها للسياسة الأمريكية البريطانية في «حرب النزوات» والحرب التي تبنى على المعلومات الاستخباراتية الزائفة والمريبة، كما تتردد أوروبا والاتحاد الأوروبي معها في الموافقة على السياسة الأمريكية، وإذا كانت بعض الدول توافق على هذه السياسة، فهي لا تمثل رأي الشعوب ومواقفها، وكما سيدرك قريباً قادة أوروبا ودول الاتحاد السوفييتي السابق، فإن الهوية الوطنية تبقى العامل الأهم في قلوب شعوب كل دولة على حدة، ولن ينكر أحد هذه الحقيقة لمصلحة الولايات المتحدة، لا يريد الأوروبيون الأنظمة الدفاعية الأمريكية في بلدانهم، وفي غضون خمس سنوات فقط تفكك التحالف الأمريكي في العراق، حتى البريطانيون غير مستعدين لأن يكونوا تابعين لأمريكا، ومع ترك بلير لمنصبه فإن زعيم حزب العمل جوردن براون يمثل تماماً هذه النظرة الجديدة، لقد انسحبت القوات البريطانية من البصرة، وهي مسألة وقت فقط لكي تنسحب هذه القوات برمتها من العراق، أما رؤساء وزراء اليابان وأستراليا وإسبانيا، الذين دعموا السياسات الأمريكية، فقد خسروا الانتخابات، لأن الناخبين كانوا واثقين من أن

الانسحاب من العراق هو العامل الوحيد الذي يؤهل أي حزب جديد للفوز في الانتخابات، ويعارض رئيس الوزراء الروسي بوتين والصين أيضاً الخطط الأمريكية لنشر أنظمة الدفاع الصاروخية في أوروبا.

بدأ الغزو على العراق في العشرين من آذار/مارس عام 2003م، وعرضت وسائل الإعلام الغربية بفخر قاذفات القنابل وصواريخ توماهوك والصواريخ البعيدة المدى، وأعطتنا درساً في كيفية إدارة حرب من الطراز الأول من الأمريكيين والبريطانيين، ومنذ ذلك الوقت بدأ انهيار الولايات المتحدة.

وها نحن نسوق مثالاً من القرآن الكريم عن المصير التاريخي لشعوب عادٍ وثمود، وهي تشبه في غرورها وفخرها بمعالمها العظيمة الولايات المتحدة وبرجي التجارة العالميين، وخاصة ما يتعلق بسعي الطرفين لتحقيق «القوة المطلقة»، ويعكس تفاخر شعوب عادٍ وثمود واستمتاعها بتفوق قدرتهما العسكرية تفاخر الولايات المتحدة اليوم، وسوف تجدون في الآيات القادمة من القرآن الكريم تشابهاً كبيراً مع الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد ذُكرت شعوب عادٍ وثمود في «سورة الأحقاف»، ومن المهم جداً أن يدرك الغرب قدر هذه الشعوب ومصيرها النهائي، لقد استمتع كلا الشعبين بالغنى والقوة:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾، (سورة الأحقاف، الآية 26).

لقد عصى شعب عاد رسل الله سبحانه، وقد ناشدهم رسول الله هود أن يخافوا الله سبحانه ولامهم على ما كانوا يفعلونه:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾، (سورة الشعراء، الآيات 128-129-130).

استجاب شعب عاد بغرور، وأعلنوا أنه لا يجب تحذيرهم، كما ادّعوا أنهم حُذِّروا من قبل، ورفضوا هذه التحذيرات بازدراء، لقد رفضت عادٌ الاعتراف كما قال رسول الله ﷺ هود: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، (سورة الأعراف، الآية 69).

تماماً كما يصرح العلمانيون والملحدون المعاصرون اليوم، فقد صرح شعب عاد معلنين بأن هذا الفعل كان عادة آبائهم وأجدادهم، وأنه لم يكن هناك إله واحد، أو يوم قيامة، أو لن ينزل عليهم غضب الله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾، (سورة الشعراء، الآية 138).

ويذكّرنا القرآن الكريم بالتالي:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، (سورة الشعراء، الآية 139).

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾، (سورة فصلت، الآية 15).

ربما يجب على الولايات المتحدة وبريطانيا ملاحظة الآية الكريمة التالية، التي تذكر التحذير الذي أطلقه نبي الله صالح لشعب ثمود، وهم من خلفوا قوم عاد بعد أن دمرهم الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾، (سورة الأعراف، الآية 74).

لكن شعب ثمود رفضوا الأخذ بتلك النصيحة، وكانوا مسرفين ومغرورين:

﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾، (سورة الشعراء، الآية 152).

مثل عاد رفض شعب ثمود الاستماع لتحذيرات رسول الله عليه السلام صالح:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾، (سورة هود، الآيات 66-67-68).

لقد شهد شهر شباط في عام 2002م فيضانات مدمرة، ضربت المملكة المتحدة، ومع حلول اليوم الحادي عشر من هذا الشهر دمّرت الفيضانات عشرة آلاف منزل، كما فاضت عشرات الهكتارات من الحقول في الوقت الذي دعت فيه شركات التأمين الحكومة إلى العمل لمنع حدوث تلك الفيضانات، كم من البيوت البريئة في أففانستان، قبل حدوث الفيضانات بفترة قصيرة، دمرتها الصواريخ والقنابل البريطانية؟، ألا يجب أن نتوقف هنا لنتفكر؟، شهد شهر تشرين الأول 2002م عواصف عنيفة، ضربت بريطانيا، كما عانت الولايات المتحدة الأعاصير المدمرة أيضاً، ومع حلول حزيران من عام 2003م، ضرب 83 إعصاراً الولايات المتحدة بعد بدء فترة قصيرة من غزو العراق، لم يتوقف الغزو، وفي الوقت نفسه اكتسحت الأعاصير الوسط الغربي من الولايات

المتحدة، وضُربت مدينة أوكلاهوما في التاسع من حزيران/يونيو عام 2003م، وعانت إسبانيا، وهي التي كانت عضواً في التحالف، فيضانات مدمرة في الفترة نفسها، كما وصل إعصار إيزابيل إلى العاصمة الأمريكية واشنطن في أيلول/سبتمبر 2003م، ووصلت الخسائر المادية إلى تريليونات الدولارات، وبقيت ملايين المنازل في المدن التي ضربتها الأعاصير من دون كهرباء، ومع حلول عام 2008م كان أكثر من 1000 إعصار قد ضرب أمريكا، ولم يكن العام منتهياً بعد.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾، (سورة فصلت، الآية 16).

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾، (سورة الملك، الآية 17).

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، (سورة فصلت، الآية 17).

لقد دُمّر قوم لوط أيضاً بسبب عنادهم وتكبرهم:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾، (سورة الشعراء، الآية 173).

وفي الكتاب المقدس ذُكر أصحاب الأيكة، الذين لم يطيعوا رسل الله سبحانه، وهكذا نزل غضب الله عليهم:

(6يُمْطِرُ عَلَى الأَشْرَارِ فِخَاخاً نَاراً وَكِبْرِيتاً وَرِيحَ السَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ. 7لأَنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ. الْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ). المزمور 11: 6- 7.

شهدت أستراليا في كانون الأول من عام 2002م حرائق غابات كبيرة، وسُوّيت الكثير من المنازل بالأرض، إذاً هناك أحداث لا يمكن فيها التحالفات العسكرية والخداع أن تكون هي المسيطرة، لا يمكن أي

حكومة إنسانية أن تسيطر على القوى الطبيعية، التي تهاجم منطقة ما بشدة ومن دون أي ندم، لقد احترقت مناطق شاسعة من كاليفورنيا الأمريكية في تشرين الأول/أكتوبر 2003م، واكتسحت حرائق الغابات آلاف الفدانات، وعندما قاربت نهاية هذا الشهر، كان آلاف المنازل قد دمرت وآلاف أخرى معرضة للخطر، ومع حلول منتصف شهر تشرين الثاني/نوفمبر زال 3500 منزل، ولم يتمكن 8000 إطفائي من وقف حدة انتشار الحرائق أو تخفيضها، وهكذا واجهت القوة العظمى في العالم الإذلال والإهانة ومازالت، ويوضح القرآن الكريم سلطة الله سبحانه وقوته في إيقاع العقوبة على الأمم بالقوى الطبيعية، التي تعد عبرة وتحذيراً شديداً، ومع ذلك، فإن هذه العقوبة يتبعها إعطاء مهلة، فالله سبحانه يحذر، ومن ثم يمنح بني البشر الوقت.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾، (سورة الحج، الآية 48).

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. (سورة الشعراء، الآية 189).

يقول عبد الله يوسف علي في شرحه للآية السابقة إنه ثار بركان في هذا اليوم، حيث تطاير الرماد والحمم والجمر من البركان، وتبعه هزة أرضية.

إذاً تظهر هذه الآية تحذيراً ذا اتجاهين، الأول أن العقوبة قادمة، والثاني أن هذه العقوبة ستقع على نحو مفاجئ.

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، (سورة الشعراء، الآية 202).

يشهد التعامل الغربي مع القرآن الكريم تعاملاً علمانياً واضحاً تجاه المسيحية والإسلام من حيث إنكار وجود الله، وعزو الخوف من نار جهنم إلى سحر الأوّلين والقصص القديمة.

من المهم للمسيحي الجاهل بما يحدث وأتباع الأديان على نحو عام أن يكونوا مدركين لأفعال قادتهم، ليس هناك أي شيء أكثر وضوحاً من الآيات التالية:

﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَـٰتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾، (سورة المدثر، الآيات من 11 إلى 25).

إنّ الأصدقاء الحقيقيين لإدارة بوش هم الإسرائيليون والإدارات التنفيذية لشركاء التحالف وقسم من الشعب الأمريكي والعنصريون البيض في العالم، أما ذوو الضمائر الحية والعقل فلا يدعمون إدارة بوش، صحيح أن جورج بوش لا يحتاج إلى هؤلاء، لكنه في حاجة إلى الله سبحانه وتعالى، لقد أخفق فرعون وقيصر ونابليون وهتلر، هل يمكن الولايات المتحدة وحلفاءها أن ينجحوا في حرب على الله سبحانه؟.

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، (سورة الطور، الآيات 45-46-47).

يذكّرنا الوعد القرآني بأنّ الله سبحانه وتعالى لديه القدرة على إيقاع قصاصه بوسائل كثيرة، أولاً بوساطة المؤمنين، وثانياً بأفعاله الخاصة، التي تقضي بالتدخل من وقت لآخر، وأخيراً يوم القيامة.

الفصل السابع

الطرق البنّاءة والمسالمة إلى الأمام

إذا سمحنا لهذا الجنون الغربي، وهذا الغضب الجائر بالاستمرار من دون مقاومة، فإن شعوب العالم هي التي سوف تتحمل العواقب، لا شك في أن الحكومة ضرورية، لكن من الضروري أيضاً لنا أن نراقب هذه الحكومة على الدوام، يجب عدم السماح للحكومات بأن تكون حرة في التحكم بمصير البشرية، ونحن لا نضع أرواحنا في أيدي خبراء بالعدالة، لكن بين أيدي مجموعة مجهولة من البشر، يحترفون السياسة مهنة، ولديهم طموحاتهم الشخصية الخاصة، ونحن لا نعلم مدى تعقيد هذه الطموحات، وليس لدينا رؤية ببرامجهم الخاصة، ومن المعروف أن الوثنيين قد ارتكبوا إثماً عندما عبدوا الأصنام، لكن من المؤكد أن الأسوأ لا يكمن في عبادة الدول وحسب، ولكن في عبادة القادة أيضاً، نعم نحن نعبد الدول والقادة البشريين، عندما نكون مستعدين للموت في سبيل علَمٍ ما، حتى لو كان هذا الموت خطأ أو صواباً، وعندما نصدق كل كلمة، يقولها الرئيس أو رئيس الوزراء، كأنها كلمات إلهية، نحن نلجأ إلى قلاعنا، لكن ألسنا وثنيين؟، إن لم لكن لدينا أي نية للإيمان بالله سبحانه، أليس الإيمان بتمثال أو حجر أكثر أماناً من الإيمان بالبشر؟، ربما كان الوثنيون في الماضي أكثر أماناً من وثنيي اليوم، الذين وضعوا إيمانهم لدى مجانين السياسة.

ويحذّر القرآن الكريم قائلاً:

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، (سورة القلم، الآيات من 8 إلى 15).

لماذا علينا أن نصدق دعاية مبنية على الكذب والخداع والتشهير من دون أي دليل، والعنف المبني على الاعتداء، وليس على الدفاع عن النفس، والاعتداء العنيف والقاسي مثل الاستخدام غير المميز للصواريخ البعيدة المدى، والقنابل ذات الألفي باوند، والقنابل العنقودية المصممة لقتل الحيوانات والأطفال سنوات كثيرة قادمة؟، لقد تمكنت الولايات المتحدة وبريطانيا من بناء آلة الحرب الضخمة بفضل غناهما بالثروات، وسوف يصبح أبناء الدولتين عداد جيوشهما.

عندما يطالب دعاة التعايش السلمي هاتين الدولتين بأن تكونا ملتزمتين الدين والأخلاق، تجيب الولايات المتحدة وبريطانيا بالتالي: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أليست الإدارة الأمريكية هي الموصوفة في الآيات السابقة؟، ألا نلاحظ الغرور والتكبر الذاتي والدعاية الزائفة لتلك الدولتين، إضافة إلى الظلم والانغماس في ارتكاب الآثام؟.

ألا نخدع أنفسنا عندما نؤمن بما يقوله الإعلام؟، عندما تصبح وسائل الإعلام الموالية للحكومة مصدر المعلومات التي نستقيها، إذاً فنحن نصنع من المعلقين والمحررين رجال الدين الصادقين، فهم الذين يبنون لنا الدين، الذي يبغونه يومياً، وهم الذين يخططون ما الذي يجب أن نؤمن به.

هل يؤمن الشعب الأمريكي فعلاً بأن شعوب العالم تتعاطف معهم، وأن الولايات المتحدة مدعومة من هذه الشعوب فقط بسبب مأساة برجي التجارة العالميين؟، لقد طاف بلير حول العالم لحشد الدعم، ربما يقر بعضهم بغرابة هذا الموضوع، عندما تحل مأساة في بيت ما، فإن الأقارب يحضرون للدعم المعنوي، وليس على أهل البيت أن يذهبوا إليهم، لم تكن الباكستان شريكاً طوعياً لهذا التحالف، ولم يكن لديها خيار آخر، يستطيع الرئيس الباكستاني أن يقول ما يحلو له، لكن شعبه

لا يحب أمريكا، أما نحن فنستطيع سماع أصوات الناس، ولا يظهر رؤساء كثر الصدى الذي تحدثه مشاعر شعوبهم، إن هؤلاء القادة يظهرون ما تريده الإدارة الأمريكية، كم يبلغ عدد المتعاطفين مع الولايات المتحدة بعد قصف أفغانستان؟، بعد أن صرح نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني عن السجناء الأفغان: «إنهم يعاملون على نحو أفضل مما يستحقونه»، أي محامٍ أو مشرّع أو ناشط إنساني أو مؤرخ أو فيلسوف أو طبيب أو عالم نفسي أو عالم اجتماعي، مثلاً سيكون مستعداً لأن يسمي ديك تشيني رجلاً نبيلاً؟، عندما يكرر بوش مقولة إن الولايات المتحدة مكروهة، لأنها تدافع عن الحرية والديمقراطية، ومن ثمّ يحرم في الوقت نفسه الحق في أن يكون للأجانب محاكمة مدنية في أمريكا، ويخضعهم لمحكمة عسكرية، فهل يمكن فعلاً أن نسأل الجميع إن كانوا يتعاطفون مع الأمريكيين؟، أي إنسان جنوب إفريقي غير أبيض يستطيع التعاطف مع إدارة بوش، عندما تمثل العنصرية والمثل الديمقراطية الانتقائية؟، تماماً مثلما كانت ديمقراطية نظام التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا للبيض فقط، فإن ديمقراطية الولايات المتحدة هي للأمريكيين فقط، وعلى النقيض سياسة ديكتاتورية تجاه بقية دول العالم، ومنها الدول ذات السيادة المستقلة، إن ادعاءات هذه الدولة بالديمقراطية ادعاءات كاذبة، كما لاتمثل الحكومات الموالية لأمريكا في العراق وأفغانستان طريق الديمقراطية لكنها طريق للسيطرة الاستعمارية، إن دعم الولايات المتحدة وتعاونها المستمرين مع إسرائيل في احتلال بقية الأراضي الفلسطينية، إضافة إلى قتل الرجال والنساء والأطفال هي أفعال توضح للعقل أننا نشهد العمل الإجرامي على مستوى دولي، إذا كان صدام حسين مذنباً فعلاً (لقد أجرى محاكمته مجموعة من الخارجين على القانون، ولم يُحاكَم في محكمة شرعية)، فهذا الذنب صغير مقارنة بذنب بوش وبلير وجماعتهما.

إنّ التحالف الأمريكي البريطاني هو الإرهاب عينه، وقد كان الأمر باغتيال صدام حسين وأبنائه وعائلته ومسؤولي الدولة سابقة في ذاتها، إذاً الآن، أي دولة أو حكومة لديها الحق في اغتيال قيادة دولة أخرى من أجل «قضية عادلة»، ليست الولايات المتحدة وبريطانيا الدولتين الوحيدتين اللتين تملكان «قضية عادلة»، لقد أسقطت صواريخ توماهوك والصواريخ البعيدة المدى القانون الدولي، وشرّعت قتل القادة والأفراد، لقد أصبح رعاة البقر الأشخاص الشريرين، وتحول المارشالات الأمريكيين القساة إلى أشخاص أشرار عتاة.

إنّ معارضة هذا الانحراف تتمثل في المعارضة الجسدية الحالية النشطة، التي لا تعد مثالية أو كافية، والحاجة إلى مخاطبة المعارضة السلمية المنسجمة، التي لا توافق على اضطهاد الإسلام والمسلمين هي في الواقع طلب عاجل، حتى لا تستحيل على الوصول إلى هؤلاء الناس، الذين تجذبهم خلايا المقاومة التي تستخدمهم وسيلة للانتقام من الأعمال الوحشية، التي ارتكبت ضد المسلمين، لا شك في أن الولايات المتحدة وحلفاءها قد سببوا حرب الانتقام تلك، وقد حذرتهم أوروبا والفاتيكان متمثلاً بقداسة البابا يوحنا بولس من هذه الحرب.

لا تخدم الانفعالات والصياح والتنديدات أي هدف واقعي، لأنها لن توقف جيوش المعتدين والشهداء وحركات حرب العصابات، تسعى الولايات المتحدة وإسرائيل إلى خدمة مصالحها الشخصية، ولذلك فإن جهداً منسقاً على أساس فكري هو الوحيد الذي يمكنه أن يقلب الآية ضد هاتين الدولتين، ويجبرهما على قبول الحلول السياسية والأخلاقية في العالم، وحتى عندما ننقذ أنفسنا، وكل من لديه ضمير، يجب علينا أيضاً أن ننقذ الأمريكيين، وما تبقى من تحالفهم حتى من أنفسهم.

لقد أخبرنا وجه كولين باول بأنه لم يستطع الاستمرار في الإيمان بدعايته الكاذبة، ولم يجرِ استقباله في الرياض بأكاليل الورود والزهور،

بل بهجومٍ انتحاري نفذه تسعة أشخاص، كما وصل باول إلى روسيا، حيث طالعته الأخبار بعمل فدائي آخر نفذته امرأة من الشيشان، وسقطت حكومات دعمت التحالف الأمريكي، مثل الحكومة الإسبانية، حيث أُبعدت إما بداعي الخوف أو الضمير، ويتراجع شركاء التحالف الواحد تلو الآخر، فقد رحل طوني بلير، ووضع خليفته جوردن براون بشكل فوري خطة للانسحاب من العراق.

وكما يحلو للنقاد أن يقولوا، توقع بعض منهم أنه بعد غزو العراق سوف تبدأ عمليات الانتقام في غضون عشر سنوات، وقال بعضهم الآخر إن الانتقام سيحدث أبكر من ذلك، وهذا ما حدث فعلاً على خلاف ما توقع الكثيرون، ومن لا يشاهد ذلك فهو لا شك أعمى عن الحقيقة، والإدارة الأمريكية إما عمياء وأما طائشة، فالوقت قريب جداً لأن يصبح كل أمريكي مسجوناً في وطنه وكل بريطاني أو أسترالي مجبوراً على البقاء ضمن حدود دولته، وشركات الطيران التي وصلت إلى حد الإفلاس سوف تتدهور على نحو أكبر حتماً، ما فائدة كل ثروات العالم، عندما لا يستطيع الواحد منا أن يغادر حدود دولته بسبب شدة الخوف؟.

نحن ندرك أنه ليس صحيحاً سياسياً القول: «لقد كنا مخطئين، ونحن آسفون، إذ أخفقنا إخفاقاً ذريعاً»، لكن تستطيع الدول أن تقلب العالم رأساً على عقب على النحو الجيد، عندما تكون مستعدة للعودة عن أخطائها، إلى متى سوف تستمرون في الاعتقالات بحجة ربط أشخاص معينين «بهجمات إرهابية»؟، لا يحل هذا الفعل أصل المشكلة، لم يجرِ وقف الجريمة المنظمة، من المؤكد أنكم قبضتم على آل كابوني، لكن هل جرى محو الجريمة المنظمة منذ ذلك الوقت؟.

إنّ الشر حقيقي، وهو يصبح متجسداً في الرجال والنساء، الذين اختاروا بإرادتهم الحرة هذا الطريق غير الإنساني.

ونحن، إذ نعلم هذه الحقيقة، يتحتم علينا أن نسعى إلى سلامة المعرفة الروحية في اعتناق الطريق الصحيح في الحرب على هذا الشر، سوف ترشدنا الصلاة إلى برنامج نشط، نستطيع خلاله أن نخلق جواً بين محبي السلام المسيحيين والمسلمين، وكل من أراد أن يشارك في هذه القضية العادلة، وذلك حتى نشكّل أخوة إنسانية برعاية إله واحد، واضعين بعيداً الخلافات العقائدية وماشين معاً قوة متماسكة ضد الشر، إن الطريق الذي تخطوه الجماهير لن يكون تظاهرات في الشوارع، لكنه طريق يرتبط بالانتخاب والقوة السياسية، لكي نضمن أن القادة والحكومات لن تبيع بعد اليوم نسخاً قبيحة من الديمقراطية والعلمانية بأنها عقيدة دينية، لكنها سوف تخضع لإرادة الله سبحانه لتحقيق التوازن بين العدالة الوطنية والدولية، إن قوة الجماهير تلك سوف تقرر هذه العدالة، ولن تسمح أبداً للديمقراطية أن تخلق ديكتاتوريين مؤقتين، ليسوا بأفضل من الديكتاتوريين الأصليين، الذين ينددون بهم بنفاق، يجب عزل مرتكبي الشر، ويجب ألا نسمح بتوالد الحكومات الشريرة، ونحن، إذ نصوّت للأحزاب المريبة نصوّت، في الحقيقة لسياسات مريبة.

يجب أن ندعم الحكومات الخيّرة أينما كانت، ويجب أيضاً أن ندعمها جبهة واحدة من المسيحيين والمسلمين، لأنه علينا أن نتعامل مع الحكومات جبهة واحدة بعدّها حقيقة واقعية وملموسة، وبهذه الطريقة فإن قاعدة الدعم الحكومي سوف تسمع على جميع مستويات الحكومة، ليس ضرورياً أن تكون الحكومة العلمانية سيئة حرفياً، فمادامت تقوم بتحقيق توازن العدالة، الذي تحدثنا عنه سابقاً بين المؤمنين وغير المؤمنين، يمكن أن يكون هناك تسوية قيّمة وجوهرية، يجب أن يتفاعل المسيحيون والمسلمون في الساحة السياسية، ويجب عليهم أن يصبحوا جزءاً لا يتجزأ من الحكومة، ويجب أن يكون تحويل السياسيين إلى عقول تفكر في المبادئ الأخلاقية والدينية هدفاً في النهاية.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾، (سورة الأعلى، الآيات 1-2-3).

بهذه الطريقة يمكن المؤمنين وشركاءهم في هذا الميثاق أن يعملوا بتناغم غير مسبوق في التاريخ، كما اختار الله سبحانه لهم، لن يكون هناك من يقول إن الأعراف الاجتماعية السياسية قد استنفذت، وإن الديمقراطية فقط، كما يراها الغرب الاستعماري، هي النظام السياسي الصحيح؟، صحيح أن المهرجين يرضون بالعيش تحت خيمة السيرك، لكن ليس الجميع مهرجين.

يجب علينا ألا ننساق وراء إرادة الغرب، الذي لديه تاريخ مؤسف من الظلم، يجب ألا تقودنا الأمم المتحدة، التي تملك تاريخاً مؤسفاً من المعايير المزدوجة، لقد كان المسلمون أول من أنشأ الجامعات، عندما كان الغرب تحكمه قادة الحرب الهمجيون، يجب ألا يقودنا في هذا القرن ميثاق الحقوق الأمريكي، الذي لا يمتد عملياً إلى ما بعد حدود الولايات المتحدة، ولا يشمل الناس الملونين ضمن الحدود الأمريكية.

يجب أيضاً أن نعلن أنه حان الوقت لأن يحدّد دستور دولة ما ضمن المفهوم الواسع لديمقراطية صحيحة وواضحة مع ضمانات دستورية، تحمي المجموعات الدينية والأعراق والحضارات المختلفة بطريقة واقعية.

لقد حان الوقت لأن نناقش طبيعة الديمقراطية، ونجعلها منسجمة مع العدالة على المستويات الرئيسة، لكي تحقق التوازن بين حاجات جميع اللاعبين على المستويات الوطنية والدولية، عوضاً من أن تكون منسجمة مع الديكتاتوريات المؤقتة القادرة على تدعيم أوضاعها إلى ما لا نهاية، إنّ تبسيط الديمقراطية، التي تعطي الحزب الذي يحصل على أكثرية الأصوات قوة الحكم المطلقة بناء على وعود قلما تتحقق على الأرض هو استهزاء بجوهر الحكومة الديمقراطية.

إنّ الديمقراطية التي تسوق لها الحكومات بأنها من الشعب وإلى الشعب لم تكن على قدر المسؤولية قط، فهي تخفق على الدوام، ويجب أن تبعث مرة أخرى إلى المختبرات السياسية، ليعاد تجريبها، لأنها في حاجة شديدة إلى إعادة التشكيل، ويقع الخطأ في حقيقة أن الوظيفة الديمقراطية للحكومة لم يجرِ صياغتها قط ضمن شروط قانونية ملزمة، وهي تظل فلسفة تباعَ على أنها منتج عملي، والنتيجة أن الحكومة المنتخبة ديمقراطياً لا تحتاج إلى أن تزعج نفسها، وتصبح ديمقراطية فعلاً، قد يقال إن مبادئ الديمقراطية مجسدة في الدستور، لكن ليست هذه الحقيقة، فالحقوق والضمانات الدستورية شيء بعيد جداً عن الوظيفة الديمقراطية الرئيسة للحكومة، حتى إنها تستطيع في بعض الأحيان أن تحجب قرارات معينة للحكومة، وتعد بعضها الآخر مناقضة للدستور، وهكذا فهي لا تستطيع أن تجبر الحكومة على العمل ديمقراطياً، لأن مفهوم الديمقراطية ذاته لم يجرِ تعريفه أو الإعلان عنه بأنه قانون ملزم للحكومة، نحن ليس لدينا أي فكرة عن ماهية الديمقراطية، فالكثير من الناس يربطونها بالرأسمالية، وآخرون يساوونها بحكم الأكثرية، ومع ذلك يساوي بعض الناس الديمقراطية وحق أي مواطن، في أن يصوّت لحزب ما فقط، لقد كانت الحرية والديمقراطية شعارات للولايات المتحدة، وأصبحت جنوب إفريقيا مغرمة بالديمقراطية على نحو أكبر بعد تحريرها من نظام التفرقة العنصرية، لكن العنصريين البيض أصبح لديهم ديمقراطيتهم الخاصة، مثلما تملك الولايات المتحدة سياستها الديمقراطية الوطنية الخاصة وسياسات ديكتاتورية لبقية دول العالم، إنّ هذا لأمر غريب، وتدعي الأمم المتحدة أيضاً أن الديمقراطية كأنها بقرة مقدسة، لكن المشكلة هي أن هذه البقرة حيوان جامح غير مقدس إطلاقاً.

لا يمكن أن نساوي الديمقراطية بحكم الأكثرية، يجب أن يكون السعي لتحقيق الحكومة الديمقراطية تجسيداً لمصالح جميع

المجموعات الرئيسة في بلد معين، ومنها المجموعات الدينية في هذا البلد، حتى إن اللاعبين الرئيسين يجب أن يشتركوا في الحكم على المستويات التنفيذية، وبهذه الطريقة فإن المبدأ الرئيس للديمقراطية في أن تكون الحكومة من الشعب وإلى الشعب يصبح حقيقة، وفي الحاضر فإن الحكومة المجسدة في حزب ما هي التي تتلقى أكثرية الأصوات، ومن ثمّ يتوقع لهذا الحزب أن يحكم جميع الناس، حتى أولئك الذين لم يوافقوا على سياساته، سوف يقوم هذا الحزب أولاً وعلى نحو رئيس برعاية مصالح قاعدة دعمه، ليست هذه الديمقراطية، وليست حكم الأكثرية، لأن الحزب الحاكم ليس ملزماً قانونياً أن يفي بوعوده الانتخابية للأكثرية، ولا يحتاج أيضاً إلى أن يجري استفتاءات شعبية في القضايا الرئيسة، وهو يستطيع أن يشنّ حرباً ضد أي دولة من دون استفتاء شعبي، ويستطيع القيام بأي شيء مادام يسيطر على الحكم، أما الجيش فهو تحت خدمة هذا الحزب، لكي يساعده على البقاء في السلطة، وهناك مجموعة من القوانين التي يستطيع استخدامها أو إساءة استخدامها، لكي يسكت المعارضة، ولا تعد الوعود الانتخابية الزائفة، أو تلك التي لم تتحقق على الأرض، هامة أبداً.

يجب على الحكم أن يعرَّف على نحو ملائم فيما يتعلق بوظائفه الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويعد فصل القوات المسلحة، ومنها وكالات تطبيق القانون عن السلطة الإدارية أمراً هاماً، لكي نضمن أن الشعب هو من يدير الدولة، ويتحكمون بقادة الدولة على نحو خاص، ومن سوف يسيطر على الجيش؟، إنّ الجيش مؤلف من جميع المجموعات العلمانية والثقافية والدينية في الدولة، وتتساوى قيادة الدولة مع الإدارة الأساسية، التي يزودها الخبراء الذين سوف يديرون الدولة، إذاً الإدارة تعني تماماً ما قلنا سابقاً، وعلى نحو عام فإن الإدارة التنفيذية هي التي ستحدد القرارات التنفيذية، وسوف تلغى قوة الأحزاب وحكم الأكثرية، وسوف يجري تمثيل جميع قطاعات الشعب في

الحكومة، علاوة على ذلك يجب أن تكون كل القوانين منسجمة مع المنفعة الوطنية والدولية أيضاً، وأي قانون أو فعل غير منسجم مع المصلحة الدولية يجب أن يصبح مناقضاً للدستور، وبهذه الطريقة لن تكون أي دولة قادرة مثل الولايات المتحدة على أن تمرر مشروع قانون، يجيز الإطاحة بدولة ذات سيادة، ما يؤدي إلى تشجيع الإرهاب والخيانة وتمويلها ضد الدولة ذات السيادة، كما حصل مع العراق، وعلى نحو مماثل يجب أن تكون الدولة ملزمة التوقيع والتزام معاهدة كيوتو، التي تدعو للحد من التلوث وإزالة خطر الاحتباس الحراري مثلاً.

وإذا كانت القواعد مرتبطة بالمصلحة الوطنية أو الدولية، فإن «النظام والتكافؤ» مصطلحان حيويان في السعي إلى تحقيق العدالة الحقيقية، وتدور مصطلحات مثل الاستقرار، وضبط النفس، والصبر، واللطف، والعطف، وتوازن القوى، وتستقى كلها من المصطلحين السابقين، يجب أن تكون العدالة للجميع واقعية، ويجب على هذا المصطلح أن يرتقي فوق أي حدود سياسية أو جغرافية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾، (سورة النساء، الآية 58).

إنّ العدالة بين البشر أنفسهم، وعلى القائد أن يحاسب شعبه، ويتحمل المسؤولية أمامه، يجب أن يكون القرار مبنياً على العدالة، والحكم العادل يأتي بفضل الشعب، الذي رهن سعادته بثقته بالحاكم، ويرى الحكم الصالح أن القوة يجب أن تترسخ في الشعب.

يجب على أي هيئة دولية ألا تسمح لنفسها بأن تُستخدم لتشريع الوحشية الدولية والاستعمار والنهب، على المنظمة الدولية أن تعيد تعريف نفسها وأهدافها، وتتضمن قواعد راسخة، لكي تحكم نفسها منظمة مستقلة ذات أعضاء مستقلين، يجب عليها أن ترسخ القواعد،

التي تحتوي جماح الأفعال غير القانونية وتكبحها، وعليها أيضاً أن تعد الأعمال غير الأخلاقية غير قانونية، وهذا ممكن إذا امتلكنا الإرادة الأخلاقية لفعل ذلك، وليست الإرادة السياسية كما قال كوفي عنان، حقاً إنّ الإرادة الأخلاقية هي المشير إلى الإرادة السياسية السليمة، وقد أخفق كوفي عنان في تقدير أنّ الإرادة السياسية هي العربة فقط، والإرادة الأخلاقية هي الحصان، الذي يقود هذه العربة.

لقد أنشئت منظمة الأمم المتحدة، لأننا لم نرد أن تقوم حرب عالمية أخرى، ولأننا أردنا أن نتجنب الحروب، علينا الآن أن نتعامل مع قضية الدول الأعضاء الفاسدة والمعتدية، ويجب علينا أيضاً أن نناقش الوسائل العسكرية وبعض الوسائل الأخرى لكبح جماح تلك الدول المولعة بالحروب، نحتاج أيضاً إلى أن نعالج قضية التعريف الدقيق لأسلحة الدمار الشامل مثلما يفعل المحامون، ولا نلعب ألعاباً بكلمات انكليزية غبية وتافهة، إن القنابل، التي تزن الأطنان والصواريخ، قادرة على التدمير الشامل، خاصة عند إسقاط الآلاف منها على مدينة واحدة، أم إنها ليست أسلحة دمار شامل، عندما يكون الضحايا عرباً مسلمين؟، ألن تعد القنابل نفسها أسلحة دمار شامل، إذا أُسقطت على دولة أوروبية؟، إن ممثلي هذه الهيئة الدولية يجب أن يقوموا بطريقة واعية ومثقفة، وليس كمتخلفين عقليين، إذا كانت لديهم النية في مواجهة الحقائق، إنّ الهيئة الدولية، التي سلبت أراضي فلسطين بإرادتها، وشكلت ما يسمى «إسرائيل» من دون موافقة الشعب الفلسطيني، كانت هيئة ذات صفات مريبة جداً، والهيئة الدولية التي تحافظ على الوضع الحالي مريبة على نحو مماثل، عندما تسمح هذه الهيئة لإسرائيل بأن تقصف الفلسطينيين على ما تبقى من أرض فلسطين في وضح النهار، فإن ثقتها تهوي إلى أدنى درجة ممكنة، وعندما تتهرب مدة طويلة جداً من عدّ ما تبقى من فلسطين دولة لشعبها، فليس لها أي ثقة أبداً، يجب

على الهيئة الدولية أن يكون لها الحق في إعادة تقييم قرارات أسلافها وإعادة معالجة الأمور، ويمكن أي قرار أن يلغى أو يعدّل أو يجري تجاهله، ولأنّ دولة إسرائيل لم يخلقها الله سبحانه، بل خُلقت بفعل بعض الدول، يجب على الهيئة الدولية المحترمة أن تحذر من التخلي عن شرعية إسرائيل، إذا لم توقف عدوانها، ولماذا ينقص الهيئة الدولية القواعد الدستورية؟.

إنّ الأمم المتحدة اليوم تعد خطراً على الدول الصغيرة بغض النظر عن الأعمال الخيرية التي تشتهر بها، إنها السلاح الرسمي للولايات المتحدة وبريطانيا اللتين تستخدمانها لتشريع المغامرات غير القانونية والمعاملة الشيطانية للمعتقلين، واحتلال الدول الأجنبية ذات السيادة وحمايتهما للدول الاستراتيجية الصديقة، إذاً يمكن استخدام الأمم المتحدة للسيطرة على بقية دول العالم، ما عدا الولايات المتحدة وبريطانيا وشركاء التحالف، إضافة إلى «إسرائيل» طبعاً، يستطيع المدّعون الدوليون اتهام تشارلز تايلور، لكنهم لا يستطيعون اتهام بوش أو بلير، بوجود تسعين دولة صدقت المحكمة الجنائية الدولية، فمن المؤكد أنه على الولايات المتحدة الانصياع لقرار الأكثرية إذا كانت فعلاً مخلصة لمبادئ الديمقراطية، التي تدّعيها.

تستغل الدول المارقة الأمم المتحدة، لكي تجيز العدوان الدولي، ومادامت أن الدول الصغيرة مستعدة لأن تخضع للعهر السياسي والاقتصادي وسيلة للبقاء أو المنفعة المادية، التي يجنيها قادتها السياسيون، فسوف يستمر تذللها وعبوديتها للزعماء الدائمين للأمم المتحدة، فإفريقيا مثلاً سوف تظل العبد الأسود للولايات المتحدة وأوروبا، وقد بدأ فعلاً الاستعباد الدولي للمسلمين وممتلكاتهم، إن الأمم المتحدة تماماً مثل البنك الدولي، تستعبد الدول إلى الأبد، وتسلب كرامتها، وتستغلها أيضاً، لقد قام بلير وبوش بحملة من أجل حشد

الدعم لغزو العراق، وما المكافآت الموعودة، التي كانت تنتظر الدول الأخرى؟، لم ترسل إسبانيا مثلاً قواتها في أثناء الحرب، لقد أراد بوش وبلير فقط التستر على أفعالهما ضد إمكان الاتهامات بارتكاب جرائم حرب، وكان هذا التحالف بمنزلة «أمم متحدة» مارقة، أو ما يشابه هيئة دولية لإحلال صفة الشرعية، ربما سيحين الوقت لدول عدم الانحياز، لكي تشكل هيئتها الدولية أو تحالفها الخاص بها.

يمثل الهجوم على مقر الأمم المتحدة في بغداد في 19 آب/أغسطس من عام 2003م فقدان هذه المنظمة لكامل ثقتها، ولا تخدم الاتهامات المتكررة بالإرهاب أي هدف بنّاء، والحقيقة تبقى أن الأمم المتحدة فرضت العقوبات نفسها التي دمرت العراق، ومن ثمّ أخفقت أيضاً في السيطرة على الولايات المتحدة وتحالفها في أثناء غزو العراق، الذي دمر البلد وطاقاته من دون أي خطط لإصلاح منشآته المائية، أو إعادة التيار الكهربائي، أو تزويد الأمن بعد حصول الكارثة، والقائمة تطول، نحن نسمع دائماً أن الواجب يقع على القوات المحتلة لتوفر حاجات البلد، ويبقى الرأي الواجب أن الأمم المتحدة في مشاركتها في إعادة بناء العراق قد تغاضت، أو حتى صدقت غزو العراق، لأنها تتسلم المسؤوليات التي على عاتق القوات المحتلة.

لقد كان الهجوم على مقر الأمم المتحدة رمزياً، مثلما كان قتل أبناء صدام حسين، لقد جعلنا الغرب مدركين للرموز وسيلة للدعاية الكاذبة، ورأينا المرة تلو الأخرى تمثال صدام حسين، وهو يخرّب على منصته، ولم تكن هذه الرموز مزحة مضحكة للمعارضين، فنحن ننسى أن الناس لديهم المشاعر والذكاء والقدرة على استخدام الرموز، لكي يثبتوا الرأي على المستوى الدولي، إن الهجوم على مقر الأمم المتحدة ذاو مغزى أكبر من الإطاحة بتمثال أحد البشر، إن الهجوم على مقر الأمم المتحدة في بغداد، والهجوم على مقر الصليب الأحمر في تشرين الأول/أكتوبرعام

2003م يبعث رسالة عميقة، مفادها أن العراق لايحتاج إلى الغزو، أو إلى كلاب التحالف، أو المنظمات الخيرية الدولية، تقول الرسالة: «لا تجوعونا أو تقصفونا، ومن ثمّ تضمدوا جراحنا».

يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية، كما أعلن الله سبحانه ووعد في القرآن الكريم:

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾، (سورة الأعلى، الآية 8).

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، (سورة البقرة، الآية 256).

﴿.... لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، (سورة البقرة، الآية 279).

يجب على شعوب العالم أن تعيد السيطرة على مصادر السلطة والقوة، التي تتحكم بمصائرها، ثم تقوم بتحديد مسار التجانس الدولي والوطني وفق مبادئ سليمة، إذاً تقول القاعدة البسيطة إنه يجب علينا ألا نظلم.

مادامت الأمم المتحدة على مستوى أقل تنظيماً من نادٍ انكليزي لكرة القدم، ومادام أعضاء الأمم المتحدة يستطيعون شن الحروب من دون إجماع أو قضية عادلة، وشن الحروب ضد الدول ذات السيادة المستقلة، والحروب ضد المسلمين وضد الملونين، ومادامت الدول ذات النيات الحسنة تخضع أنفسها لذل الدول المتمثل في الانسجام المضحك، ماذا إذاً يجب على شعب كل دولة أن يفعل؟، ماذا يجب على الشعوب التي تعوّل على الحكم السليم، أن تفعل؟.

كيف يسمح عالمٌ مليء بالخبراء الدستوريين لهذا السيرك الدولي المؤلف من المهرجين الأشرار بأن يتبختر مثل المجانين على الساحة

الدولية، ويتبجح بأن العواقب الوخيمة تعني الغزو؟، كيف يسمح عالَمٌ مليء بالقانونيين الضليعين لهؤلاء المهرجين بأن يسلبوا أراضي الدول ذات السيادة المستقلة بحماسة غير متناهية؟، لماذا يجلسون ويسمحون لخيمة سيرك الأمم المتحدة بأن تتأرجح خلف أولئك المهرجين الأشرار، ومن ثم يقومون مثلما يقوم المهرجون تماماً بالقفز والتبختر خلف تلك الدول في خضوع واجب، إلى أن يسود الظن أن العالم قد نسي فقدانه للثقة الدستورية؟، إما تحت الضغط وأما تحت تأثير الرشاوى تنضم الأمم المتحدة بسعادة إلى الرقصة المجنونة، التي يؤديها المهرجون مرة أخرى.

من الخطير جداً أن يسمح للأمم المتحدة بالعمل على هذا النحو من دون عقوبة، على الهيئة الدولية أن تكون في وضع أفضل كثيراً من الوضع الحالي، لا يمكنها أن تستمر في امتلاك أعضاء دائمين يتميزون بقوة الفيتو، يجب أن يجري تنظيمها على نحو ملائم، حيث يكون هناك ميثاق قابل للتطبيق في محكمة دولية، على الهيئة الدولية أن يترأسها محامون دوليون أن يكون بمنزلة مراقبين ومستشارين لشرعية المشاريع التي يضعها الأعضاء، إن معنى الإنصاف الدولي والعدالة يجب أن يجري ترسيخه، وأن يجري حظر تشكيل تحالفات بين الدول الأعضاء المارقة، وإذا كان كل هذا يعني أن التحالف الأمريكي سوف يواجه بقية دول العالم، فعلى دول العالم أن تتخذ موقفاً، وتشكل هذه الهيئة الدولية من دون التحالف الأمريكي، يستطيع الاتحاد الأوروبي أن يطرد الدول الأعضاء المنحرفة، لماذا لا تستطيع الأمم المتحدة فعل هذا؟، يمكن التجارة الدولية أن تأخذ توجهاً جديداً، لكن خطوط القتال الأخلاقية سوف ترسم، لا يمكن الهيئة الدولية أن تظل بمنزلة نادي الخمسة الأقوياء، لكن يجب أن تصبح نادياً ملائماً للجميع.

لقد فقدت الشعوب الثقة في منظمة الأمم المتحدة الحالية، وعلى الدول الصغيرة أن تراجع قيمة عضويتها في هذه المنظمة، فالأمور السلبية من هذه العضوية تفوق الإيجابية.

إن تظاهر الشعوب ضد غزو العراق، ودعوة رجال الدين الحقيقيين إلى السلام وعدم الحرب تشكل إشارة إلى أن الوقت قد حان، لأن يستعيد الشعب استلام السلطة.

يجب أن نضع الاختلافات العقائدية جانباً، ونتوحد في جبهة مشتركة، تمثل حب الجار، مثلما يحب المرء نفسه، يجب أن نسعى إلى أن نصبح عطوفين وإنسانيين عوضاً من العكس، يجب أن نفكر في جميع الخيارات السلمية، لأن هناك قوة كبيرة في المقاطعات والمظاهرات الواحدة.

من الضروري أن نخاطب حكوماتنا بشأن العدالة الدولية، والحاجة إلى تقليل اعتماد الدول المارقة، يجب أن نصنع من بلادنا أماكن منتجة قدر الإمكان، ويجب أن نلحظ على نحو واضح ضرورة الانحياز إلى الدول، التي تملك هدفاً مماثلاً، يجب على قادتنا أن يتحالفوا مع الدول الصغيرة والدخول في معاهدات دفاعية وغير عدائية معها، يجب أيضاً أن ننفق على الدفاع الوطني على كل المستويات، ليس هناك أي خطأ من مُثُل عدم انتشار الأسلحة النووية، والانتشار يعني الإنتاج على نحو غزير، يجب على الدول ألا تفرط في إنتاجها من الأسلحة النووية، لكن لماذا لا يحق لبعض الدول ألا تنتج الأسلحة إطلاقاً، بينما يحق لبعضها الآخر أن تقوم بذلك؟، إذا قررت الولايات المتحدة ألا تكون عضواً في المحكمة الجنائية الدولية، فلماذاً إذاً يجب على كوريا الشمالية أن توقع اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية؟، لماذا يجب على إيران أن تخضع؟، من يتحكم بروسيا، التي كانت فيما مضى العدو اللدود للولايات المتحدة؟، ألا تملك روسيا قدرات نووية، انتشرت في أراضيها السابقة، التي فقدت السيطرة عليها حالياً؟، ماذا عن الدول المارقة هناك؟، أتذكر هنا الأخبار عن نائب الرئيس الأمريكي السابق آل غور في عهد الرئيس كلينتون، وهو يقوم بجولة في الدول السوفييتية السابقة، ربما كان على غور أن يبقى في أمريكا، ربما كان قد فاز في الانتخابات الرئاسية،

وأنقذ حياة الكثير من أرواح المسلمين، عندئذٍ كان الأمريكيون سيرددون أغنية: «كم هو جميلٌ هذا العالم».

إنّ الدول الإسلامية التي تبقي على علاقتها بالولايات المتحدة، مهما كانت هذه العلاقة مُرّة وقاسية، سيكون عليها إعادة النظر في موقفها الدبلوماسي، وسوف يؤدي وجود القوات الأمريكية والقواعد العسكرية والعتاد في أراضي هذه الدول إلى جرها لمواجهات ضد المسلحين، وسيكون استقرار الدول الإسلامية مهدداً، سوف يجب عليها أن تفكر في حقيقة المشاعر المعادية لأمريكا بين شعوبها.

من الضروري أن يجري تحييد قوات المقاومة السرية بالطلب من الولايات المتحدة بمغادرة البلاد، التي تحتلها بمعاهدة في الخليج العربي مثلاً، وأن تقوم أمريكا بسحب قواتها، لتعود إلى بلادها، ليس هناك حاجة إلى أن تكون سفن أمريكا الحربية وقواتها منتشرة في كل أصقاع الأرض، وكلما جرى الانسحاب سريعاً فلن يكون هناك بعد ذلك أي أهداف للمقاومة، أو معارضة لوجود القوات، أو أي سبب للمواجهات التي سوف تخف كثيراً، وحالما أنهت أمريكا احتلالها العسكري في العالم، ستكون هذه خطوة نحو تغيير الاتجاه ووقوع الزمان والمكان الملائمين من أجل الإصلاح، وبهذه الطريقة يجري تحييد المعارضة.

سوف يكون على الجامعة العربية أن تحل قضية الحكم في العراق بمشاركة من الحزب الحاكم السابق، ويجب على الولايات المتحدة أن تطلق سراح جميع سجنائها، وعليها أن تقوم مع بريطانيا بسحب القوات.

يجب على الأمم المتحدة بالتشاور مع الجامعة العربية أن ترسل قوات حفظ سلام مختارة إلى فلسطين و«إسرائيل»، يجب ألا تستخدم القوات الأمريكية، كما يجب على الولايات المتحدة أن توقف جميع المساعدات العسكرية لإسرائيل، وألا تكون طرفاً في عملية التشاور،

يجب على الأمم المتحدة والجامعة العربية أن تحلا الأزمة بالمشاركة مع كل اللاعبين، ومنهم حركة حماس والجهاد الإسلامي ومنظمة فتح والحركات الأخرى، وليس فقط مع ما يسمى السلطة الفلسطينية، ويبرز هنا المثال جنوب الإفريقي، فمن دون التعامل مع الكونغرس الوطني الإفريقي، كان يمكن أن يكون هناك انتقال سلمي في جنوب إفريقيا، وأي شيء آخر كان يمكن أن يصبح شيئاً هزلياً مثل خريطة الطريق الأمريكية الحالية، حيث تقود كل الطرق من تل أبيب أو واشنطن وإليهما، يجب إرضاء الأطراف المعارضة لإسرائيل بمفهوم الدولتين التوءمين لإسرائيل وفلسطين، إضافة إلى مجلس وزراء مشترك مؤقت، مهمته الإشراف على أمور التسوية وقضايا أخرى، ومسلح برؤية تنوي إقامة أسس اقتصادية متينة وأسس أخرى متبادلة بين الطرفين، يجب إقرار أن إخفاق إسرائيل في وقف احتلالها وهجماتها غير المشروعة على الفلسطينيين سوف يواجه عواقب جدية، تحدد بوضوح، وتتضمن استخدام القوة العسكرية والاحتلال، وإعادة تقييم سيادة إسرائيل المستقلة، التي لم تكن حقيقة تاريخية في الواقع، لكنها كانت وليدة هيئة دولية في ذلك الوقت، وجدير بالملاحظة أن إقامة دولة يهودية ليس ممكناً، خاصة مع عدّ أن المسيحيين لهم الحق نفسه في هذه الأراضي مثل المسلمين تماماً، لكن عوضاً من استخدام القواعد القديمة، من الممكن تقديم حلول جديدة، ومنح جميع الأطراف الحق في المشاركة والتغيير، إن حق اللاجئين في العودة غير قابل للتغيير، وقد حان الوقت لأن تقوم الأمم المتحدة أو هيئة دولية جديدة ومطورة بأن تطبق هذا الحق، ربما نحتاج أولاً إلى أن نشكل هيئة دولية جديدة.

إذا لم يكن هناك أي تقسيم عادل ومنطقي للأراضي، أو أي حق للاجئين في العودة، فالحل الوحيد إذاً هو القيام بالنقيض بوساطة منظمة أممٍ متحدةٍ جديدة ومطورة، تلغي القرار الذي أقام «دولة

إسرائيل»، لم يخلق الله سبحانه دولة إسرائيل، وعندها يكون حل الدولة الوحيدة هو الحقيقة الوحيدة والبديل الوحيد، ولن يكون هناك مشكلة في حماية مخاوف الإسرائيليين، فهناك طرق دستورية لهذا الأمر.

هل سينتج نصر ديمقراطي ممكن في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة نسخة فصيحة عن بوش؟، هل سيقوم أوباما بتغييرات شاملة؟، حتى لو كان هذا التغيير معنياً فقط بسعادة المواطن الأمريكي، فالنتيجة النهائية سوف تكون للمصلحة العامة.

لكن معاداة الرئيس أوباما لحركة حماس تجعل المرء يتساءل عن قيمة التغيير لدى أوباما وعن إنسانيته، لكنه يعلم أن التغيير في السياسة الخارجية الأمريكية ضروري، لقد أعلن في أيار عام 2008م أن سياسته الانتخابية ترتكز على «الأمل»، وليس «الخوف».

لكن موقف أوباما يتعارض مع تقييمه للمشكلة الفلسطينية، سواء كان أوباما يسعى إلى إرضاء الأصوات اليهودية، أم الأمريكية البيضاء، أم لا، يمكن عدّ أوباما على أي حال ساذجاً وشبيهاً ببوش، عندما يصرح بأنه لن يتعامل مع حماس، التي يعدها منظمة إرهابية، ناسياً في الوقت نفسه أن حماس تدعمها أصوات الأكثرية الساحقة من الشعب الفلسطيني، وهكذا فهو يرفض التعامل مع الأكثرية الساحقة من الفلسطينيين، ربما لم يطّلع أوباما على الخيار جنوب الإفريقي، عندما تعاملت حكومة التمييز العنصري البيضاء مع الكونفرس الوطني الإفريقي، لأنها تعاملت مع الحقائق، ربما يحتاج أوباما إلى بعض الدروس من نيلسون مانديلا، إن أوباما وهيلاري كلينتون يسعيان إلى إرضاء الصهيونيين، ولا يبدو أن الديمقراطيين في عام 2008م سوف يظهرون أي تغيير، تسعى شعوب العالم أجمع إلى الإيمان به.

إذا استطاع أوباما، بعد أن نجح في الانتخابات الأمريكية، أن يجعل الولايات المتحدة تتراجع عن جرائم الحرب والعدوان، عندئذ لن أعارض

أنه قام بهذا بسبب الخوف، لكنه أطلق عليها الأمل، الحقيقة هناك أمل في التوبة والإصلاح، حتى لو كان العمل نتيجة الخوف من نار جهنم، نحن لا نريد أن يحب الرئيس الأمريكي شعوب المسلمين، سوف نكون سعداء جداً، إذا توقف عن قتلهم والاعتداء عليهم.

يدّعي الجمهوريون أنهم يملكون سياسة واستراتيجية دولية قوية، يجب على السيناتور مكاين، وكان المرشح الجمهوري للرئاسة الأمريكية، أن يدرك أنّ غزو الدول ليس سياسة قوية، إذا قامت الدول العربية مثلاً بتشكيل معاهدات دفاعية مشتركة، فسوف تكون الولايات المتحدة مع ذلك قادرة على قصف أراضيهم وجيوشهم، لكنها لن تكون قادرة أبداً على احتلال هذه المناطق أو زرع الحكومات الموالية لها، وتعد العراق وأفغانستان برهاناً على ذلك، فلا يمكن مئتين وخمسين ألفاً من القوات الغازية، إضافة إلى دعم قوامه خمسة وعشرون ألفاً من الجنود، السيطرة على بغداد، ناهيك بالعراق كله، لقد أخذت الولايات المتحدة تتوسل من أجل مزيد من القوات الدولية، ما حجم القوات المحتلة الضروري لاحتلال الشرق الأوسط كله؟، إن الولايات المتحدة غير قادرة على إخراج النفط من العراق، إذاً كيف لها أن تخرج النفط من الشرق الأوسط كله؟، كيف ستكون قادرة على تحمل كلفة هذه الحرب؟، وكيف ستكون ثورة المسلمين على أمريكا في أصقاع العالم؟، كم من الأمريكيين وحلفائهم سيموتون؟، يحذّر القرآن الكريم حيث يقول:

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، (سورة الأنفال، الآيات 18-19).

نحن نسمع كثيراً حجة الولايات المتحدة وبريطانيا في أنهما لن تستطيعا الانسحاب من تلك المغامرة الدولية، لأنهما تواجهان الهجوم

والاعتداء من المقاتلين، هذا كذب ومقدمة زائفة واستنتاج كاذب، حالما توقف الولايات المتحدة وبريطانيا مغامراتها الاستعمارية وبرامجها ضد الإسلام، وحالما يقوم الغرب بتحرير أموال المسلمين المجمدة، سوف تكتشف مجدداً الولايات المتحدة وتحالفها مدى التجانس العالمي وحقيقته.

لا تسببوا المشكلة، ومن ثم تشتكوا وتحوكوا الدعايات الكاذبة، حتى تكون العواقب في الحقيقة أصل المشكلة.

يجب على الغربيين فهم أنّ القرآن الكريم يضمن عدم حدوث أي ردّ يقوم به المسلمون، إذا توقف المعتدي عن عدوانه:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، (سورة المائدة، الآية 45).

لا يؤثر ما ذكر هنا إطلاقاً في حكم الله سبحانه وتعالى، أو القرارات التي تتخذها المحاكم، لكنه يشير فعلاً إلى أن المواطن المسلم العادي أو المسلح مثلاً يجب أن يتراجع، ويعترف بحقيقة أن العدوان قد توقف:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، (سورة البقرة، الآية 193).

من الواضح جداً أن القرآن الكريم يأمر بتوقف القتال حالما انتهت الاعتداءات، سوف يكون على الاستشهاديين أو «الانتحاريين» والهجمات من جميع الأطراف أن تتوقف، إنّ هذه النتائج ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأوامر القرآنية.

والقرآن الكريم واضح أيضاً على السواء فيما يتعلق بمغفرة المعتدي:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، (سورة البقرة، الآية 192).

إذاً إنها إرادة الشعبين الأمريكي والبريطاني، التي تساعد على قلب مدّ الاعتداء هذا، مدركين تماماً في الوقت نفسه أنه على خلاف شعوب العالم أجمع، فإن المسلمين تحكمهم قواعد وأسس غير مسبوقة للسلوك البشري، وأن القرآن الكريم يحمي شعوب الأرض كافة، إنّ المتشددين الذين يُعدون كابوس التحالف الحالي يلتزمون مبادئ الدين، ويطيعون أوامر القرآن الكريم وإرشاداته، ليس هناك أي كفالة أفضل.

إنّ التغيير العملي لسياسات الغزو والقتل والفوضى غير المقبولة لن يعد استسلاماً للعدو، لكنها سوف تشكّل وقفاً للأعمال العدوانية الغربية غير المسوغة، وسوف تساهم في وقف المقاومة في الوقت نفسه.

على المؤمنين المحبّين للسلام أن ينشروا ثقافة الخير عوضاً من ثقافة الشر، ويجب على تلك الثقافة أن تصل بطريقة أو بأخرى إلى قادة دولهم عبر الصناديق الانتخابية، ومن جميع الطرق والمنافذ المشروعة، مستخدمين العمليات الديمقراطية نفسها، التي تختفي بسرعة في الولايات المتحدة مثلاً، عندما تظهر القوانين التي تسمى «القوانين الوطنية»، والتي تطبق على الأمريكيين، وقوانين مكافحة الإرهاب المشكوك فيها، والتي تدافع عنها الولايات المتحدة، لكي يجري تطبيقها دولياً.

إنّ الضغط المكثف، الذي يقوم به شعوب العالم من أجل السياسات الدولية والوطنية الإنسانية، هو فقط الذي يستطيع إيقاف المد الديكتاتوري، وتجنب المواجهات العنيفة بين الأطراف العلمانية الشريرة والأطراف المؤمنة الأخلاقية.

يضمن القرآن الكريم الخير للعالم أجمع حالما توقف الحرب بكل أنماطها ضد المسلمين، ومنها احتلال أراضيهم بالإخضاع وزرع الأنظمة الحاكمة العميلة.

إنّ القرآن الكريم هو المصدر النهائي للتشريع والنظام الإسلامي، وهو الكفالة الوحيدة والكاملة في حال تراجع الغرب عن حربه ضد

المسلمين وتبني المعايير الأخلاقية، وهكذا فلن يمكن أي مسلم الهجوم على الغرب من دون أن يثير غضب المؤمنين، ناهيك بالمهاجمة المشروعة للمجتمع الدولي حينذاك.

وبكلمات مختصرة يمكن الغرب والتحالف والمعتدين أن يتراجعوا فوراً من دون أن يكون هناك أي رد انتقامي وفقاً للأحكام التي وضعها القرآن الكريم وذكرها في هذا الشأن.

إنّ الدين نفسه، الذي يسعى الغرب إلى تدميره، يعدُ بالسلام، يستطيع قادة الدول ورؤساء الوزراء أن يحملوا النيات الطيبةَ عوضاً من النيات الشريرة، فهم لن يخلدوا في هذه الدنيا، وقابلون للخطأ وإطلاق الأحكام الخاطئة، وهم دائماً معرضون، لأن يُزوّدوا بمعلومات استخباراتية فاسدة، يجب عليهم أن ينتبهوا إلى أنفسهم في دولهم، لئلا يصبحوا قطع شطرنج، تلعب بها الجماعات القوية وذات النفوذ الكبير، يجب عليهم أن ينظروا إلى عائلاتهم وأقربائهم قبل أن يشنوا الحروب على الآخرين، إنهم لا يستطيعون الاختباء وراء كلمات طنانة مثل «الضرر الجماعي»، والتي تجردهم من إحساسهم بالذنب، يجب عليهم، إن كانوا غير مؤمنين، أن يبحثوا عن المساعدة والعناية النفسية والعقلية، يجب عليهم أن يقبلوا النصوص الدينية بتواضع، لن تحرق هذه النصوص أيديهم أو أعينهم، لكن من الممكن فعلاً أن تذيب قلوبهم من التأثر، يجب على أولئك القادة أن يبحثوا عن المشاهد التلفزيونية الحقيقية للعمليات العسكرية الدامية والأضرار الجسيمة التي تخلّفها، يجب عليهم أن يلصقوا صور الأطفال والجنود المشوهين على جدران مكاتبهم، ليدركوا حجم كوارث قراراتهم وأعمالهم، يجب عليهم أن يبحثوا عن الحقيقة المنطقية، ويدلوا باعترافات متواضعة، لقد اعترف جورج بوش يوماً باستهتار أيام شبابه، ولم يؤثر هذا الاعتراف فيه سلباً، لكنها في الحقيقة ساعدته على كسب الرئاسة، وإذا أراد أن يتراجع كلياً

عن رغبته في الحرب، فمن الممكن جداً أن يصبح رجلاً محترماً، عندها سوف يمكنه أن يلقي خطابات في العالم أجمع، وهو محاط بجمع غفير من الداعمين، لا تكمن عظمة الأمر في أن يصبح الرجل رئيس الولايات المتحدة فقط، لكن أن يصبح الرئيس الأمريكي محبوباً من الجميع، فهذا أمر كبير.

سيادة الرئيس، علينا أن نعلن: دع الشعوب العاديّة مثلنا تجتمع معك، دعنا نحن، أعضاء المجتمع الدولي، نشترك في الآراء معك، إن العالم أكبر من مكتب الرئاسة الأمريكية البيضاوي وأكبر من الولايات المتحدة، فمثلاً عندما تصل الهند وباكستان إلى مرحلة المواجهة، فكل دولة تضع نصف مليون جندي على حدودها فقط، (من الجيد أن تكون هاتان الدولتان صديقتين، فلا تريد أي دولة في العالم أن تكون تلك الدولتان عدوة لها)، انظر سيادة الرئيس إلى تعداد سكان العالم، انظر إلى خريطة العالم، ليست الولايات المتحدة كبيرة على هذا القدر على إطلاقاً، ومن الأفضل لنا مثلاً أن نشتري أسهماً في شركة كوكا كولا عوضاً من الاستثمار في الطائرات الحربية، قم بقيادة حركة السلام، وسوف نقلدك أوسمة، ونمنحك جوائز أرفع من جائزة نوبل على نحو مؤكد.

ليس قادة الدول ورؤساء الوزراء أنصاف آلهة، إنهم بشر فانون ببساطة، لكنهم يمتلكون نفوذاً سياسياً وعسكرياً، وهكذا يمكنهم أن يصبحوا بتأثير هذا النفوذ أشراراً أو أخياراً.

يكمن خيار القيادة في العالم الديمقراطي في أيدي الشعب، والفرد مسؤول عن القيادة التي يختارها، وعندما تسبب هذه القيادة القتل والفوضى، وتستخدم القوة المفرطة وغير المميزة، وتخرق الأخلاق الدولية، وتتصرف كأنها شيطان العصر، عندها يكون المواطن منا شريكاً في هذه الجرائم والخطايا المميتة، إذا كنت مؤمناً بيوم الآخرة،

فروحك في خطر، وإذا لم تكن مؤمناً به، فروحك مازالت في خطر، وسواء آمنا بوجود الجبال أم لا، فهذه الجبال سوف تقف بكل شموخ وعظمة على أي حال، إذا قررنا أن يوم القيامة ليس حقيقة، فإن آراءنا لا تتمنى هذا اليوم على أي حال أيضاً، ويظهر القرآن الكريم هذا الواقع على مر التاريخ، فهو يذكر الأمم التي أخفقت في الإيمان بوجود الله سبحانه، والتي دفعت ثمناً غالياً نتيجة لهذا العناد، دع غير المؤمنين يواجهون أمراً بسيطاً: ماذا لو كنتم مخطئين؟.

لابدّ أن العدالة ستتحقق لجميع شعوب العالم، لا يمكن العدالة أن تقاس بمصالح الغرب أو الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، لاحظ جيداً أن مقدمة الدستور الأمريكي، كما الحال للديمقراطيات الأخرى، تنحصر فقط في وطنية ضيقة، وكأن البشر الوحيدين على هذا الكوكب، الذين يجب الاهتمام بهم، هم أولئك الذين يعيشون في منطقة جغرافية معينة.

وهانحن نسرد مقدمة الدستور الأمريكي، كما يلي:

«نحن شعب الولايات المتحدة، لكي نؤلف اتحاداً أكثر رسوخاً، ولكي نقيم العدالة، ونضمن الاستقرار الداخلي، ونضع أسس الدفاع المشترك، ونزيد الرفاهية العامة، ونصون نعمة الحرية لأنفسنا وللأجيال القادمة، نضع هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية».

إنّ السعي هو لمصلحة الخير العام للشعب الأمريكي، وخاصة «صون نعمة الحرية لأنفسهم وللأجيال القادمة»، لابدّ أن هذه الوطنية الديمقراطية ضيقة وأنانية ومحصورة، أليس كذلك؟.

إن لم تكن هذه القضية مسألة أخلاقية بسيطة، إذاً فإقرأ تلك الآيات من القرآن الكريم، التي تحمل معها تحذيراً خطيراً:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾، (سورة الرحمن، الآيات 7-8-9).

يؤكد القرآن الكريم هذه العدالة، لأن خلق الكون كاملاً هو في حالة من التوازن، وهكذا يتوقع من البشر أن يخلقوا حالة من التوازن في علاقاتهم مع ببعضهم، وحيث هنالك توازن طبيعي في الأنظمة البيئية للطبيعة، يجب على البشر أن يحافظوا على توازن مماثل، يجب تجنب ارتكاب المخالفات، لأنها تسبب خللاً في التوازن، ليست العدالة فضيلة، وحسب، لكنها عنصر أساسي لتجنب الخلل، لئلا نخلط المصلحة الشخصية بالانحياز، ما يسمح بثقل غير صحيح يفضّل الإجحاف، وهذا ما يقود إلى فقدان التجانس والصراعات والحروب.

يجب ملاحظة أن هذا التوازن ليس شيئاً يجري التباحث فيه، أو توازناً يمكن التباحث في شأنه وإرجاءه أو إنكاره، إنه توازن واجب، وأي واحد منا ملزم تلبيته، وهو أيضاً التزام لا يمكن التفاوض عليه وغير مشكوك فيه، لأنه متصل ومتعلق بحالة التوازن الكونية وتوازن المجتمع الإنساني، وأي تردد أو تجاهل أو رفض لهذا الأمر هو خرق للعدالة.

سوف تبقى العدالة شرطاً استباقياً أساسياً من أجل تحقيق التعايش الإنساني، ويمكن الاعتماد والتعايش المدني والإنساني المتبادل أن يتحقق فقط خلال مبدأ العدالة العالمية، الذي يتضمن منطقياً جميع شعوب الأرض بغض النظر عن الحدود الوطنية، إنّ الإنصاف الدولي، الذي يجمع كل مصالح شعوب العالم ضروري من أجل تحقيق العدالة.

وسواء كان المرء مسلماً أم لا، أليست الآية القرآنية الأخيرة المذكورة سابقاً أقوى عرض لمعنى العدالة؟، عندما يحب المرء جاره مثلما يحب نفسه، فهو يحافظ على التوازن، ويضيف ثقلاً لمبدأ العدالة، وعندما يعامل المرء الآخرين، كما يحب أن يعامله الآخرون، فهو طبعاً يحافظ على

التوازن، ويضيف ثقلاً لإلى مبدأ العدالة، يجب على المسيحيين أن يتفكروا في عامل التوازن هذا، وكيف يتفق مع المبادئ ذاتها للعقيدة المسيحية.

يجب على جميع القادة أن يفعلوا الأمر ذاته، وعندها سوف نشهد تحسن العلاقات على المستوى الدولي، لن نخسر شيئاً، لأن العدالة في ثقلها يمكن تطبيقها على جميع الأطراف، لن نخسر شيئاً، بل سوف نحظى بالعدالة والإنصاف.

ولاشكّ في أن التحذير القرآني متصل بهذه القضية، وهو يقضي بعدم التهاون في مسألة تحقيق التوازن، فهذا التحذير ليس مطلباً أو نصيحة فقط، لكنه أمر مباشر ومبدأ أو قاعدة واضحة.

لكن الغرب على أي حال يحضّ على ثقافة «الشقاق»، وينشرها في كل الأنماط:

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾، (سورة ص، الآية 2).

إنّ هذه العزة تشبه تعجرف القادة الغربيين، الذين يستمتعون بالعظمة، التي نسبوها إلى أنفسهم، وهم في الوقت ذاته يسعون إلى تحقيق مصلحة مجموعة مختارة قليلة، أو المصالح الوطنية للدولة في أفضل الأحوال وأوسعها، وإنّ غزواتهم في العالم هي فقط لإرضاء مصالح هذه المجموعة المختارة، وهذا الدافع تماماً هو الذي يتعارض مع المصلحة المشتركة لبني البشرية، إنّ الجهود المتضافرة لتحسين أوضاع شعوب العالم لا تمتّ بأي صلة ببرامج وخطط دول العالم الأول، ومعروف أن التقدم والتطور اللذين وصلت إليهما دول «العالم الأول» قد بني على حساب دول «العالم الثاني والثالث» وأكتافهما.

هذه القضية كلها تدعو إلى إعلان نيات يجب على محبي السلام أن يتبنوه، وأن يكون هناك حرب من أجل السلام ضد الاختلال في ميزان

العدالة، وأن يجري السعي إلى الحفاظ على توازن يبقي العالم بعيداً عن أي فوضى اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.

سيكون على محبي السلام أن يعلنوا:

(3❖لأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. 4❖إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. 5❖هَادِمِينَ ظُنُوناً وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ) – رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثه 10: 3- 5.

يجب على المسيحيين أن يتفكروا في فوائد وعود المسيح، وأن يتذكروا جيداً أنّه:

(9❖طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ) . متى 5: 9.

الفصل الثامن

تماماً مثلما كتب الله سبحانه وتعالى الفصول المعترضة في حياة الشعوب المغرورة والمتعجرفة، فلا شك في أنه سوف يكتب أيضاً الفصل الأخير.

لو اتخذ قادة الدول خطوة إلى الأمام على طريق التصالح الدولي مع المؤمنين، فسوف يمنحهم الله سبحانه الوقت والإلهام، لكي يكتبوا فصولاً جديدة من التاريخ، لا تُمجّد فيها العدالة الحقيقية والتجانس الدولي وحسب، لكنها تطبق أيضاً على نحو عملي ومنظور.

لقد شهدتم في هذا الكتاب كيف تحصل الأحداث العالمية المعاصرة بالطريقة نفسها التي وصفتها آيات القرآن الكريم، وليس هذا الشيء توقعاً أو نبوءة، لكنه إشارة إلى أن أعمال الاعتداء والتخريب المرتكبة بحق المؤمنين سوف تواجه بمقاومة منهم، وسوف يتدخل الله سبحانه لمساعدتهم بالطريقة نفسها التي تدخل بها في الماضي، وهو أيضاً إشارة إلى كيفية تدخل الله سبحانه وتعالى في وقتنا الحاضر وفي المستقبل، إنّ اضطهاد المؤمنين، الذي نراه حالياً، ليس بشيء جديد، ومعارضة الدين والإيمان بالله ليست جديد أيضاً، لقد سبق تاريخ الشعوب والأمم المتكبرة الوضع الدولي الحالي وحسب.

وإذا كنتم تتفقون أو تعارضون بشدة محتوى هذا الكتاب، أو كنتم تتفقون جزئياً معه، أو حتى إذا لم تتأثروا به من الناحية الفكرية إطلاقاً، فإنني أطلب منكم أن تأخذوا معكم، وتحفظوا في عقولكم، وتخاطبوا في قلوبكم محتوى الآيات نفسها، التي يُفتتح بها القرآن الكريم: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، (سورة الفاتحة).

سواء إذا التزمتم الطريق الإلهي أم لا، وسواء إذا آمنتم بيوم القيامة أم لا، وسواء إذا كنتم تخافون من «مالك يوم الدين» أم لا، فلن تجدوا أبداً حقيقةً أكثر بساطة أو إرشاداً أفضل من الذي سبق ذكره في القرآن الكريم من أجل إحلال الخير الشامل.

ومع ذلك، إذا كان تفكيركم العقلاني مترافقاً مع الإيمان بالله سبحانه، فلا شك في أن الرحلة سوف تكون سهلة.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، (سورة الزخرف، الآيات 63-64).

لقد أعلن المسيح عليه السلام عن المبدأ العالمي: «أحبّ جارك، كما تحب نفسك، وعامل الآخرين، كما تحبهم أن يعاملوك»، لكن من الواضح أن معنى الإنصاف والعدالة المتصل بما قلناه سابقاً قد نسيه العالم المتحضر، أو تجاهله على نحو مقصود.

إنّ القرآن الكريم هو برنامج عمل من أجل تحقيق الإنصاف على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وخلال توضيح قواعد الانخراط الاجتماعي يعالج القرآن الكريم تفاصيل مثل واجب العناية بالأيتام والأرامل والزوجات والجيران، وقواعد المعاملات التجارية والاقتصادية، وقوانين الوراثة، وعقوبات الأعمال الإجرامية ومعنى العدالة نفسه، وذلك لكي يساعد على التأثير الإيجابي في عقلية القارئ العادي، ناهيك بالقارئ المتمعن والدارس للقرآن الكريم، يجب على كل قارئ، إذا كان ينوي القيادة بطريقة أخلاقية، أن يركز على تطوير عقلية تحرره من المصالح الشخصية والجماعية، يجب عليه أن يبحث عن الخير الاجتماعي للجميع من دون استثناء، وإذا كان القارئ علمانياً،

فعليه أن يفهم جوهر الأخلاق والفضيلة العالمية، وبفعل ذلك سوف يكون عليه دخول مجال الأخلاقية الدينية أيضاً، يجب عليه أن يدرك بمنطق أن الدين ليس شيئاً كشعاع شمس في الضباب، كلا المسيحية والإسلام ترى أن هنالك إلهاً يأمر، باحترامه وتنفيذ إرادته على هذه الأرض، وهذه الإرادة تأمرنا أن نتعامل بعدالة مع بعضنا .

لقد زودنا المسيح عليه السلام بالمبادئ العامة، ويسهب القرآن الكريم أكثر في قيامه بترتيب القواعد التي تتلاءم مع التفاصيل التي تتوافق مع أسس القانون النابعة من تلك التفاصيل ووضعها، لذلك، يجب على أي قائد علماني ألا يخفق في أن يستفيد على نحو كامل من القرآن الكريم، وهذه الاستفادة الكاملة تتمثل في التذكير المتكرر في آيات القرآن الكريم، التي تشبه النبضات الإيقاعية، ما يجبرنا في كل لحظة على معرفة القيام بما هو صحيح، وأنه يجب ألا يكون هناك تردد في التزام ما هو صحيح، وأن توازن العدالة ضروري لتحقيق التجانس الاجتماعي، وهذا يتوافق مع العقل، ويدفع الضمير الإنساني إلى الاستخدام الملائم للإرادة الحرة، لكن في الدرس الأخير يسمح للمرء بالسيطرة الحرة على نفسه على نحو قاطع، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، ليس المرء مجبراً على شيء، لكن هناك تعريف واضح وصريح للإخلاص والوفاء اللذين سوف يظهرهما المرء، سواء كان لنفسه وللأصدقاء ذوي النفوذ، أم للأمة التي يتبع لها، إن عقل المرء هو ملكه يقرره، لكن من دون أي نفاق، يجب على الواحد منا أن يفهم الأخلاق، ومن ثمّ يختار أن يصبح أخلاقياً أم لا، وأن يسعى إلى تحقيق الرضا والغرور الذاتي بالمناورات السياسية أو العمل لمصلحة البشرية جمعاء.

ومع ذلك، إذا قيّم الواحد منا موقفه، واختار أن يخالف الحق والأخلاق، فهو يعرض نفسه للدمار، الذي وعده القرآن الكريم.

يجب على قادة العالم أن يختاروا التزام المعايير الأخلاقية السوية المترافقة مع صفات الفضيلة والرحمة، مقدّرين ومحافظين في الوقت نفسه على الحياة البشرية من دون الانحراف عن هذا الطريق ومن دون شهوة الاضطهاد، حتى تتصف قيادتهم بالرحمة ذاتها .

لكن القائد الذي يختار أن يصبح جنرالاً للحرب، تحمله دبابات القتل والتدمير عليه أن يتذكر ما يلي:

(8*هَلُمُوا انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ كَيْفَ جَعَلَ خرَباً في الأَرْض.9❖مُسَكِّنُ الْحُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. يَكْسرُ الْقَوْسَ وَيَقْطَعُ الرُمْحَ. الْمَرْكَبَات يُحْرِقُهَا بِالنَّارِ. 10❖كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ. أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ). المزمور 46: 8- 10.

خاتمة

تشرين الأول عام 2008م

إذا كنت عزيزي القارئ في شك من وعود القرآن الكريم، وكان لديك القليل من التهكم بما كتبته، فتذكر الآن انهيار وول ستريت الاقتصادي، وانهيار البنوك في الولايات المتحدة.

أعد قراءة الفصل الأول من الكتاب، وتذكر مرة أخرى الآيات التالية من القرآن الكريم التي أقتبسها هنا للإفادة:

في سورة الكهف (من الآية **32** إلى الآية **45**) نقرأ حكايةً عن رجلين، فرجل أعطاه الله حدائق العنب والتمر والنخيل وحقول الذرة ونهراً، والآخر لم يمتلك القدر نفسه، وقد أثمرت حدائق الأول بوفرة:

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾، (سورة الكهف، الآيات **34-35**).

لكن الرجل الثاني، الذي لم يمتلك كثيراً، قال:

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾، (سورة الكهف، الآية **40**).

وهذا ما حدث، فقد وقعت الكارثة على الرجل الأول، الذي كان غنياً ومتكبراً:

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾، (**سورة الكهف، الآيات 42-43**).

في الوقت الذي يواجه فيه الرئيس الأمريكي الجديد اضطرابات ومشكلات شتى، يبدو أن الدروس المستقاة من القرآن الكريم ينبغي لها أن تُفهَم، على باراك أوباما أن يتعلم أن الانسحاب من العراق للتركيز على الجهود العسكرية في أفغانستان، كما ينوي، لا يشكل تغييراً في السياسة الخارجية، لكنه فقط تغيير في الأولويات، أو هو محاولة لإنقاذ سفينة غارقة واحدة على الأقل.

ربما يجب على أوباما أن يسعى إلى الحكمة المأخوذة من القرآن الكريم، لأنه عندها سوف يفهم أن التغيير الحقيقي في سياسة أمريكا الخارجية سيتضمن الكف عن السعي لغزو الدول الأجنبية حربياً، أو بالإخضاع الاقتصادي، إذا كان يريد أن يدرس العدالة والإنصاف المتجسد في الإسلام والمسيحية، فسوف يؤثر كلاهما في روحه، وعندها سيستطيع أن يقود دفة الولايات المتحدة إلى مسار الأخلاق والفضيلة، لاشك في أنه عندها سيصبح رجلاً عظيماً.

إنّ القرآن الكريم تنبُئي، فهو يمنحنا الفطنة في إرادة الله سبحانه وتعالى ووعده، كما يفتح الكتاب المقدس الباب على مصراعيه، واصفاً مستقبلنا بصور غنية ومتنوعة ورؤى متعددة الأبعاد فيما يتعلق بما يريده الله سبحانه، أو ينهى عنه، حيث نرى في النهاية أدلة واضحة على عظمة جبروته، وسوف يقرر الله سبحانه وتعالى في النهاية مصير المعتدين، ولن تنجح أي حرب على الله يشنها عليه أي إنسان أو أمة، ولن يحمل أي هجوم على المؤمنين ثمار النجاح أبداً.

جنوب إفريقيا، كانون الأول 2008م.

ارشي اوغسطين

من إصدارات

صفحات للدراسات والنشر

نحو فكر حضاري متجدد

سورية. دمشق. ص.ب: 3397
هاتف 2213095 تلفاكس: 00963112233013
www.darsafahat.com info@darsafahat.com

1) يسوع المسيح خارج العهد الجديد، مدخل إلى الأدلة القديمة، روبرت فان فورست ، ترجمة: وسيم عبده، تقديم ومراجعة: د.منذر الحايك.

2) معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، إعداد سائر بصمه جي.

3) ظواهر الإنسان الخارقة وقواه الحسية الفائقة حدود العلم الحقيقية لعلم نفس الساي Psi، د. علي شاكر الفتلاوي.

4) ما بعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الغربية، ترجمة واعداد الدكتور حارث محمد حسن الد كتور باسم علي خريسان.

5) الفن عند الفارابي، زكاء مردغاني.

6) عروبة الخليج ...حقائق جغرافية ولغوية، أ.د. قصي منصور التركي.

7) الدور التاريخي للشيطان، قتيبة صالح فنجان.

8) الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين، د. راجحة خضر عباس النعيمي، 2011م.

9) العصر الأيوبي، قرن من الصراعات الداخلية، د.منذر الحايك، تقديم د.سهيل زكار، 2011م.

عندما توفي نور الدين لم تفقد الأمة المشروع بفقدان القائد، فقد جاء صلاح الدين، الذي كان مسكوناً بروح سلفه، ليحقق الجزء الأكبر من مشروع التحرير، مستفيداً من الوحدة. ولكن البيت الأيوبي، الذي قام حكمه أساساً على مشروع الدولة الموحدة والجهاد للتحرير، تناسى المشروع بوفاة صلاح الدين، وغدت الشام منقسمة، لا تتوحد إلا بتحالفات هشة ضد مصر، ولم يكن صلاح الدين هو من قسم الدولة التي جهد لتوحيدها، ولكن الإقطاع العسكري، وهو النظام السائد وقتها، كان سبب التجزئة، فبوفاة السلطان تتحول الإقطاعيات إلى ممالك. لقد كانت مرحلة الانقسام الأيوبي مرحلة عقيمة على الصعد كلها، ما منح الفرنجة أعواماً طويلة أخرى، أمضوها في بلادنا، ليس لقوتهم التي ارتجّت بعد حطين، بل لضعف الكيانات السياسية الأيوبية وتخاذلها. لكن من جهة أخرى، ومع أن ملوك البيت الأيوبي تخلوا عن السياسة الهجومية للتحرير، فلا بد أن نشير إلى دفاعهم القوي في وجه الفرنجة، حيث تمكنوا من صد حملات كبرى، كان ممكناً أن تقلب وجه الشرق العربي المسلم، وعلينا أن لا نحملهم كل أوزار زمانهم، فقد كانوا جزءاً من مجتمعهم بكل ما فيه من فضائل ونقائص، ومع أن الأيوبيين كانوا أكراداً في أصلهم، فقد عدوا أنفسهم عرباً بثقافتهم ودينهم، فأحبوا اللغة العربية، وقربوا إليهم الشعراء والأدباء، وعقدوا مجالس الفقه، وكانوا رواة، تسند إليهم بعض الأحاديث الشريفة، كما تميزوا بالبساطة، وربما التقشف، فلم تعرف بلاطاتهم التقاليد الملكية، أو أبهة الملك، إن تاريخ البيت الأيوبي لا يبدو واضحاً من سير ملوكه، أو تدوين أحداثه، بل يحتاج على نحو ضروري إلى دراسة العلاقات الداخلية بين ملوك البيت وسلاطينه وتحليلها، ودور الأمراء، والقوى العسكرية، وشبه العسكرية، وتأثير كل هؤلاء في تلك العلاقات، وهذه هي المزية الجديدة التي انفرد بها هذا الكتاب، والتي لم يتطرق إليها البحث سابقاً وفق علمي.

10) نزهة الأنام في محاسن الشام، غوطة دمشق ومنتزهاتها، أبو البقاء عبد الله البدري، تحقيق: الدكتور منذر الحايك،2011م.

يعد هذا الكتاب الأقدم في موضوعه، فمؤلفه أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري(847-894 هـ)، يتحدث عن غوطة دمشق يوم كانت جنة الدنيا. عن فاكهتها في زمن كانت فيه أنواع الصنف الواحد من الفاكهة أكثر من أن تحصى، بل إن بعض الأنواع لا يجد له المؤلف اسماً فيقول: مجهول. عن الزائر الذي شبع من الفاكهة التي تطفو على سطح النهر، والفقراء الذين يحملون مكاتلهم على رؤوسهم ويسيرون في دروب الغوطة، فيعودون وهي ممتلئة بالثمر الحلال الذي سقط عليهم.

عن أزهار وثمار كانت متاحة للغني والفقير، كالنيلوفر، والتمر حنه، وقف وانظر، وورد دمشق الجوري. عن فوائد كل نوع من الثمر أو الخضراوات واستعمالاته الطبية كما قررها كبار أطباء ذلك العصر.

يتحدث عن منتزهات دمشق التي لا مثيل لها: الربوة، والجبهة، وبين النهرين، والشرفين، والنيربين، والحواكير. . . عن عادات أهل دمشق في نزهاتهم واحتفالاتهم، وعن أشعارهم بكل موسم وبكل فصل، بل وبكل نوع من الزهر والفاكهة والشجر.

عن أهل دمشق وكيف كانوا يستعدون للشتاء. عن الثلج وتخزينه للصيف. عن قاقات دمشق، وعن صناعاتها التي اشتهرت في أرجاء العالم، وسارت بها القوافل. مع كل طرفة ونادرة وحكاية وشعر وفائدة.

11) منامات الوهراني وحكاياته، الشيخ ركن الدين محمد بن محرز الوهراني، تحقيق: د.منذر الحايك، تقديم أ.د.سهيل زكار، 2011م.

قال ابن خلكان في "وفيات الأعيان"، وهو يترجم للوهراني: "أحد الفضلاء الظرفاء، عدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته" . ثم ترجم له الصفدي في كتابه "فوات الوفيات"، فقال: "أحد ظرفاء العالم وأدبائهم. سلك ذاك المنهج الحلو والأنموذج الظريف وعمل المنام المشهور، وعلى الجملة فما كاد يسلم من شر لسانه أحد ممن عاصره، ومن طالع ترسله وقف على العجائب والغرائب" . وقال الدكتور سهيل زكار في تقديمه: أجاد أخي أبو فراس

في عمل كتاب الوهراني المهم تحقيقاً ودراسة، وأخرج، أو لأقل أعاد إخراج الكتاب ضبطاً وشرحاً، ولا شك أنه سيكون لكتاب الوهراني فائدة عظيمة في إخراجه منفرداً مع الدراسة الوافية حول حياته ونشاطاته، ومع الشروح الضرورية للاصطلاحات المتنوعة. وقال الدكتور منذر الحايك في دراسته: إن أهمية كتابات الوهراني الحقيقية تنبع من أهمية عصره وما جرى فيه من التحولات السياسية والمذهبية والاجتماعية، وكشفه العديد من الأمراض الاجتماعية: الرشوة واغتصاب المال العام واللواطة والزنا وجلسات المجون التي كان يشارك فيها قضاة وأمراء وتجار، كما أعطانا فكرة عن مشكلات الجواري والغلمان. وهذه كلها أمور كانت شائعة ولكن الأدب الرسمي يسكت عنها. والمدهش في كل ما كتب الوهراني هو جرأته المستغربة في ذلك الزمان، فقد كتب بلهجة من لا يخشى سلطة وزير أو أمير.

12) الدولة العربية في صدر الإسلام، د.عبد الحكيم الكعبي 2011م.

إن كثيراً من الباحثين في التاريخ العربي الإسلامي يتحاشى البحث في تاريخ هذه الحقبة ودراسة أحداثها، لا لعدم توافر المعلومات عنها أو شحة المصادر التي تناولتها، بل العكس هو الصحيح ،فالروايات التاريخية عن هذه المرحلة كثيرة جداً، ربما تفوق في كثرتها، ما هو متوافر عن المراحل والحقب الأخرى في التاريخ العربي الإسلامي، ولكن التناقض الكبير والتباين في المعلومات المروية هو الذي يبعد الباحثين ويصدهم عن الخوض في أحداثها. إن هذه الدراسة التي تندرج في إطار التاريخ السياسي للدولة العربية ، هي محاولة لعرض ومناقشة أحداث هذه الحقبة التاريخية المهمة، بموضوعية وتجرد،وقد حاولنا ـ قدر طاقتنا ـ تحقيق ذلك الهدف النبيل وبأن تكون خالية من الهوى الشخصي أو التمذهب الحزبي أو الطائفي، وبعيدة عن التوجهات المسبقة، واجتهدنا بما نستطيع، أن تكون منسجمة مع روح الإسلام بكل صفائه ونقائه ونظرته الإنسانية السمحاء.

13) اعترافات بهائي مرتد، د.منذر الحايك، 2011م.

ارتبطت البهائية بالإسلام بعلاقة ذات خصوصية فريدة، فرضتها عوامل جغرافية واجتماعية، فقد ظهرت البهائية في صميم العالم الإسلامي، وكان أكثر أتباعها الأوائل من المسلمين، فأدى ذلك إلى اعتراض المسلمين عليها منذ نشوئها، ومع توجهها العالمي لم تتمكن البهائية من الفكاك من كونها خرجت من الإسلام، الذي نلاحظ أثره الكبير في تعاليمها وشعائرها، فالبهائية نبتت في الصوفية الإسلامية، وتعد واحدة من شطحاتها. فمبدأ وحدة الأديان الذي هو صلب المعتقد البهائي يتماثل مع ما طرحه أعمدة الصوفية، الذين سبقوا البهائية مئات الأعوام. وفي هذا السياق من التجاذب والتنافر بين البهائية والإسلام يأتي هذا الكتاب الذي يضعنا أمام حالة نادرة، وإن لم تكن فريدة، لشخص اعتنق البهائية من أجل الحصول على معلومات دقيقة عنها وكشفها للملأ، ومع أن كثيراً من المستشرقين اندسوا في الإسلام، لكن الجديد في الأمر هنا أن يعلن الكاتب صراحة أنه كان مندساً لجمع المعلومات، كما تدل كتابته بعمق الإيمان والعقيدة البهائية على أنه قطع شوطاً في مراحل اعتناق هذه الملة، وأظن بأنه اعتنق البهائية لسبب من الأسباب، وأنه كما يحدث كثيراً مع معتنقي الأفكار الجديدة قرر العودة عنها بسبب من الأسباب، ونحن هنا لا نفتش عن تلك الأسباب، ونكتفي بالكم الهائل من المعلومات غير المسبوقة من الداخل المقدس للبهائية، ومن العمق المحرم لمعتقداتها. وإن كنا لا ندعي أنها الحقيقة الكاملة المطلقة، بل نقول إن معلومات الكتاب هي من طرف محمد علي كيوة البهائي المرتد، ولكن في النتيجة، ومهما كان رأي المؤلف، أو رأينا الخاص، فالبهائية دعوة وفرقة دينية لها وجودها، وما دامت تكتسب أتباعاً فلديها إذاً ما تقنع به الناس، ويستحق التفكير فيه، والقبول به أو رفضه. فالبهائية من أشد الفرق تأكيداً لحرية المعتقدات الدينية، ويكفي البهاء ليكون من مرشدي الإنسانية أنه قال في "الكلمات المكنونة": "يا ابن الروح في أول القول املك قلباً جيداً حسناً منيراً، لتملك ملكاً دائماً باقياً أزلاً قديماً"، وبالقلب الجيد الحسن المنير، لتكن قراءتنا لهذا الكتاب، ولنطلع على ما فيه من باب المعرفة بالشيء، وبعدها ليعتقد كل منا ما شاء، وليقل كل منا ما شاء.

14) سقوط الامبراطورية العثمانية، وتكوين الشرق الأوسط الحديث، ديفيد فرومكين، ترجمة: وسيم حسن عبده، قراءة وتقديم د.منذر الحايك ، 2011م.

يمتاز الكتاب برؤية شمولية لتكوين الشرق الأوسط، وهذا ما جعله عملاً غير مسبوق، فقد جمع أول مرة الإجابات الكاملة عن أسئلة، كانت ولا تزال رمز الحيرة والتعمية والتضليل، منها: كيف شكلت بريطانيا الكيانات الجغرافية والسياسية للشرق الأوسط؟، ولماذا كانت تلك الأشكال وتلك الشخصيات تحديداً؟، وماذا كانت ترجو من وراء ذلك؟، ما مدى التناغم أو الخلاف في الإدارات البريطانية، وهي تتخذ قرارات مصيرية لملايين الناس؟، من أولئك الرجال الذين صاغوا أخطر القرارات في أصعب الأحوال؟، ويبقى الجزء الأهم من الكتاب، وهو وضعه لحدود الواقع والخيال لما كنا نعرفه عن تلك المرحلة، مثل: الجمعيات العربية؟ ابن سعود؟، والشريف حسين؟، والملك فيصل والأمير عبد الله؟، ووعد بلفور؟ وسيدرك القارئ معنى المصادفة في التاريخ، وسيعرف معنى التآمر لتمرير السياسات، حتى ضمن الجهاز الواحد للدولة، وسيصعب عليه أن يصدق كثيراً مما احتواه الكتاب، ولذلك قد يخلق الكتاب أزمة ثقافية، فهو يقلب كل ما تعلمناه أو جلّه، ولكن الأخطر هو الأزمة الروحية التي سيخلفها على نحو مؤكد بعد قراءته، كان تشرتشل، الذي يحتفظ بوش بتمثال نصفي له في مكتبه البيضاوي، قد قام بالدور الأكبر لتأسيس معظم دول الشرق الأوسط، فهل يتأتى لواحد من معجبيه، وهو من أنجب تلامذته في المدرسة الاستعمارية، أن يسعى لتقليده في إعادة تكوين شرق أوسط جديد؟، إن ما قامت به حكومة بوش من مغامرات في الشرق الأوسط، قد جعل من قدرة نظم دوله على الصمود والبقاء سؤالاً مفتوحاً بطريقة، لم تكن قبل بضع سنوات فقط، بل الأكثر من ذلك قدرة هذه الأنظمة على تسويغ شرعية وجودها، وهذا ما يسميه الرئيس بشار الأسد: "أزمة الشرعية لأنظمة الشرق الأوسط"، حيث أشار إلى ذلك معلقاً على ما ورد في كتاب فرومكين.

15) الحرب ضد الله، THE WAR AGAINST GOD آرشي أوغوستاين، ترجمة محمد الشماع، مراجعة وتقديم د.منذر الحايك، 2011م.

أنا روماني كاثوليكي، وأعمل كمحامٍ في محكمة الجنايات في جنوب إفريقيا، عندما جرى احتلال أفغانستان، وبدأ غزو العراق، إضافة إلى ما تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين، قمت بقراءة متمعنة لنص القرآن الكريم، لأني أردت أن أعرف فيما إذا كان الإسلام سوف يواجه مصير المسيحية نفسه أم لا، فاكتشفت أنه من السهل ربط الآيات القرآنية بالوضع العالمي

الراهن، وأكثر من هذا، فهم المستقبل، بعد تدمير برجي التجارة العالمية بدأت الولايات المتحدة حربها على "الإرهاب"، ويدّعي بعضهم أنها كانت محتاجة إلى ذريعة لتحقيق مغامراتها ضد ما سمّي "الإرهاب الإسلامي"، ولا أظن أن هذه الكذبة كانت ضرورية لكسب تأييد الشعب الأمريكي، أو الحصول على الدعم الدولي، فبغضّ النظر عن الأمم المتحدة، والرأي العام نفّذت القوات الأمريكية والبريطانية ما يحلو لها، قُصف المسلمون، وقُتلوا واحتلّت أراضيهم، وأصبحت الديمقراطيات المصممة على النمط الغربي هي الممكنة، لذا كان على العادات والمبادئ الإسلامية أن تلغى. ومن ثم فأي مقاومة للمعايير الجديدة سوف تعد "إرهاباً"، فالحرب ضد المسلمين ليست فقط حرباً ضد شخص المسلم أو ممتلكاته، لكنها حرب ضد معتقده وإيمانه. ولذلك فإنّ "اغتيال الإسلام"، هو البرنامج. وأنا مقتنع تماماً بأن هزيمة الإسلام معتقداً غير ممكنة أبداً. ولن تقنع أي دعاية غربية المسيحيين المخلصين بأن الحرب ضد الإسلام مسوغة، والتزاماً بمصداقيتي الاحترافية وديني المسيحي، فإني لا أعتذر عن الكتابة بكل صراحة، لأن الحقيقة ليست مؤذية، بل على خلاف ذلك يمكنها أن تشفي.

16) شيفرة ناستراداموس ـ الحرب العالمية الثالثة، مايكل راثفورد ـ ترجمة وتعليق: محمد الواكد، 2011م.

هل أنت مستعدّ لحرب عالمية ثالثة؟، عندما تأتي أخيراً تلك اللحظة الحاسمة، هل سيكون لديك الوقت لتتذكر ماذا كان يمكنك أن تفعل لإيقافها؟، أيّ هراء مرعب ومثير للشفقة هو ذلك؟، هل هذا تنبؤ آخر مشؤوم بتلف الأنظمة الإلكترونية في عام 2012؟ إنها مبالغة كبيرة حول لا شيء، هناك ثلاثة أنواع من المجموعات، أولاً، هناك الشعوب التي هي من قبل ضحايا للحروب الرئيسة الآن كشعب فلسطين والعراق وأفغانستان وصربيا وكولومبيا، المجموعة الثانية هي أولئك الذين يخطّطون ويتمنّون تنفيذ الحروب النووية، المجموعة الثالثة هي الأشخاص الذين لاحظوا قدومها، وكان لديهم البصيرة للانتقال إلى مواقع بعيدة في نصف الكرة الأرضية الجنوبية، ماذا ستفعل لو أنك حصلت على معلومات، تؤكد لك حقاً أنّ الحرب العالمية الثالثة هي على وشك أن تبدأ في بضعة شهور؟، ما الخطوات التي ستتخذها لتهيئة نفسك؟، فماذا ستفعل...؟.

17) تقنيات وآليات الإبداع الأدبي - صاحب الربيعي، 2011م.

اللغة فضاء من الكلمات والرموز والصور والمعاني المجردة والمتوارثة، التي تختزنها الذاكرة للدلالة على مكونات المحيط على نحو مجرد، لكنها لا تعبر عن ماهيتها بدقة من دون وجود تقنيات وآليات لربط الكلمات والرموز والمعاني أو فصلها لصياغة الفكرة، التي توجز المعنى. الفكرة المنتجة مخلوقة، أنتجها خالق يمتلك ناصية اللغة وآلياتها، ويحسن المزاوجة بين الأفكار المكتسبة لإنتاج كائن (فكر) إبداعي جديد، فالخالق للأفكار مبدع وفنان ماهر، ينحت الكلمات، ويشذب الأفكار، ويعيد تشكيل الصياغات برؤى جديدة، تستمد ومضاتها الأولى من حالة اللا وعي، ويتحقق من صدقها في حالة الوعي بعد أن تجري مزاوجتها بالأفكار المكتسبة، التي تختزنها الذاكرة لإنتاج الفكرة الإبداعية. تعد النتاجات الإبداعية، روافد معرفية مختلفة المنابع، تصب في الحضارة الإنسانية، فهي توجز محطات التاريخ في ذاكرة الحاضر، لتنير المستقبل، فالمبدع بمنزلة كنز معرفي، يجسد مقومات الأمة عبر نتاجاته الإبداعية التي تساهم في رقي الحضارة الإنسانية وسموها.

يبحث الكتاب في فصوله الثلاثة ومحاوره الرئيسة والفرعية اللغة والمعرفة (اللغة والرفد المعرفي، تقنيات الشعر وآلياته)، والإبداع والنقد الأدبي (دور الإبداع الأدبي في التواصل الحضاري، الفنون الإبداعية والنقد)، وأخيراً الثقافة والنخبة (الثقافة والمثقف، دور النخب الثقافية).

18) رؤية في مؤسسات الدولة والمجتمع - صاحب الربيعي، 2011م.

الكتاب يعد محاولة لتأسيس رؤية عن مؤسسات الدولة والمجتمع، مصطلحاتها، سلطاتها، أنظمتها، نخبها لفهم أعمق للواقع السياسي المعاصر باعتماد العقل، وليس العاطفة للإشارة إلى الأخطاء في الحراك السياسي، ليصار لتأسيس قاعدة معرفية للمصطلحات والمدلولات السياسية، سندها الأساس علم السياسة، وفهم أعمق للمشكلات الاجتماعية، سنده الرئيس علم الاجتماع، فمن دونهما لا يمكن إجراء التغيير السياسي المطلوب. ولا يجوز الانصياع للعاطفة والوهم الفكري لخوض الصراعات الاجتماعية تحقيقاً لمصالح النخب السياسية، التي تستغل الكائنات البشرية المغيبة عن مديات الصراع ودوافعه، مخلفة الضحايا، ليتحمل المجتمع أعباءها الكارثية، وتحصد الصفوات السياسية المكاسب. عناوين فصول الكتاب الثلاثة ومحاوره الرئيسة الدولة والنظام (مهام الدولة وآليات عملها، العلاقة بين الدولة والمجتمع)، والدولة والسلطة (آليات بناء الدولة الدستورية، السلطات الدستورية للدولة)، وأخيراً السياسة والمجتمع (النظام السياسي والمجتمع، دور النخب السياسية في المجتمع).

19) ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم، الدكتور فوزي رشيد، 2011م.

يعرج بنا الدكتور فوزي رشيد في كتابه هذا على الإبداعات الحضارية الأولى للإنسان وتحليلها، والبحث عن أسبابها ودلالاتها، ونراه قد جهد ليمتعنا بمعرفة بدايات المظاهر الحضارية للإنسان، من نشأة التقاويم إلى غيبيات السحر وممارساتها في العالم القديم، ومن شعائر الاستسقاء إلى القوى الخفية للإنسان، وكيف فهمها وتعامل معها؟، ثم يحلّق بنا إلى الأبراج السماوية، شارحاً علاقتها بطالع البشر خلال النصوص المسمارية، وينتقل ليحلل الدوافع الخفية وراء وأد البنات، كما يعرض لشعائر الزواج المقدس، والأعداد المقدسة ورموزها، وكذلك الألوان ودلالات كل لون منها، ومعانيها النفسية للبشر، وكان له نظرية جميلة عن ابتكار الشعر، وبداياته، من دون أن ينسى أن يعقد مقارنة طريفة بين الشاعر العربي "المتنبي" والأمير السومري "كوديا". وكان مؤلف هذا الكتاب في غاية التوفيق، عندما ربط الجمال بالحضارة، وصحبنا في رحلة ممتعة، ليطلعنا على ظواهر جمالية ودلالاتها الفنية في عمق أحاسيسنا، التي ربما تكونت في عهود الطفولة الحضارية المبكرة للجنس البشري.

20) مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في "شروح التلخيص" للخطيب القزويني، صابر الحباشة، 2011م.

تمثّل هذه الدراسة محاولة لمعالجة بعض الشروح البلاغية القديمة من زاوية تداولية، تلجّ البعد التواصليّ في المنظومة البلاغية القديمة، كما تسعى إلى عقد مقارنات بين المعاني البلاغية، كما كرّستها تلك الشروح، وما اكتنفتها من معان تداولية، يمكن استبصارها بالاستعانة بما جاءت به بعض المقترحات التداولية الحديثة. وتتخذ هذه الدراسة "شروح التلخيص" للقزويني مدوّنة لها، حيث دُرست بعض أحوال المسند إليه كالحذف والذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير ناظرة إلى انتقال زاوية الرؤية من المعنى النحويّ إلى المعنى التداولي.

21) إشكاليّة الذّوق الفنّيّ عند محمود محمّد شاكر، خليفة بن عربيّ، 2011م.

لقد انطلق الباحث في تماثله مع قيمة الذّوق الفنّيّ في نهج محمود شاكر، الّذي نظر إلى التّراث بمنظار الشّموليّة في الرّؤية، والسّعة في الاطّلاع، والتّآلف مع القراءة، والتّألّق في الحسّ الفطريّ، والانبعاث في نور المعرفة، والتّأنّي في إصدار الأحكام، بخاصّة حين منعته الهيبة أن يختلف مع أستاذه طه حسين في مواضع شتّى، ومع هذا كان محقّقا بارعاً من صدر واسع، وإبانة ساطعة، أو كما وصفه العقّاد بأنّه " المحقّق الفنّان "، في وقت كان محمود شاكر لا يعدّ نفسه كذلك، بقدر ما كان يحبّ أن يوصف بـ " القارئ الحَفيّ "، و" الشّارحَ الوَعيّ " لمتن اللّغة العربيّة وآدابها، الأمر الذي أوصله إلى نتائج في دراساته، أذهلت الأدباء والمفكّرين، كان مَصدرها ما استنتجه مَن ذائقة فنيّة رفيعة بخاصّة في شعر المتنبّي.

22) السحر والخرافة، وموقف الإسلام، د.حسن الباش، 2011م.

الإسلام والأسطورة، من أين جاءت الأسطورة؟، الأسطورة والمقياس الحضاري، العودة إلى أساطير الماضي دليل على فقدان امتلاك الحاضر،الإسلام والخرافة، الجاهلية والخرافة، الخرافة والقوى غير المنظورة، ماذا تقول الخرافة عن علاقة الجن بالإنسان؟، الخرافة وأثرها الضار في الحياة الاجتماعية، الإسلام والسحر، السحر عند الشعوب القديمة، السياق القرآني والسحر، الجاهليون والسحر، السحر والاستعانة بالجن والشيطان، الرقى والتعاويذ وعلاقتها بالسحر، وموقف الإسلام منها، الإسلام والشعوذة، الشعوذة وموقف الإسلام منها، التنجيم والبروج، الشعوذة في عصر التكنولوجيا .

23) الإسلام وصراع الحضارات، محمد بن موسى بابا عمي، 2011م.

يتضمن هذا الكتاب جملة من البحوث والملاحق، أوحى بها مسار الفكر المنحرف لمن انساق وراء نظرية (صراع الحضارات)، فكانت محاولة من المؤلف، اعتمدت القرآن الكريم منطلقاً ومنهجاً، والسنة النبوية مثالاً وأنموذجاً للتأسيس لعصر جديد، بدأ يلوح فجره بعد إخفاق الهجمة التي قادتها أمريكا بزعامة المسيحيين المتهودين، وتبشيرهم بحرب صليبية جديدة ضد الإسلام، الذي صوروه دين عنف وإرهاب، فانقلبت عليهم، وأثبتت زيف ادعاءاتهم وإخفاق نظريتهم، والعصر الجديد، الذي ستكون قيادات أمريكا الحالية خارجه على نحو مؤكد، يحتاج إلى حوار حضارات، ينطلق من هذه البحوث، التي تبني ثقة متبادلة، تؤدي إلى تكامل حضاري، يهدف إلى خير الإنسانية وسعادتها .

24) مقدمة في أنثروبولوجيا العولمة، الغرب من اقتصاديات الذات إلى جغرافيا الآخر، رؤية تحليلية، د.جعفر نجم نصر، 2011م.

هل يفرض النمو الاقتصادي توجهاً نحو الهيمنة؟، وهل إيديولوجيا الاقتصاد الغربي تفرض ذلك النزوع؟، كيف يمكن تحليل العقل الأوروبي الاقتصادي أنثروبولوجياً؟، ولماذا أنثروبولوجيا العقل الأوروبي في تلك المراحل التاريخية كانت متوجهة إلى (الآخر) بعده نتاج الكشف الاقتصادي وأحد اكتشافاته الإنسانية؟، ولماذا كانت أنثروبولوجيا تحليل الذات الغربية لهم غائبة أو مغيبة، فهل الأنثروبولوجيا هي علم الآخر لديهم لا علم الذات؟، وإذا كان الغرب يمتلك وعياً معرفياً (عصر الأنوار) ، فلماذا كان وعيه وسلوكه في التعامل مع الداخل (مجتمعه) متناقضاً مع سلوكه في أثناء تعامله مع الخارج الآخر؟، وهل العولمة ظاهرة تاريخية ملازمة لطبيعة النمو الاقتصادي لأي حضارة، أم هي وقف على الحضارة الغربية فحسب، وطبيعة مسارها الحضاري، أم إن العولمة ظاهرة موجهة اقتصادياً؟، وهل هي بعبارة أخرى الوجه الآخر للراسمالية الغربية؟.

25) القائد السياسي في التاريخ المعاصر، دراسة سياسية تاريخية في الزعامة وعوامل ظهورها، أ.د.موسى محمد آل طويرش، 2011م.

القادة والزعماء هم من يصنعون الأحداث في العالم، حقيقة لابد من التسليم بها، وعلى الرغم من الرافضين والمعارضين لهذا الرأي فإنهم لا يستطيعون إلا أن يؤكدوا أن من يصنع قرار الحرب هو الفرد القائد، ومن يقرر السلم هو الفرد القائد، ومن يقود الانقلاب أو الثورة هو القائد، ومن يقود الدولة إلى الاستقلال أو إلى التقدم أو إلى الانهيار هو القائد، ومن يعمل على قيادة المجتمع للخلاص من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية هو الشخص القائد، ويرى عدد من المفكرين أن الخضوع والولاء للقائد كان أحد الأسباب التي أدت إلى ظهور السلطة، فهذه الحاجة متأصلة في الإنسان حتى أن هوبز عندما وضع نظريته (العقد الاجتماعي) وجد أن حالة الصراع الأولى في المجتمعات الإنسانية البدائية لم تنته إلا بعد أن قرروا اختيار القائد أو الحاكم الذي ينهي حالة الصراع وينظم شؤونهم، وذلك بعد أن تنازلوا له عن كل أشكال السيادة والحريات حسب رأي هوبز.

الكتاب يبين العوامل التي ساعدت على بروز هؤلاء القادة في التاريخ المعاصر، مع دراسة نماذج عن كل حالة ، إذ توزعت الدراسة على تناول دور القائد السياسي في صنع الأحداث و العوامل التي تساهم في تركيز السلطة بيد القائد السياسي.

و أنواع تركيز السلطة أو ما يطلق عليها (شخصنة السلطة) ودور القائد السياسي في صنع الأحداث الإقليمية والدولية، مع درس نماذج من القادة للتوضيح بصفته تطبيقاً عملياً للطروحات النظرية.

26) زمن الصراع على الإسلام، التدافع الكوني حول أنماط التديّن الإسلامي بين الشرق والغرب، منتصر حمادة، 2011م.

إذا كانت أهم معالم "التدافع الإسلامي" أو الصراع على النطق باسم الإسلام، قبل منعطف اعتداءات نيويورك، تُختزل في التوترات التي طبعت علاقة الأنظمة العربية والإسلامية مع الحركات الإسلامية، من جهة، أو الخلاف القديم/الجديد بين فقهاء المؤسسة والمفكرين الإصلاحيين، من جهة ثانية، فقد كانت أبرز معالم الصراع ذاته في مرحلة ما بعد الاعتداءات، ظهور أصوات غربية، سواء كانت محسوبة على صناع القرار السياسي أو الأمني، أو ناطقة باسم مراكز أبحاث و"علب أفكار"، تدعو إلى تعديل المناهج التعليمية والدينية في المجال التداولي الإسلامي العربي تارة، أو تروج لمفاهيم أخلاقية على صناع القرار الإسلامي العربي تارة أخرى، واستفحل هذا التدخل الغربي في الشؤون الإسلامية والعربية إلى درجة إصدار ما اصطلح عليه بـ"الفرقان الحق"، أو "النسخة المعدلة" من القرآن الكريم، وتطورت الأمور فلسفياً، عندما انخرطت أسماء فكرية وازنة في المجال التداولي الأمريكي، في شرعنة الحرب الأمريكية المفتوحة في العديد من بقاع العالم، وقد تكون أهم "حسنات" هذه المستجدات، انخراط العديد من الناطقين أو المحسوبين على العقل الإسلامي والعقل الغربي، في معارك "الاشتباك الفكري" والتي أفرزت لائحة من المؤلفات والبيانات والاجتهادات، هنا نسلط الضوء على بعض هذه الأعمال، بهدف تقريب المتلقي العربي من بعض خلفيات واستحقاقات "الصراع على الإسلام"

27) مقاربات في الديمقراطية والمجتمع المدني، دراسة في الأسس والمقومات والسياق التاريخي، علي عبود المحمداوي حيدر ناظم محمد، 2011م.

إن المجتمع المدني بعدّه كياناً اجتماعياً اكتسب وجوده التاريخي كمفهوم متماه مع مفهوم الدولة ، ونحن إذ نتناول هذا المفهوم إنما نتناوله في إطار الدولة، المجتمع المدني، التقابل بين مفهومين اكتسب كل واحد منهما استقلاله في الوقت ذاته الذي ولدا فيه معاً، وبشأن مفهوم الديمقراطية فإنه من المفاهيم الملتبسة والمثيرة للجدل، ويكتنفها الغموض مع كثرة تعريفاتها، وما كتب عنها، وقد برز مفهوم الديمقراطية، الذي شهد ولادته الرسمية من رحم دولة المدينة الأثينية نظام حكم بين أنظمة أخرى ، ونحاول تقديم رؤية عن علاقة النظام الديمقراطي بمعناه المرتبط بدولة المدينة بداية والدولة القومية في العصر الحديث وأثر ذلك في علاقة المفهوم بعلاقته بالعولمة إطاراً عالمياً للتعميم الإيديولوجي والثقافي والسياسي والاقتصادي .

28) فلسفة الفن وعلم الجمال، د.علي شناوة وادي، 2011م.

في هذا الكتاب تعريف بعلم الجمال والفلسفة، ومعنى الفن ، والجمال لدى أفلاطون وأرسطو وأبي نصر الفارابي والغزالي، والكتاب يطرح أسئلة كثيرة، ماالجمال في الفكر الإسلامي، ماعناصر العمل الفني، ماالجمال الفني والجمال الطبيعي، ما مفهوم الجمال في الفكر الفلسفي البراجماتي، ماجماليات الفن السريالي، ماجماليات الفن التجريدي، وكذلك الحال إزاء الإشكاليات التي تظهر لنا عبر تحليل العملية الإبداعية من وجهة نظر فرويد ويونغ ورانك وجيلفورد، وأسئلة أخرى تشبه شكل التناص في مجال الفن البيئي والأحكام الجمالية وموضوعة الحدس فلسفياً واللاشعور ودوره في العملية الإبداعية، وفي مجال الحركات الفنية كالسريالية والتجريدية مثلاً .

29) التّوراة اليهُوديّة مكشوفةً على حقيقتها، رُؤية جديدة لإسرائيل القديمة، وأصُول نُصُوصها المُقدّسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، أ. د إسرائيل فنكلشتاين، فيل أشر سيلبرمان، ترجمة ، سعد رُستُم، ط3، 2011م ط2، 2007م.

الكتاب إقرار على لسانِ مُحقّقَيْن يهُوديّين، إسرائيلي وأمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّنقيبات الآثاريّة، وعلم الآثار، بأنّ التّوراة الحاليّة ليست كُلّها كلمة الله، فجاء كتابهما هذا مُثيراً جداً، واستفزازياً جداً لليهُود، حيثُ أثبتا أنّ التّوراة الحاليّة كَتَبَهَا كَهَنَةٌ يهُود في عهد الملك المُستقيم (يوشيا) ملك يهُوذا في القرن السابع ق.م، فيبدأ كُلّ فصل من فُصُول الكتاب بعرض الرّواية التّوراتيّة، ثُمّ يُعقّب بذكر ما تقترحه المُكتشفات الآثاريّة، فكانت النّتائج التي وصل إليها المُؤلّفان العلمانيّان طعنةً نجلاء في صميم المُعتقدات اليهُوديّة التّقليديّة، وتحطيماً للرمُوز الدّينيّة التّقليديّة لليهُود، ولعلّ أهمّ أفكار الكتاب:1ـ لا تُؤيّد الأدلّة الآثاريّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر بالشكل والأعداد والطّريقة التي تذكرها التّوراة العبريّة 2ـ لم يقم يشوع بن نُون بحملة غزوات مُوحدة لفتح أرض كنعان.3ـ داوود وسُليمان وُجدا تاريخياً، لكن، كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة من مَلِكَيْن، كما لم يبن سُليمان أيّ هيكل (معبد) هائل.4ـ لم يكن هناك دين يهُودي مُوحّد في أكثر تاريخ يهُوذا (إسرائيل القديمة).5ـ ليس هناك دليل علمي على الوجود الحقيقي لشخصيات مثل إبراهيم أو إسحاق أو يعقوب، إنّ قُوّة وإفادة هذا الكتاب هي بُطلان الدّعاوى الصّهيونيّة في أرض فلسطين، استناداً لوجودهم القديم فيها، أو إنّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللّذَيْن أكّدا أنّ فلسطين كانت، وظلّت دائماً، مسكونة من عدة شُعُوب، تتالوا عليها كاليبوسيين، والكنعانيّين، والفلسطينيّين، والعماليق، والعَرَب، وأنّ الإسرائيليّين لم يكونوا إلاّ مجموعة هامشيّة فوضويّة، نَمَت وسيطرت فترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيّة في فلسطين، على حين كانت بقيّة فلسطين مسكونة من الكنعانيّين والفلسطينيّين وغيرهم.

30) العبادات في الأديان السّماويّة (اليهُوديّة، المسيحيّة، الإسلام، والمصريّة والعراقيّة واليُونانيّة والرُومانيّة والهندُوسيّة والبوذيّة والزّرادشتيّة والصّابئيّة)، عبد الرّزاق رحيم صلال المُوحي، ط3، 2011م.

هذا الكتاب هام جداً جداً، فكم من النّاس والمُثقفين يعرف كيف يصلّي اليهُود؟، وكيف يُزكّون؟، وكيف يتطهّرون؟، وإلى أين يحجّون؟، وكيف يصومون؟، وكيف يتوضّؤون؟، وما هي أعيادهم؟، وكذلك الأمر للمسيحيين، وهذه الدّراسة دراسة مُقارنة هامّة تُبيّن النّصوص المُوثّقة من التّوراة والأناجيل والقرآن الكريم والسُنّة النّبويّة ، ما أصاب بعض الدّيانات السّماويّة من تحريف وابتعاد عمّا نزل أصلاً في كُتُبها السّماويّة، حتّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرّمَ في كُتُبهم، وتحريم ما أُحلّ؟، وتبديل ما ليس يبدّل.

31) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ويلسون براين كي، ترجمة، مُحَمّد الواكد، ط3، 2011م.

ما الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟، هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلّ الطُرُق التي تقوم بها كُلّ من المجلاّت والصّحُف والأقنية التّلفزيونيّة والأفلام والموسيقى الشّعبيّة، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكري للشّعب، بعد قراءته لابُدّ أنّكَ ستنظر، وتنصت، وتدرك، ولكنْ بطريقة جديدة تماماً، لا تدعهم يضعون السّتار أمام عينَيْكَ وأذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسّكَ كُلّها، أيّها المُشتري، كُنْ حريصاً!، كُنْ حريصاً!، أولاً من أنّ الإعلان مُصمّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي، ما الرمُوز المخفيّة في وسائل الإعلام الأمريكيّة؟، ما كيفيّة قيام تلك الرمُوز ببرمجة عقلنا الباطن وتكييفه؟، إنّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاّشُعُوري؛ لأنّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلّ شيء عن مُخيلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصلة والعميقة، فهي تعلم إذاً كيف تستغلّ مشاعركَ وسُلُوككَ الشّرائي، وكيفيّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن . اكتشافُ أنّ مجلاّت مثل (بلاي جير) و(فيفا) المُخصصة للنّساء، هي في الواقع تستهدف الرّجال، كيفيّة قيام إعلانات السّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسرطان، كيفيّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها ، كيفيّة قيام إعلانات الأزياء بالتّوجّه إلى السّحاقيّة المُستترة، كيفيّة نجاح موسيقى الروك الشّعبيّة الساحق في ترويج المُخدرات، كيفيّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبة وصياغة آرائكَ، كيفيّة تَضمين كلمة من أربعة أحرف وإخفائها في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرّغبة الجنسيّة، كيفيّة قيام كُلّ ذلك، وأكثر من ذلك كثيراً ـ بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسّيّ بذلك!(صدمة مدهشة!) (سحرٌ شديد!) (الأمر يتطلّب أقصى درجات الحرص!).

32) محمود درويش - مختارات شعرية ونثرية، أوس داوود يعقوب، 2010م.

33) أحمد مطر سيرة ـ شاعر انتحاري (الأعمال الشعرية)، أوس داوود يعقوب، 2010م.

34) مظفر النواب شاعر الثورات والشجن (الأعمال الشعرية)، أوس داوود يعقوب، 2010م.

35) شعراء إرهابيون!! (أبوالقاسم الشابي - نزار قباني - محمود درويش - مظفر النواب - أحمد مطر - تميم البرغوثي- وآخرون)، أوس داوود يعقوب،2010م.

بات ضرورياً في هذا الزمن الصهيو أمريكي التمييز بين الإرهاب والمقاومة، والتفريق بين الفعل الإجرامي "الإرهابي" والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال والسيطرة الأجنبية، ومن القراءات المتعددة نتبين وجود مفارقات بين واقع الأعمال التي توصف بالإرهاب ، والمعاني التي تعنيها كلمة " إرهاب"، و"الإرهاب" هنا هو الممدوح شرعاً، أي "إحداث الخوف والفزع عند من تجوز إخافته شرعاً، بالقدر الذي يردعه عن العدوان والظلم "، ويمكن أن يقال في تعريفه كذلك إنه: "إرهاب الإرهاب، أي الإرهاب المشروع الممدوح للإرهاب المذموم غير المشروع بالقدر الذي يبطل إرهابه وعدوانه". فالإرهاب إذاً يعد قوة ردع لقوى الشر والعدوان ، ولكل من يحاول أن يفسد في الأرض، أو يخرج عن قوانين الشرع، ونتيجة لكل ما تقدم نقول : يحق لشعرائنا العرب مثل أبي القاسم الشابي ونزار قباني ومحمود درويش و مظفر النواب و أحمد مطر و تميم البرغوثي وغيرهم كثير استعمال مصطلح "الإرهاب" بعيداً عن حمولته الغربية الغريبة الدخيلة في كل مجالات الإعلام والكتابة والتأليف، وإنما وفق معناه القرآني الصحيح، ووفق المعنى الشرعي للكلمة (ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وبناءً على ذلك فإن المعنى العام الذي نحن بصدده هو (الإرهاب أي الإخافة)، وهو المعنى الأصيل في اللغة قديماً، وهو المراد الآن عند قراءة النصوص المختارة من الشعر العربي المقاوم لدى من يحترم سلامة اللغة.

36) خديعة مخطوطات البحر الميت . مايكل بيجنت . ريتشارد لي - ترجمة وسيم حسن عبده – مراجعة وتقديم د.منذر الحايك ـ2010م.

جاء الكشف عن المخطوطات ليؤكد أن الدين اليهودي كان يشهد صراعاً حاداً مع بداية العهد المسيحي، يعكس المحاولة اليائسة لصياغته صياغة قومية، انتهت بالإخفاق، ومما لاشك فيه أن الصهيونية أدت دوراً كبيراً في تأخير نشر اللفائف، وحاولت إيهام الرأي العام بأن المخطوطات تحتوي على فخ يستهدف الأديان، وبالمقابل حاولت الصهيونية جاهدة التركيز على أن هذه المخطوطات جاءت لتؤكد أصالة اليهود في المنطقة من التوجه نحو فكرة أن اليهودية هي أصل الديانات السماوية، وهو ما تثبت الدراسة المتأنية للمخطوطات عكسه تماماً، ووضح الكتاب "بأن كشف لفائف البحر الميت جعلنا نتوقع إلقاء المزيد من الأضواء على التاريخ الإنجيلي، وعلى شخصيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وعلى جذور المسيحية وعلى نحو ما الإسلام. وبطبيعة الحال لا ينبغي التوقع من كشف، مهما بلغ حجمه، أن يسقط الكنيسة، وليس لنا أن نتوقع أي شيء مروع كهذا العمل، ويوضح الكتاب على نحو غير مسبوق أسرار تجارة الآثار غير المشروعة، وطرق تحرك القطع من مناطق اكتشافها في الشرق الأوسط نحو أوروبا، مع نماذج طريفة من طرق العرض وأساليب البيع قبل مهربي آثار مخضرمين، ومتورطين طامعين، والكثير من المدفوعين بسياسات وآيديولوجيات متناقضة، ونستطيع الآن أن نقول إن لفائف البحر الميت قدمت لنا رؤية جديدة عن الأديان السماوية، التي ولدت في الشرق العربي، فقد بينت مدى تداخل هذه الأديان وتشابهها، وأن كل الخلافات بينها لم تنجم عن اختلاف القيم الروحية أو سوء فهمها، بل نجمت عن حب السيطرة والتسلط، والجشع والأنانية وغطرسة سوء التفسير الوقحة، وأوضح أمثلتها في العصور الوسطى غزوات الفرنجة للأراضي المقدسة، وفي أيامنا الحركة الصهيونية التي دمرت سكان تلك الأرض وقتلتهم وهجرتهم، ولا تزال ترتكب المجازر، مدفوعة بتهيؤات، رفضها اليهود أنفسهم منذ قرون طويلة، فسعت الصهيونية لإقامة دولة اليهود الدينية من بوساطة حركة انبعاث أصولية، تقوم على التعصب الأعمى، وعدم التسامح، والتشدد الذي ولد صحوة أصوليات أخرى، كانت هاجعة منذ فترة طويلة.

37) الإدارة المتكاملة للموارد المائية- صاحب الربيعي ، 2010م.

إن الارتقاء بالإدارة المائية إلى مستوى يحقق التوازن المائي بإتباع سلسلة من الإجراءات العلمية والفنية والاقتصادية للنهوض بالقطاع المائي، ليؤثر إيجاباً في مستوى الرفاه الاجتماعي، أن المياه عنصر هام للحياة، وتدخل عنصراً تكاملياً في كل العمليات الحيوية والإنتاجية، ولم تعد ذات طبيعة اقتصادية وحسب، بل ذات طبيعة بيولوجية وبيئية واجتماعية، حيث للنوع الاجتماعي دور هام للحد من تلوث الماء وهدرها وترشيد الطلب على نحو يتوافق وحجم المياه المتاحة، ويبحث الكتاب في التحديات المائية (المياه في العالم – الواقع والتحديات، إدارة الموارد الطبيعية – المعوقات وسبل التنمية، ومتطلبات الإدارة المتكاملة للموارد المائية ، السياسات الاستراتيجية (رسم السياسات في مؤسسات الدولة، دور القطاع العام والخاص في تنمية الموارد المائية، التكامل والتنسيق بين الإدارات المائية المختلفة، وإدماج النوع الاجتماعي – المهام والأهداف)، الإدارة والتشريع (إدارة مؤسسات المياه وإعداد الملاك، ووسائل الاتصال وتقنيات الاستشعار عن بعد، التشريع القانوني والمجال المائي، وأسواق بيع المياه .

38) الصراع والمواجهة بين المثقف والسياسي - صاحب الربيعي، 2010م.

علاقة المثقف بالسياسي علاقة سلبية وغير متكافئة، علاقة تسلط وهيمنة وتهميش، أحالت المثقف إلى تابع، ومهادن، ورافض، فالمثقف التابع أصبح سوط السياسي في جلد ظهور المثقفين، والمثقف المهادن أخذ يتحاشى السياسي ويهادنه خشية من بطشه، والمثقف الرافض تصدى لنهج السياسي بالهيمنة والتسلط ساعياً لتعرية مواقفه المضللة ، وداعياً لتنشيط السلطة الرابعة، لتقوم بمهامها للدفاع عن مصالح المجتمع، وكشف زيف الادعاءات السياسية المتعارضة مع المصالح العامة، يتناول الكتاب عناوين أساسية ومحاور فرعية مثل المثقف والسياسي (الصراع بين المثقف السياسي، ومسؤولية المثقف ومهامه)، والمنظومات الفكرية والقيادات الحزبية (اختلاف التوجهات والأهداف بين المنظومات الفكرية، ورؤية في ممارسات القيادات الحزبية)، وأخيراً النظام السياسي والمجتمع (رؤية في الأنظمة والأحزاب السياسية، ومساهمة النخب في إرساء النظام الديمقراطي).

39) المرأة والموروث في مجتمعات العيب، صاحب الربيعي، 2010م.

إن النظرة الدونية إلى المرأة في المجتمع يكرسها الموروث من العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية المتعارضة مع توجهات العالم المعاصر، والتي تتسلل عبر أساليب التربية الأسرية والثقافة، لتحط من قدر المرأة في المجتمع، فتصمها بناقصة عقل

ودين، مع مساهمتها في قدر مماثل من فعل الرجل في الخلق والوجود الإنساني. يخلق الرجل كائناً إنسانياً في مجتمعات العيب مرة واحدة، بينما المرأة تخلق مرتين، مرة كائناً إنسانياً ومرة أخرى كائناً مخصياً، دوره في المجتمع الذكوري محدد بآليات الموروث الذي يقصيها عن دائرة التنافس الحر لاحتلال المراكز القيادية في الدولة والمجتمع. تعاني مجتمعات العيب حالة انفصام في الشخصية، فهي تمارس كل المحرمات في السر، وتشهر سيوفها بوجه من يمارسها في العلن، مكبلة بسلاسل الماضي، منصاعة للموروث من القيم والعادات السيئة، ترفض قيم الحاضر في المساواة بين المرأة والرجل، حناجر شعرائها تصدح بقصائد الحب والعشق للمرأة، لكنها تحرمها التعبير عن أحاسيسها، يبحث الكتاب في التربية الاجتماعية والنفسية (دور التربية في ترسيخ الموروث السيئ ونبذه، ودور الموروث والتشريعات في الحط من قدر المرأة، آراء في التحليل النفسي للمرأة)، والموروث والمجتمع (الموروث والثقافة، المرأة والمجتمع)، وأخيراً الحب والعشق في مجتمعات العيب (الحب والعشق من رؤية فلسفية، الحب والعشق من رؤية شعرية، رؤى في الحب والعشق).

40) منهج القرآن في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، د.نادية الشرقاوي،2010م.

ألم يعرف المسلمون فعلاً في فترات أوج الحضارة الإسلامية علم مقارنة الأديان؟، ألَم يُثر القرآن، وهو المصدر الأول للمعرفة في الإسلام، أموراً تخص أتباع الأديان المخالفة؟، خصوصاً أنه ادعى أنه الكتاب الخاتم والمهيمن والمصحح لما سبقه من الكتب السماوية، أليس علم مقارنة الأديان علماً أصيلاً في الفكر الإسلامي؟، وأنه استمد جذوره من القرآن، وترعرعت أغصانه مع علماء الإسلام؟، هذه الأمور الكثيرة والمختلفة ميزت القرآن، وجعلت كل الأنظار تتجه إليه، كونه وحياً جديداً، يعلن صراحة فساد الأوضاع، التي وصلت إليها البشرية بسبب تعدد الأديان واختلافها وانحراف الناس عن الطريق المستقيم، ويحاول إصلاح ما أفسده أتباع الأديان السماوية، بما أحدثوه في كتبهم من تحريف وتغيير وتبديل، بعده الكتاب الخاتم والمصحح والمهيمن، ويقدم دين الإسلام حلاً بديلاً عقائدياً وإنسانياً، مرتكزاً في ترسيخ هذه المبادئ على وسيلة الحوار، هذه الدراسة منهج القرآن في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، محاولةً للإجابة عن، أهم القضايا التي اهتم القرآن بعرضها في مناظرته لليهود والنصارى؟، ما مزاعم أهل الكتاب ودعواهم التي وقف القرآن للرد عليها؟، كيف واجه القرآن هذه الدعاوى، ورد الأمور إلى نصابها بإقرار ما كان حقاً منها، وتفنيد ما كان باطلاً؟، كيف أولى القرآن أمور العقيدة اهتماماً خاصاً، وعني بتصحيحها أكثر من غيرها من أمور الشريعة بعد العقيدة ركناً ثابتاً، لا يقبل النسخ في الديانات السماوية؟.

41) سيكولوجية الزمن، د. علي شاكر الفتلاوي، 2010م.

كيف ندرك الزمن؟، هل نتشابه في طرق إدراكنا له؟، هل هنالك من فرق بين إحساسنا به وإدراكنا له؟، هل لانفعالاتنا أثر في شعورنا بالزمن؟، هل ننظر جميعاً إلى الماضي وذكرياته وأحداثه بالأهمية نفسها؟، كيف ننظر إلى الزمن مجسداً الحاضر؟، هل مستوى صحتنا النفسية والجسدية مؤشر إلى كيفية إحساسنا وتعاملنا مع الزمن أم العكس؟، هل نعيش الحاضر من دون أثر لذكريات الماضي وأحداثه أو لتطلعاتنا المستقبلية؟، وما معنى توجهاتنا الزمنية نحو أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل وما طبيعتها؟، فضلاً على الخوض في فرضيات أخرى في هذا الميدان.

42) تاريخ الصحافة والإعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية 1816م-1991م، د.خالد حبيب الراوي، 2010م.

تعاني المكتبة الإعلامية في وطننا العربي نقصاً واضحاً في المصادر والمراجع المتعلقة بتاريخ الصحافة وشواغلها في العراق، وبمقدار تطور وسائل الإعلام، لذا كانت الحاجة ملحة إلى تعريف طلبة كلية الإعلام والمهتمين بالصحافة والإعلام العربي عموماً إلى هذا الموضوع، الكتاب يسليط الضوء على محطات هامة من تاريخ الصحافة العراقية في العهد العثماني منذ صدور أول صحيفة عراقية سنة 1816م، وحتى حرب الخليج سنة 1991م.

43) فلسفة التاريخ عند ابن رشد، د.مشحن زيد محمد التميمي، 2010م.

إن الحديث عن فلسفة ابن رشد قد ملأ الدنيا وشغل الناس إلى يومنا هذا، وسبب هذا الاهتمام يعود إلى ما تركه هذا الرجل من فلسفة وعلم كبيرين، والباحث توجه إلى درس أحد جوانب فلسفته ذات الصلة بالسياسة والإنسان، هو فلسفة التاريخ، فوجد في هذه الفلسفة الرشدية أصالة وإبداعاً لم يكشف عنهما درس أكاديمي أو بحث علمي رصين.

44) صنّاع الحضارة تاريخ الحضارة الإنسانيّة عبر أعلامها،د.محمد جمال طحان، 2010م.

يرصد الكتاب أهمّ الأفكار والنظريّات العلمية والأدبية والفنيّة التي كان لها دور رئيس في تغيير نظرتنا إلى العالم، أو في تغيير أسلوبنا في التعامل معه، وقد حاول الكتاب أن يقدّم الأفكار على نحو مبسّط لا ينفر منه القارئ غير المختص، بل يحضّه الفضول على اكتشاف مزيد، كما نحاول عرضه بجمل مكثّفة، لا يملّ المختص من قراءتها، وإن كانت لا تقدّم له أي جديد من حيث الأفكار، التي برزت عند المفكرين، وإنما قُدمت بأسلوب مختلف، وعبر تسلسل زمني، يعتمد تاريخ ولادة المفكرين، الذين يرد ذكرهم فيه، وذلك من دون النظر إلى تصنيفاتهم في كتب أخرى ذات فكر غربي وآخر شرقي وثالث عربي، وإنما نظن أن الحضارة ميراث إنساني، يرث اللاحق مافيها عن السابق من دون أن نأخذ في الحسبان هوية الوارث أو المورث .

45) وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عَرَبي، مُحمَّد الرّاشد، 2010م.

46)نظريّة الحُبّ و الاتّحاد في التّصوّف الإسلاميّ من الحُبّ الإلهيّ إلى دوامات الاتّحاد المستحيل، مُحمَّد الرّاشد ،2010م.

47)القُرآن وتحديّات العصر رحلة الشكّ والإيمان، مُحمَّد الرّاشد، 2010م.

48) ناسترادامُوس . الألفيّة الجديدة، جُون هُوغ، ترجمة، مُحمَّد الواكد، ط3 2010م.

مَنْ ناسترادامُوس؟، كيف جمع بين الطّبّ والتّنبُّؤ؟، نماذج من نُبوءاته، كيف تنبأ بمقتل هنري الثّاني؟، بحروب الدِّين في أوروبا؟، وباغتيال هنري الثّالث؟، وبحرب ضدّ إمبراطوريّتين عَرَبيّتين؟، بولادة الإمبراطوريات الجُمهوريّة؟، بنابليون بونابرت؟، وبالثّورة الفرنسيّة؟، وبأعمال وحشيّة إرهابيّة؟، وبمنطاد مونت غاليفير؟، وبسقوط روبيسبيري؟، وبأن نابليون هو عدوّ المسيح الأوّل؟، وبالحرب الفرنسيّة الروسيّة؟، وبنابليون الثّالث والرّابع الثّاني؟، وبانحطاط ما بعد الإمبراطوريّة؟، وبهتلر، وبموسوليني، وبالشّخص الأحمر العظيم، وبراسبوتين، وبلُغز قَتْل رومانُوف، وبتنازل إدوارد الثّامن عن العرش،

وبهيفتر عدوّ المسيح الثّاني، وبسُقُوط فرنسا، وبمعركة بريطانيا، وبباربا روسا، وبهرمجدون، وبموت مُوسُوليني، وبموت عدوّ المسيح الثّاني، وبإلقاء القنبلة الذّريّة على هيروشيما، وبإسرائيل وفلسطين، وبالثّورة الهنغاريّة، وبتشارل دي غول، وبالثّورات الثّقافية الصّينيّة، وبمقتل الإخوة كينيدي الثّلاثة، وبنزُول أبولو على القمر، وبكارثة تشيرنوبل، وبنهاية الشّيُوعيّة، وبكارثة تشالينجير، وبإطلاق النّار على روي ريب (رونالد ريغن)، وبنكسة سُوق الأسهم الماليّة، وبمعاهدات تخفيض الأسلحة الاستراتيجيّة، وبمُذنّب هالي، وبالطّاعون، وبالبابا جُون الثّالث والعشرين، وبالبابا بُول السّادس، وبالاغتيال البابوي، وبالفضائح الماليّة في الفاتيكان، وبانتشار الإيدز، وبأنّ ثُلثي العالم سينتهيان بيضمحلان، وبمابوس عدوّ المسيح الأخير(صدّام حسين، وجورج دبليو بوش، وأسامة بن لادن)، وبالعقيد معمّر القذّافي، وبياسر عرفات، وبتفجيرات 11أيلول (سبتمبر)2001م (الهجوم على الجبال المُجوّفة)، وبعمليّة عاصفة الصّحراء، وبحرب أمريكا المُفجعة ضدّ الإرهاب، وبسلام في الأرض وقتاً طويلاً، وبالحرب المنغوليّة العظيمة، وبالحرب المرقيّة العالميّة العظيمة، وبإيحاء تأثير البيئة في المناخ، وبالجفاف العظيم النّاجم عن ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبأنّ ملك الإرهاب الحقيقي هُو ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبالكُسُوف العظيم في 11أغسطس/آب 1999م، وبرجال الرّؤيا الجُدد؛ مثل سُون ما يُونج، والحلاج، وبدي لاما، وبماهيش يوغي، وبمهير بابا، وبالسّوامي باراماهانسا يُوغانادا، وبما بعد الألفَيْن، وبالفيّة من السّلام، وبكيف سينتهي العالم عام 3797بعد الميلاد!!.

49) الجزيرة الفراتية وديارها العربية(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)، دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي قبل الإسلام ـ د.عبد الحكيم الكعبي ـ 2009م.

تقع الجزيرة الفراتية في قلب العالم القديم، بين أعالي نهري دجلة والفرات، وهي بذلك تحتل الجزء الشمالي الغربي من أرض العراق، والشمالي الشرقي من سوريا، وقد أطلق عليها البلدانيون العرب اسم «الجزيرة»، وورد ذكرها في الكتاب المقدس «سفر الخليقة» باسم «أرض شنعار»، ويدعوها الكلدان «بيث نهر أواثا» أي بين نهرين، وأطلق عليها اليونان اسم «Mesopotamia ميزوبوتاميا»، ويبدو أن المؤرخ اليوناني بوليبوس (202-102 ق.م) كان أول من استخدم هذا المصطلح (Mesopotamia)، ثم تبعه الجغرافي المعروف سترابو (64 ق.م — 25 م)، ويقصد به ذلك الإقليم المحصور بين أعالي نهري دجلة والفرات ومنابعهما، وهو يرادف مصطلح الجزيرة، الذي أطلقه البلدانيون العرب على الإقليم نفسه، تعد هذه الدراسة للأحوال الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية للجزيرة الفراتية قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة، كونها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب، سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي، وقد توافرت لها مصادر مهمة ومتعددة، منها العربية الإسلامية، ومنها السريانية واليونانية القديمة، فضلاً على المصادر العربية المسيحية.

50) الجدار بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة، وسام الباش، تقديم د.حسن الباش،2009م.

هل يبني اليهود الجدار وفقاً لإرث توراتي؟، علاقة بني إسرائيل بالحصون والأسوار منذ الخروج وحتى السبي البابلي؟،موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، الجدار وفكرة الخلاص الأولى في أثناء الخروج؟، حصون المدن التي غزاها العبرانيون حقيقة أم خيال؟، نبوءات السبي والسبي البابلي بين تدمير الحصون وبناء الأسوار؟، تدمير دمشق والمدن الحصينة في إفرايم؟، نبوءة عقاب بابل بسبب سبي الإسرائيليين وتقويض أسوارها؟، نبوءات تدمير حصون دمشق وغزة وأدوم وصور ومواب وعمون ويهوذا والسامرة لعاموس؟، نبوءات أسوار أورشليم قبل السبي وفي أثنائه؟، اليهود في الجزيرة العربية، وقصة أخرى لعلاقة اليهود بالحصون والأسوار؟، الحصون اليهودية في الجزيرة العربية، لماذا بنيت؟ ومتى؟، هل يبني اليهود الجدار الفاصل تلبية لأمر إلهي؟، الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني والنفسي والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل؟ كيف بشر القرآن بنهاية جدرهم؟.

51) إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، عبد القادر فيدوح، 2009م.

إذا كان مقياس الرؤية الموجهة سبيلاً للوصول إلى الحقيقة في رأي المفسرين، فإن ذلك في رأي المؤولين يجرد النص من إمكان تحققه أنى شاء، وفي ظل هذه الحالة يعد جهد المؤول مسوغاً طبيعياً لاكتناه سياق باطن النص الذي تستلطفه الذات، وتستجلبه المتعة، حيثما كانت، لمانقة المأمول والتوق إلى المبتغى، مقابل الوضع بالمعمول، والشعور بالسأم الذي فرضه المدلول المعين، وفي ظل هذا التصور المحض يأتي المؤول ليرأم المسؤوم من معهود النص، ويتعامل مع المضمر الخفي الذي يتحد بما يشغل رؤاه في استبطانها الكشفي، أي من تجسيد فاعلية الحدس والرؤية التأملية، رغبة منه في تجاوز ظاهرة « النص وثيقة» أو «مدونة تاريخية».

52) إشكالية الترجمة،د. ياسمين فيدوح بورييع،2009م.

ما العلاقة بين دراسات الترجمة والأدب المقارن؟، وهل دخل حقل الأدب المقارن في عدم معقولية التواصل معه، بعد أن عُدّ نشاطه مؤخراً هامشياً؟، وهل ما زال يصارع وضع القالب الشكلي الذي حَصَرَ نفسَه فيه؟، وهل الأدب المقارن في وضع حَرِج من تنامي دور الترجمة؟، وهل أصبحت الترجمة تخترق فعلاً الحدّ الفاصلَ بينها وبين الأدب المقارن؟، وما الذي جعل التّرجمة تتداخل مع الدراسات المقارنة؟، أم إن هناك اهتمامات مختلفة في المنهجية بينهما؟، وما الذي يميزها في تجاوز علاقتها بالأدب المقارن؟، وهل أصبحت الدراسات الترجمية حقلاً دراسياً بيناً، وحاجة ماسة إلى أغناء اللغة المحلية وتطويرها بفعل التأثيرات المتبادلة؟، وما مكانة الثقافة الوطنية في ظل التحولات الفكرية التي تدعو إليها ثقافة الهدف؟، وهل الترجمة وفية في مهامها؟، أم إنها ـ وفق تعبير القول الفرنسي المأثور ـ مثل « الخائنات الجميلات»، «Les belles infidèles» في خيانتها للنص الأصلي.

53) من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية ، صابرالحباشة،2009م.

يحاول هذا الكتاب أن يتطرّق إلى بعض المسائل التي تهمّ اللسانيات والبلاغة والتداولية والأسلوبية والنحو وفلسفة اللغة، باقتراح بعض التصوّرات التي تعبّر عن رغبة جامحة في تطوير الرؤية إلى مختلف فروع اللغة العربية، ولا سيما ما اتصل

منها بالعلوم الدلالية، وفي الكتاب طرحاً لمشكلات العلاقة بين القراءة والكتابة، والأسلوبية والتداولية، ومقارنة بعض نظريات الجرجاني بما جاء به أوستين في موضوع صور المعاني، كما يطرح هذا الكتاب جزءاً من التحليل الحديث للمعنى في بعض النظريات اللسانية.

54) التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف . د.عبد الحكيم الكعبي، 2009م.

إن الوسطية الإسلامية وما يتصل بها من معاني التعددية وشرعية الاختلاف تعد ركناً مهماً من مشروع الإسلام الحضاري الرافض لكل أنماط التطرف، الذي يصادر الحقيقة باسم الدين، ويشرّع للاستبداد والعنف، ويفرض الرأي، ويحرم المشاركة، سواء في العلم أم في السلطة. وليس ثمة شك في أن الإسلام، وهو يقر ابتداء بشرعية الاختلاف وحقيقته بين الناس والمعتقدات، يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش والحوار مع الآخر.

55)الفكر الشيعي المعاصر، رؤية في التجديد والإبداع الفلسفي،(الصدر، المدرسي، الميلاد) نماذج، علي عبود المحمداوي،2009م.

يعرض المؤلف ما قدمه مفكرو الشيعة في مجال الفكر الفلسفي بمقولاته الكلاسيكية أو المعاصرة من منظور هذه المدرسة، والتي نحددها زمنياً بالفترة المعاصرة التي أصبحت تقاس من بدايات القرن العشرين إلى أيامنا الراهنة من القرن الحادي والعشرين، ما الفكر الشيعي الإسلامي؟، وهو الفكر الديني، الذي يتبنى القواعد والمنهجيات، التي ترتبط بالشيعة الاثني عشرية، الذين يؤمنون بمسالة الإمامة بعد النبي محمدﷺ إلى آخر السلالة، ونماذج بحثنا (محمد باقر الصدر، و محمد تقي المدرسي، وزكي الميلاد) مثلوا هذا الفكر من جهات عدة، منها الأسس والمنطلقات في مصدرية التشريع والخطاب لديهم باعتمادهم أقوال الأئمة الاثني عشر وأفعالها وتقاريرها، وأخرى غيرها من المشتركات التي يشترك فيها الفكر الإسلامي عموماً، كالتسليم بعصمة النص القرآني، واعتماد قول النبي وفعله وتقريره.

56) القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، الحسن العباقي ،2009م.

إن أعمال محمد أركون لم تستطع التخلص من الطروح التبشيرية والاستشراقية القديمة، بل إنه قد أضاف إلى تلك الطروح أسلوباً استفزازياً مليئاً بالقدح والتجريح والقذف، ما ينم عن العجز عن تقديم البديل، مع الركون إلى التّكرار و«التبشير» بالعلوم الإنسانية والقراءة الحداثية بعيداً عن ضوابط القراءة مع الغفلة عن الخصوصيات التاريخية والفكرية، ما يجعل كل أعمال اركون عن الفكر الإسلامي نموذجاً ممتازاً للفكر الإسقاطي البعيد عن الضوابط المنهجية المراعاة في العلوم الإنسانية عامة، خاصة إذا أدركنا طغيان النزعة النسبية لديه، والتي تكرسها الرؤية العلمانية التبسيطية للأديان. ولا شك في أن هذا الكتاب يضعنا أمام تلك المشكلات، التي برزت منذ أواخر القرن العشرين إلى الصدارة، وأصبحت لا تقل أهمية عن القضايا السياسية أو الاقتصادية، إنها المشكلات الحضارية التي يشكل الدين والهوية والقيم أهم تجلياتها، حتى صارت السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهذه السنوات العجاف الأولى من هذا القرن سنوات صراع القيم والمفاهيم الأخلاقية والسياسية، ما يتطلب ضرورة التسلح برؤية فلسفية، ومنهجية نقدية قادرة على التمييز بين الصريح والمضمر، وبين العلمي والأيديولوجي، فيما تعج به الساحة الثقافية والإعلامية والتربوية والسياسية من خطابات ومشاريع إيديولوجية.

57) فرسان الهيكل والمحفل الماسوني (بريطانيا منبت الباطنية الصهيونية العالمية) أسرار الماسونية مايكل بيجنت . ريتشارد لي . ترجمة: محمد الواكد، مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، ط2، 2010م.

أفضل تحقيق ينشر حتى الآن لتسليط الضوء على تطور الماسونية.

يتتبع المؤلفان هروب فرسان الهيكل بعد عام 1309م من أوروبا إلى اسكتلندا، التي وضع فيها تراث فرسان الهيكل جذوره، وجرى الحفاظ عليه من شبكة العوائل النبيلة هناك، ذلك التراث نشأت منه الماسونية، وأصبحا مرتبطين بقضية (آل ستيوارت)، التي حمت تراث فرسان الهيكل، وكانوا مرتبطين بعمق بالماسونية الناشئة آنذاك، الكتاب يظهر أن ولادة الماسونية حصلت خلال بقاء تقاليد فرسان الهيكل، ومن تيارات الفكر الأوروبي، ومن اللغز المحيط بمصلى روزلين، ومن مجموعة خاصة من الأرستقراطيين الملازمين كونهم حراساً شخصيين للملك الفرنسي، المؤلفان في مطاردتهم للماسونية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يكشفان ماهو أكثر إثارة، تأثير الماسونية كونها عنصراً أساسياً في تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية خلال تغلغل الماسونية في المجتمع البريطاني، لتجسد «الجمهورية الماسونية المثالية»، ومن هنا يستطيع أي قارئ لهذا الكتاب أن يكتشف سر التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية الأصولية في أمريكا وبعض بلدان أوروبا، يحاول المؤلفان أن يبعدا الحديث عن هذا التحالف بين الصهيونية البروتستانتية والصهيونية اليهودية، لكن التاريخ يثبت أن المهاجرين الأوائل إلى أمريكا كانوا في معظمهم من الماسونيين المتحالفين مع اليهودية قبل تبلور الحركة الصهيونية السياسية، وإذ نسلط الضوء على أكثر من خمسمئة سنة من التطورات الخاصة بفرسان الهيكل والماسونية الأمريكية ذات الجذور البريطانية فإننا نقدم للقارئ العربي هذا الكتاب، لأنه أكثر من تاريخ وأكبر من وثيقة، يدمغ الماسونية بدمغة الحركة الباطنية المدمّرة، والتي تسعى في النهاية لتحقيق حلمها بهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه متحالفة مع الاحتلال الصهيوني الماسوني العالمي.

58)الإرث المسيحي . أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم!، ريتشارد لي . مايكل بيجنت . هنري لنكولن، ترجمة: محمد الواكد، مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

هذا هو الكتاب الذي يكشف فعلاً أجوبة الأسئلة المثيرة والمزلزلة،أربع سنوات من البحث والتمحيص كشفت المزيد من الأدلة المروعة والنتائج المزلزلة بعد كتابي «شيفرة دفنشي» و«الدم المقدّس والكاس المقدّسة»، اللذين قوّضا تماماً أسس الديانة المسيحية، ما المعنى الاستثنائي الذي يكمن خلف لقب السيد المسيح «ملك اسرائيل»؟، هل كان هناك أكثر من مسيح واحد؟، من هم حقاً الذين كانوا أتباع السيد المسيح؟، وما الهويّة الحقيقية لسمعان بطرس ويهوذا الأسخريوطي؟، من يمتلك الآن الكنز القديم، الذي كان في هيكل سليمان في أورشليم؟، ما المصدر الحقيقي «لأصول

الديانة المسيحية الراهنة؟، ما الذي يربط بين الفاتيكان ووكالة المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) ومجلس أمن الدولة السوفيتي (KGB) والمافيا والماسونية وفرسان الهيكل؟، ما الهدف المذهل للجمعية الأوروبية السريّة، التي تنسب جذورها إلى السيد المسيح وآل النبي داوود؟.

59) المكان المقدس، الكاهن سونير وفك شيفرة اللغز العظيم لقرية رين لي شاتو، عاصمة أسرار التاريخ الفرنسي، هنري لنكولن، ترجمة: محمد الواكد، مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

الكتاب يتحرّى عن رَين لي شاتو، وهي بلدة صغيرة في جنوب غرب فرنسا، في هذه البلدة، وفي أواخر القرن التاسع عشر، اكتشف كاهن القرية المدعو بيرينجر سونير سلسلة من المخطوطات الكتابية، التي قادت تباعاً إلى كنز عظيم، ولكنه ملعون، إنه الكنز الذي تحدى الكثير من المعتقدات والتقاليد المسيحية، بما فيها إمكان استمرار سلالة السيد المسيح حتى الوقت الراهن، قصّة الكنز تعود في التاريخ لتتخلل الحملات الصليبية، وأصول فرسان الهيكل والولادة البتولية ذاتها، كتاب دان براون الذي تربع على رأس قائمة الكتب الأكثر رواجاً دولياً في الوقت الراهن أوقد النار والفضول مرة ثانية فيما يتعلق بهذا المكان القديم الحاسم، في المكان المقدّس يكشف لنكولن بالمزيد من الاستطلاعات والتفسيرات والتحليلات أنّ هذه المنطقة في جنوب غرب فرنسا هي موقع لمكان مسيحي مقدّس، يتميز بأهمية هائلة وحجم عظيم. يحتوي الكتاب على أكثر من مئة صورة وعلى مخططات توضيحية ومخططات لسونير ورين لي شاتو، إضافة إلى المخطوطات الكتابية، التي كانت الحافز الأساسي لاكتشافات سونير، والأسس الهندسية التي استندت إليها تلك الاكتشافات.

هنري لنكولن هو منتج أفلام وثائقية بارز، إضافة إلى كتاب الدم المقدّس والكأس المقدّسة، هو مؤلف مشارك في الكتب التالية «الإرث المسيحي»، و«دليل على النمط المقدّس»، و«الجزيرة السريّة لفرسان الهيكل».

60) عصر حماس. شاؤول مشعال. أبراهام سيلع. قراءة وتعليق: علي بدوان، 2009م.

(عصر حماس) لكاتبين إسرائيليين، عملا منذ فترة طويلة، ومازالا، في حقل الكتابة والإعلام في الصحف الإسرائيلية، وأهمية الكتاب تنبع أولاً من أنها تقدم على نحو ما، رؤية إسرائيلية صهيونية لتنظيم فلسطيني بات يشكل قوة كبيرة ذات حضور سياسي وجماهيري في الشارع الفلسطيني، وطرفاً أساسياً في معادلة معقدة، مازالت تحكم الصراع العربي والفلسطيني مع العدو الصهيوني.الكتاب يحتفظ بأهميته في سياق قراءة مقدمات الرؤية الصهيونية، كيف كانت، وكيف أضحت مع سيل من الأحداث، التي تكاثفت في ساحة الصراع الفلسطيني والعربي مع العدو الإسرائيلي، وهي تطورات فرضت نفسها أولاً داخل المجتمع اليهودي على أرض فلسطين التاريخية، ووضعته أمام نقاشات من نوع جديد، مع تصاعد الأسئلة المصيرية، التي أصبحت أسئلة يومية، تطرح نفسها على مستويات المجتمع الصهيوني وشرائحه، ومن الأسئلة التي كانت ومازالت الأكثر تواتراً، نجد منها الأسئلة المتعلقة بجدوى السياسة الإسرائيلية المتبعة تجاه حركة حماس على نحو خاص وعموم قوى المقاومة الفلسطينية على على نحو عام، وهناك قناعة شبه راسخة باتت تشير إلى الإسرائيليين بأن حركة حماس تتميز بتأييد اجتماعي قوي وحضور مؤسساتي مؤثر، وتأثير سياسي غير متناه داخل الرأي العام الفلسطيني، وقدرة على التكيّف في الأحوال الصعبة، وخاصة مميزة بصفتها حركة جماهيرية تربطها المؤسّسات بترابط متين لحاجات المجتمع، ما جعلها قوة سياسية من الصعب تجاهلها من حيث حضورها ونشاطها المدني في المستقبل الواضح للعيان، وبأن أجيالاً جديدة من شبان ورجالات المقاومة مازالت تنبع وتتوالد في فلسطين، حيث لم تستطع آلة القتل والتدمير الإسرائيلية اجتثاث المقاومة وفصائلها، أو من تحييدها ووضعها خارج دائرة الفعل والتأثير.

61) قراءة في مذكرات يعقوب بيري، رئيس جهاز الأمن العام الإسرائيلي «الشاباك». القادم لقتلك ... استبق واقتله، تقديم: د. أمل يازجي ود. منذر الحايك، 2009م.

عزيزي القارئ، اقرأ هذا الكتاب، فقد قرأت مرة في مقدمة كتبها غسان كنفاني، عندما ترجم نصوصاً قصصية من العبرية إلى العربية: (إنه لا يمكنك أن تعرف أدب الآخر حتى تفهمه)، فهنا تجد مجموعة ذكريات لرجل صنع مع آخرين سجل دولة تعشق اللون الأحمر، وكان لديه دائماً ما يكفي من مسوغات أخلاقية وسياسية، تسمح له ولفريقه بالقتل، كما يقدم الكتاب صوراً كثيرة، تظهر كم السلم ممكن، وكم السلام مستحيل، وكم جاء قاطنو فلسطين الجدد بلا ذاكرة، وكم هي كبيرة مأساة هؤلاء، لأن الوطن ذاكرة، ولا يمكن اغتصاب ذاكرة الآخرين وجعلها وطناً لأي كان، لقد سعى بيري لأن تكون مذكراته عرضاً للمشهد الختامي من المسلسل الصهيوني الطويل، مع تجاهل الممارسات التي أدت إلى هذا المشهد، الذي ساهم فيه القتل والتهجير والاضطهاد الصهيوني بتحويل الفلسطيني إلى استشهادي مقتول بشرف، أو إلى مقتول ذليل لا محالة، ولكن تواتر الانتفاضات والشهداء لن يسمح لمشهد (الآتي لقتلك) أن يكون، كما أراده بيري، مشهداً ختامياً للصراع العربي الإسرائيلي، لذلك أدعو كل عربي لقراءة هذا الكتاب، ليعرف حقيقة مشكلة الأمن في إسرائيل، والشعور بالخوف القاتل من المستقبل، بناء على ذلك يمكن أن يفسر الكثير من مواقفها وردود أفعالها.

62) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس (دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي). د.يوسف الكلام 2009م.

هذا العمل العلمي نقدمه للقارئ العربي ليكسر الطوق على المعرفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة، التي «زهدت» لأسباب سياسية واجتماعية قديمة في معرفة أديان العالم وعقائد الآخر، بعد أن كانت تلك المعرفة سبّاقة إلى رصد الفرق والأهواء والملل والنحل، ثم إن هذا العمل دال من جهة أخرى على قدرة صاحبه على هضم علم مقارنة الأديان، وتتبع مسالكه داخل المجتمع الغربي، وانطلاقاً من مصادره الأولى وأدبياته الأصلية، ما مكنه من إعادة النظر إلى هذا العلم وتقييمه انطلاقاً من رؤية علمية استراتيجية قائمة على مفهومي التقنين والتقديس، اللذين يحيلان في واقع الأمر إلى مشكلة المتغير والثابت أو المعياري والمطلق، وهي مشكلة لا تخص النصوص الدينية في الغرب فقط، بل إنها تعم كل مجالات الفكر الغربي، حتى أصبحت اليوم مشكلة المشكلات في هذا الفكر هي إضفاء المعيارية المطلقة على كل القيم والمفاهيم، التي تصير حينئذ خاضعة لتقنين وترسيم متجددين، لن يلبثا أن يتغيرا بتقنين مخالف، فيصبح المقدس الماضي محدوداً في الحاضر، ليترك المجال لمقدس آخر يفرض فرضاً، ويقنن له تقنيناً بشرياً محضاً!، ومما لا شك فيه أن هذه المواقف الريبية من معنى

الحقيقة لم تكن إلا انعكاساً لواقع تاريخي خاص، خاصه الغرب سياسياً واجتماعياً وفلسفياً ودينياً، بل تكاد مواقف الفكر الغربي من مشكلة الحقيقة أن تكون ردود فعل على ما عانته الكتب الدينية «المقدسة» عند المسيحيين من مشكلات صارخة مع الحقيقة، وما أثارته من مشكلات معرفية، وما خلفته من مواقف نقدية، وضعت تلك الكتب «المقدسة» ومعها ممارسات الآباء والرهبان القائمين عليها وسلوكهم موضع المساءلة، وكل هذا ينبئ عن جدلية العلاقة بين مشكلة الكتاب المقدس والتطور الفكري والفلسفي في الغرب الحديث والمعاصر، ولعل مصطلحي التقديس والتقنين يختزلان تلك الإشكالية، ويشيران إلى تطورها إلى يومنا هذا، وأظن أن الدكتور يوسف الكلام قد وفق جداً في استيعاب حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب بعد أن ربطها بظرفيتها الفكرية والسياسية الداخلية، وشدد على أسبابها الذاتية الكامنة في ذلك النص المقدس نفسه، وذكّر أيضاً ببعض أصول تلك الحركة ومنابعها داخل الفكر الإسلامي.

63) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي، سائر بصمه جي، 2009م

يحتوي هذا العمل أكثر من (5000) لفظ من ألفاظ الفقه الإسلامي في كل من الأقسام التالية: الصلاة، الصيام، الحج والعمرة، الزكاة، الطهارة، الأحوال الشخصية، المعاملات، المواريث، الجنايات و العقوبات، الجهاد، الأقضية و الأحكام، الأطعمة و الأشربة، اللباس و الزينة، وفيه الشرح اللفظي للمصطلح من الناحيتين اللغوية و الشرعية، العمل مرتب على حروف المعجم العربي تسهيلاً لعملية البحث عن المفردة، كما أننا نعرض رأي جميع المذاهب في هذا اللفظ.

64) الخديعة الكُبرى، هل اليهُود حقاً شعب الله المُختار؟، د. مُحمَّد جمال طحّان ط2، 2009م.

بماذا وصف مفكرون أوربيون وأمريكيون اليهود؟، ما مدى العداء الذي يكنه الصهاينة للسيد المسيح ولبني الإسلام؟، تقول نيستا ويبستر: إن المفهوم اليهودي السائد عن فكرة شعب الله المختار هو مفهوم سياسي محض، ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم ويعد هذا الشعار أساس الديانة الحاخامية التلمودية، ويأخذ اليهود بتعاليم التلمود دستوراً لهم في الحياة، من اليهود؟، ومن إسرائيل؟، وصف اليهود في التوراة والأناجيل والقرآن الكريم، والماسونية، والدولة العالمية، ورسالة الحاخام الأكبر في اسطنبول لليهود في أوروبا والعالم، الأسلحة اليهودية الرهيبة.

65) المرأة عبر التاريخ البشري، الحضارات القديمة، العبرانيُون، التّوراة، الفراعنة، الشرق الأقصى، البُوذيُون، الصّينيُون، اليُونانيُون، رُوما القديمة، المسيحيُون الجاهليُون، الإسلام . د. عبد المُنعم جبري، 2007م ط2-2009م.

لعلّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدق في بحث مهم كبحث المرأة، استعرض فيه مُؤلفه تطور حقوق المرأة عبر التّاريخ البشري. بدءاً من الحضارات القديمة، مروراً بالعصور الوُسطى في أوروبا والجاهلية والإسلام، ثُمّ تحدث عن المرأة، هل هي التي تحدد مصير العالم؟، ومَن المرأة في أنوثتها الأولى والمُراهقة، وسن النمو العقلي والجسدي؟، ثُم عرج على المرأة في حضارات الشّرق الأوسط، بابل، والتّوراة، والفراعنة، والكهَنُوت، ثُمّ المرأة في حضارات الشّرق الأقصى، اليابان، الصّين، اليُونان، رُوما القديمة والمسيحيّة والمرأة، وعداء الكهَنة للمرأة، وتحرير المرأة في نظام العائلة البلشفي الشّيُوعي الرّوسي، والمرأة الفارسيّة، والمرأة في عصر النّهضة، والطّبيعة والتّاريخ في حق المرأة، وواقع المرأة عبر العُصُور، والمرأة العربيّة، والبداوة والإسلام وعصر النّهضة، البغاء ودوافعه، اللواط، السّحاق، والمرأة المُسلمة عبر التّاريخ، والمُساواة بين المرأة والرّجل قانونياً، وغيرها من الموضوعات.

66) الماسُونيّة والمُنظّمات السّريّة ماذا فعلَت؟، ومَن خدَمت؟، عبد المجيد همو، 2007م، ط2، 2009م.

الكهَنُوت الأعلى في طيبة، القوّة الخفيّة اليهُوديّة، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها، الغنُوصيّة العرفانيّة، الحشّاشُون، النّورانيُون، البابيّة، البهائيّة، فرسان الهيكل، الفاردونا جماعة الصّليب الوردي، الفحّامون، أحباب الملاك الحارس، الخصّاؤون، الماسُونيّة:أصلها، نُشُوءها، تعريفها، من أين اسمها؟، محافلها، وأسماء ماسُونيّة عالميّة وعربيّة، اليمين التي يقسمها المُنتسب إلى الماسُونيّة، ما الامتحانات وما الاختبارات التي يخضع لها؟، الماسُونيّة والسّياسة، التّجنيد لمصلحة اليهُود، علاقة الماسُونيّة بالقبَالة وبالتّلمُود، مُحاربة الأديان، التّوراة ولا شيء غيرها، مُحاربة الأمم، كيف سقطت الامبراطُوريّة الرّوسيّة، كيف تفجّرت الثّورة الفرنسيّة، إعادة اليهُود إلى فلسطين، بناء الهيكل، الماسُونيّة والتّنظيم، الماسُونيّة الرّمزيّة، كيف أُقيم أوّل محفل، محافل أوروبا، محافل أمريكا، محافل البلاد العربيّة، مشاهير الماسُونيّين من الشّرق والغرب اللّوثريّة، البيُوريتانيّة، أحباء صهيُون، شهود يهوه، الرّوتاريّة، بناي بريت، الدّونمة، الاتّحاد والتّرقّي، العلمانيّة، الاشتراكيّة العلميّة، الاتّحاد اليهُودي العام، الرّيفورم بلُوتو، أنوشيت، ثرُويد رست، كتاب يجمع مُعظم المُنظّمات السّريّة العالميّة، ويشرح كيف يكون الانتساب إلى هذه الجمعيّات، كتاب يسد فجوة في المكتبة العربيّة، ويعري اليهُود الذين كانوا السّبب الأهم وراء تأسيس هذه المُنظّمات السّريّة.

67) أصالة الوُجُود عند الشّيرازي، من مركزيّة الفكر الماهوي إلى مركزيّة الفكر الوُجُودي، كمال عبد الكريم حسين الشّلبي، تقديم : د صلاح الجابري، 2006م – ط2 -2009م.

قدّمت نظرية (أصالة الوُجُود) معنى فلسفياً إسلامياً ابتكارياً، نمّ عن قدرة فكرية فذّة، ما أصالة الماهية عند الفلاسفة السابقين للشيرازي، ثم عند الفلاسفة المسلمين كالسهروردي وابن عربي، ثم عند الشيرازي؟، وقد اعتمد الباحث ـ على نحو رئيس ـ المنهج الوصفي التّحليلي، مع إدماج المنهج التاريخي المُقارن أحياناً .

68) ديوان القدس، من أجمل ماقيل في القدس الشريف، أوس داوود يعقوب، 2009م.

69) قواعد اللغة الأكدية ، د.فوزي رشيد 2009م.

70) قواعد اللغة السومرية . د.فوزي رشيد، 2009م.

71) خارقية الإنسان الباراسيكولوجي من المنظور العلمي، د.صلاح الجابري، 2009م.

72) الرّحّالة ك، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرّحمن الكواكبي، تحقيق : د. مُحمّد جمال طحّان، ط3 -2009م.

73) الشراع الأبيض، مسيرة وحياة وحكم وشخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (1918-2004م)، د.جمال البدري، 2009م.

74) مسارات وحدة الوُجُود في التّصوُف الإسلامي، الله . الإنسان . العَالَم، مُحمّد الرّاشد ،2009م .

75) إشكاليّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيّ الإسلاميّ، (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيّة)، دراسة تحليليّة رُؤيويّة، مُحمّد الرّاشد، 2009م.

76) الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد، (التاريخ السياسي والحضاري) . د.قصي منصور التركي، 2008م.

تمتد حضارة العراق في جذورها وأصولها إلى عصور قبل التاريخ، لتستمر في نضجها وازدهارها حتى أوائل العصر الميلادي، وانتشرت تأثيراتها وتراثها إلى عدة أقاليم حضارية، ولاسيما المجاورة لها، دراستنا تساهم في الكشف عن صلات حضارية بين إقليمين متجاورين مثل العراق والخليج العربي، واقتضت الضرورة الجغرافية المتعلقة بموقع العراق المطل على الخليج العربي جنوباً أن تقتصر الدراسة على منطقة حضارة جنوب العراق خلال فترة تاريخية محددة بالألف الثالث قبل الميلاد، بيد أنها لا يمكن أن تحدد من حيث التأثيرات الحضارية بين الشعوب في منطقة حضارية واحدة متجانسة .

77) اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صابر الحباشة، 2008م.

إنّ العلوم اللسانية عرفت منذ بداية القرن العشرين وخلاله جملة من المدارس والاتجاهات اللسانية متعاقبة ومتداخلة وأحياناً متناقضة، ما جعل هذا العلم يتطور، ويشهد منعرجات حاسمة، ويبدو أنّ كلّ دارس قد جلب معه عدة لسانية غربية، وحاول بها أن يهوي على التراث، فيعيد تأليفه وفق النظرية التي درسها، وتشبع بها هذا الدارس أو ذاك، فمن بنيوية دي سوسير، إلى سلوكية بلومفيلد وغلوسيماتيك هيالمسلاف، ووظائفية مارتينيه، وتحويلية هاريس، وتوليدية تشومسكي، وغيرهم كثير، في هذه الفصول ركزنا على مبحث الدلالة وما يلفّها من مشكلات، تتعلق باللغة والمعرفة والمعنى والتأويل.

78) التداوليّة والحجاج ـ مدخل ونصوص . صابر الحباشة. 2008م.

في هذا الكتاب جملة مَن الفصول، تحتوي على تمهيد يعرض لمنزلة الحجَاج والخطاب الحجاجي في البلاغة والتداولية ومحاولة لكشف بعض السمات الحجاجية في بعض نصوص الشروح البلاغية القديمة، إضافة إلى تقديم بعض النصوص، التي اجتهدنا في تعريبها عن اللغة الفرنسية، وتقدّم في مجملها تعريفاً للحجاج وأنماطه وبعض مباحثه التداوليّة ومفاهيمه الإجرائية، واندراج الحجَاج في المباحث التداوليّة أمر قد جرى في عرف الباحثين، وقد أشار إلى ذلك بعضهم إذ قال: ويوجد تيار ناتج من التقاء تيّارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه، تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت عنوان (الفلسفة اللغوية)، ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب، ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس، نضعه تحت عنوان عامّ جداً، هو (الأطروحات البراغماتية)، ويُعدّ الحجَاج باباً رئيساً في المباحث التداوليّة، ونحاول في هذا العمل أن نقترب من نظريات الحجَاج من دون تكرار ما ورد في دراسات أكثر شمولاً واستيعاباً .

79) صعود النازية . ألمانيا بين الحربين العالمتين سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً، نيرمين سعد الدين إبراهيم، مراجعة وتقديم ، د.منذر الحايك، 2008م.

قد لايكون هناك تاريخ تنطبق عليه مقولة (التاريخ يكتبه المنتصرون)،كما تنطبق على ماكتب عن النازية، فمعظم ما لدينا من معلومات عنها هو ما سمح المنتصرون بتداوله، منقادين لغطرستهم وللضغط الصهيوني، ونحن ـ العرب ـ لا مصلحة لنا في تسويغ ماقامت به النازية، ولكن لاشيء يمنعنا من استجلاء بعض الحقيقة بعيداً عن رقابة الفكر الصهيوني وإرهابه، بل لنا المصلحة كل المصلحة في فضح علاقة تسترت الصهيونية عليها، وكتمتها طويلاً عن العالم، ألا وهي التنسيق والدعم المتبادل بين النازية والمنظمة الصهيونية العالمية، وما قاما به معاً، وهو ليس اضطهاداً فقط، بل قتل وتهجير بالقوة ليهود أوروبا، حتى ليبدو كأن الصهيونية هي من سوّق كره اليهود، وهي التي لقنت النازية أفكارها العنصرية، يبرهن الكتاب بالمصادر الرسمية الموثقة على التعاون النازي الصهيوني، ويوضح الأبعاد التي بلغها والتي أخفيت طويلاً، وهو يحمل في طياته رسالة تكشف المضمون الحقيقي للحركة الصهيونية العالمية، وتثبيت أنها صنو للنازية، كما يبحث في مرحلة حدثت فيها تطورات خطيرة في جميع مناحي حياة ألمانيا، التي كانت بلداً مهزوماً، والمنتصرون يحتلون قسماً من أراضيه، وقد كبلته معاهدة فرساي عسكرياً وأرهقته اقتصادياً، هذا البلد بهذه الأحوال تمكن من قلب المعادلة، وارتقى معتمداً ذاته، ليتحول إلى القوة الأكبر في القارة، ويشن الحرب على أوروبا مجتمعة تقريباً، وإذا دفع العالم كله في الماضي ثمن التطرف النازي، فالعرب مازالوا حتى الآن يدفعون ثمن التطرف الصهيوني وإرهاب دولة (إسرائيل) المنظم.

80) استشهاديون أم انتحاريو إرهاب ـ وجهة نظر يهودية، شاؤول كمحي- شموئيل إيفن، مراجعة وتقديم ، د.منذر الحايك، 2008م.

لم تمر مرحلة تاريخية، أثارت فيها مصطلحات الاستشهاد والجهاد مثل ما تثيره اليوم من جدل واهتمام، وضمن هذا السياق كان كتاب استشهاديون أم انتحاريو إرهاب؟ وجهة نظر يهودية، فهو يجيب عن تساؤلات، تشغل بال المجتمعات الغربية عموماً والمجتمع الإسرائيلي خصوصاً، استعرض المؤلفان المختصان في كتابهما هذا فلسفة الاستشهاد، وجذوره التاريخية، وأماكن انتشاره في العالم، والأسباب والدوافع التي تؤدي إليه، وقدّما ستين حالة من الاستشهاديين، جرى الاستقصاء عن تفاصيل عملياتهم وأسلوب حياتهم، وصنّفوهم في أربع مجموعات أساسية، تتفرع منها حالات متعددة، ومن الكتاب يستشف القارئ مدى رعب الإسرائيليين، واهتمامهم الأمني والعسكري لوقف تفشي ظاهرة الاستشهاد بين الفلسطينيين، التي أقضت دقائق حياتهم اليومية، وأعاقت الحركة الاقتصادية، عدا آثارها النفسية، وباعتراف الكاتبين فإن العمليات الاستشهادية كشفت ضعف المجتمع الإسرائيلي، الذي عدها من مزاياه، وهي حبه للتمتع بالحياة.

81) وجهة نظر مسيحيّة، دفاعاً عن الجهاد (حقيقة الجهاد)، آرشي أوغوستاين، ترجمة: محمد الواكد، مراجعة: د.منذر الحايك، 2008م.

يعالج الكتاب قضايا في منتهى الرهافة والخطورة، وهي الآن على بساط البحث في العالم أجمع، مثل شرعية الجهاد، والدعم المسيحي للقضايا الإسلامية، قابلية نجاح الدولة الإسلامية، يقول مؤلف الكتاب أنا محام ومسيحي كاثوليكي ملتزم، وبعد اطلاعي على نسخة مترجمة من القرآن الكريم توصلت إلى استنتاج، مفاده أن غير المسلمين لاينبغي لهم أن يخافوا من ازدهار

الإسلام، وأن مايجب أن نخاف منه هو جهلنا بذلك النوع من الإيمان، أملي أن البشر من أتباع كل الديانات أن يقرؤوا ماكتبت جيداً، وبلا تحفظات سابقة، وعلى نحو مؤكد لن أرجو كل شخص، ليفعل ذلك، لأن الحقيقة لاتتجلي دائماً للجميع مع أنها كالبذرة، التي ربما تورق حتي في أكثر الأراضي قسوة.

82) وجهة نظر مسيحية، تفجيرات انتحارية أم استشهاد؟، آرشي أوغوستاين، ترجمة: مُحمَّد الواكد، مراجعة: د.منذر الحايك، 2008م.

يشكل موضوع هذا الكتاب قضية كبيرة الأهمية للمسلمين ولغيرهم، وماأحوجنا الآن إلى سماع رأي آخر، لايمكن أن يتهم بالتعصب، وقد يستغرب القارئ من تقارب يكاد يبلغ حد التطابق بين وجهة النظر المسيحية المتدينة ووجهة النظر الإسلامية. يقول مؤلف الكتاب: ماالذي أعلمتنا به أجهزة الإعلام الغربية فيما يتعلق بالاستشهاد لدى المسلمين؟، نحن لانقرأ عادة كلمة (شهيد)، بل كلمات مثل: مخرب، وإرهابي، نحن علمنا أن نرد بالخوف والرعب على الهجمات الانتحارية للأصوليين، وأنا هنا أنوي التعامل مع الاستشهاد في الإسلام وكشف طبيعته الحقيقية، وإني أقوم بذلك لأني مسيحي كاثوليكي ومحامي تحفزه الرغبة، ليكون صادقاً على نحو كاف الكفاية لإصلاح الخطأ المستمر، الذي تمارسه أجهزة الإعلام المعادية للإسلام. لذا سأحاول توضيح الحقيقة بالقدر الذي ضلل عنده القارئ.

83) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النصِّ القُرآني، أحمد بن محمد جهلان، 2008م.

يهتمُ البحث بتحليل فعالية القراءة وعلاقتها بتجسيد دلالة النّص، ويتخذ من القراءات والتّأويلات المُمَارَسَة على النّصّ القُرآني موضوعاً لاختبار آليات القراءة عند المُفسرين العَرَب القُدماء، ويفتح سُبُلاً لمُحاولة الاستفادة منها، وربطها بالآراء الحديثة في القراءة وتأويل النُصُوص، من أهمّ ما ورد في الكتاب:ما القراءة الاستهلاكيّة؟، وما القراءة الفعّالة المُنتجة؟، وما مُستويات القراءة ومُحاورة النّص؟، وما مراحل القراءة للقُرآن؟. وكيف نُحلّل الآليّة القُرآنيّة؟، القراءة وإنتاج المعنى، آفاق نظريّة القراءة، القارئ عند عُلماء القُرآن، المكّي والمدني، والتّفاعل بين النّصّ القُرآني وواقع المُتلقّين، النّاسخ والمنسوخ، توسيع المعنى وتضييقه، المُطلق والمُقيّد، المُحكم والمُتشابه، فَهم النّصّ القُرآني والقراءة، فَهم القُرآن بين التّفسير والتّأويل، تيّارات التّأويل القُرآني، آليّات التّأويل القُرآني، وشُرُوطه، وأنواعه، بين المعقول والمنقول، نقد ما بعد الحداثة.

84) تاريخ دمشق في العصر الفاطمي، د. مُحمّد حُسين محاسنة . مراجعة وتقديم، د.منذر الحايك، 2008م.

يعالج هذا الكتاب فترة غامضة ومحزنة وغريبة من تاريخ مدينة دمشق، فترة حكم البربر والبدو والقرامطة وتحكمهم بهذه الحاضرة العريقة، حيث خضعت لهجومهم ونهبهم وتدميرهم وإحراقهم لها، ولكن إرادة الحياة لدى سكان دمشق في ذلك الوقت هي الأغرب، وذلك خلال تمسكهم بمدينتهم، ودفاعهم المستميت عنها ،وبحال غياب الزعامة الوطنية الرسمية نرى أنه من عمق الفقر والجهل، من صفوف طبقة العامة التي لا تعرف إلا دمشق ومحبة دمشق، تبرز شخصيات شعبية قادرة على قيادة الناس البسطاء، وبأقل قدر ممكن من التنظيم والتسليح تحقق انتصارات، وتظهر مواقف لا تنسى وبطولات، قد تبدو بلا جدوى، لأبطال مجهولين، قتلوا على أسوار دمشق، أو في أزقتها، لم يطلبوا حكماً، ولم يعرفوا السياسة قط، بل آمنوا بدمشق ودافعوا عنها بأرواحهم، وربما كان من دواعي اهتمامي بهذا الكتاب أنه التفت إلى الطبقة الشعبية في دمشق فدوّن ما تجاهله التاريخ طويلاً، إضافة إلى إجادته احتواء الحدث التاريخي ضمن زمانه وفي حيز مكانه، إضافة إلى تناوله الموفق لموقع دمشق ومناخها وسكانها، واستعراضه لعمرانها بشقيه المدني والديني، وفي أثناء بحثه في أحوال الاحتلال الفاطمي لدمشق نراه يدخل عمق تاريخ هذه المدينة مع تناوله لتنظيم الأحداث فيها، ثم يفصل نواحي الإدارة الفاطمية بدمشق، ويتعرض للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها، وللأسواق التجارية والنقود المتداولة، ولفئات المجتمع وملابسها، وطعامها وأعيادها، كذلك يستعرض الثقافة والآداب والعلوم، وباختصار إنها دمشق، مرآة بلاد الشام، والبحث في تاريخ دمشق هو صورة معبرة عن الشام كلها.

85)الحقيقة بين النُبُوءة والسِّياسة . التّوراة، الأناجيل، القُرآن الكريم نُوستراداموس، مُحمّد نضال الحافظ، ط2، 2008م.

هل كان انهيار بُرجَي مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟، ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكّة المُكرّمة بقُنبلة نوويّة؟، ما العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبوخذ نصر؟، ما قصّة النُبُوءات في آخر الزّمان؟، ما تلك النُبُوءات الإنجيليّة والتّوراتيّة والقُرآنيّة؟، وما علاقتها بالسِّياسة العالميّة؟، ماذا يفعل اليهود والمسيحيّون والمُسلمون أمام نُبُوءاتهم؟، كيف تبدو نهاية اليهود و(إسرائيل) خلال التّوراة والتّلمود والأناجيل ونوستراداموس والقُرآن الكريم؟، العراق وبابل واليهود ونُوستراداموس، هل نسي اليهود كيف أسرهم نبوخذ نصر وسباهم إلى بابل؟، هل يحاول اليهود (أمريكا- بريطانيا) الانتقام من العراق؟، هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويّة للعراق؟، المسيحيّة الصّهيُونيّة . نشأتها ومشاهيرها، بروتُوكُولات حُكماء صهيُون، السّياسيُون الأمريكيُون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميّة النّوويّة الثّالثة، المُؤامرات اليهُوديّة الأمريكيّة، فلسطين واليهود والتّوراة والتّلمود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرف الحقيقة المُذهلة خلال كتاب الحقيقة بين النُبُوءة والسِّياسة.

86) ديوان دمشق (من أجمل ما قيل في دمشق الشام)، ديب علي حسن2008م.

87) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، د.نعيم اليافي 2008م.

88) رحلة الرّصافي من المُغالطة إلى الإلحاد، دراسة تحليليّة نقديّة لكتابه الشّخصيّة المُحمّديّة لمعروف الرصافي- د.أحمد موساوي، د.محمدصالح ناصر، د. مُحمّد بن مُوسى بابا عمي، إسماعيل عمر بيضون، طه إبراهيم كوزي، 2008م.ط2.

89) النبوءة نص سينمائي (وصية النبي إبراهيم) . د.جمال البدري2008م.

90) صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني، التكوينات السياسية والفدائية المعاصرة ، النشأة والمصائر . علي بدوان، 2008م.

91) اغتيال البيئة الفلسطينية، التطهير العرقي، الاستيطان-جدران الضم-المياه، مصطفى سعد الدين قاعود، 2008م.

92) ملامح البنية الديموغرافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية(لإسرائيل) حتى عام 2015م، نبيل محمود السهلي، 2008م.

93) الفلسطينيون داخل الخط الأخضر، أشجار الصبار في مواجهة سياسة الاحتلال، حقائق ديموغرافية واقتصادية وسياسية، نبيل محمود السهلي، 2008م.

94) أمُ القُرى، مُؤتمر النّهضة الإسلاميّة الأوّل، الكواكبي، تحقيق : د. مُحمّد جمال طحّان، 2008م.

95) السّيف الأخضر الأصُوليّة الإسلاميّة المُعاصرة، د. جمال البدري، 2007م .

ما الأسُس العامّة للجماعات الأصُوليّة الإسلاميّة ؟، مرحلة التّأسيس والظّهور، التّأثير والازدهار، السّبات والانتظار، الاستراتيجيات والآليات الحركيّة للجماعات الأصُوليّة، الإخوان المُسلمون، الجهاد، آليات بناء النّفوذ السّياسي والاجتماعي، الحاضر والمُستقبل، الإخوان المُسلمون وخُطّة التّمكين، القيادات الجديدة للجماعات الأصُوليّة، التّجربة والخطأ، نموذج تطبيقي.

96)اللغة السيكولوجية في العمارة المدخل في علم النفس المعماري، د. الحارث عبد الحميد حسن2007م.

يهدف علم النفس إلى دراسة الإنسان وسلوكه وطبيعته البشرية، فهو يدخل في حياة الإنسان اليومية، وله مجالاته المختلفة وتطبيقاته في الحياة،ما مفهوم علم النفس، وما مفهوم العمارة؟، ما المدارس في علم النفس (chools in Psychology)، وما التطورات الحديثة في علم النفس (Recent Developments in Psychology)؟،علم النفس المعرفي كيف ندرسه؟، ما بنية الدماغ والجهاز العصبي؟، وما خلاصة وظائف الدماغ المعرفية؟، وكيف يجري خزن المعلومات في الدماغ؟، العمليات المعرفية، الإدراك الحسي (Perception)، الإدراك اللوني (Color perception)، النظريات الإدراكية والعوامل التنظيمية للإدراك الإيهامات البصرية (Visual Illusions)، العمليات المعرفية، الذاكرة والتذكر، كيف تُحسن ذاكرتك؟، انبثاق الأفكار (التفكير) (Thinking)، إيصال الأفكار (اللغة) (Language)، توظيف الأفكار (حل المشكلات) (Problem Solving)،الوعي وحالاته المُتغيرة،سيكولوجية الشخصية المعمارية، سيكولوجية الإبداع في العمارة، التفكير الإبداعي والخيال، الإبداع في العملية التصميمية، وتنمية الإبداع والتدريب عليه، ما طرق تنمية الإبداع من خارج حقل العمارة، وكيف يجري حل المشكلات إبداعياً (Problem Solving)، ما طرق التجسير الخيالي أو مد جسور منَ الخيال؟، وماطرق تنمية الإبداع من داخل حقل العمارة.

97) فن السيناريو في قَصص القرآن (حوار فكري وحضاري جديد في النص)، د.جمال شاكر البدري2007م.

يتناول الكتاب الإطار العام لكتاب الله تعالى قرآناً ومصحفاً ومعالمه المتميزة، التي تشكل عموم شخصيته، كما تناول الإطار الخاص للقصص القُرآني من بين محتوى النّصّ القُرآني العام، مع الإشارة إلى روح المسرح، التي اتسمت بها لغة الخطاب القُرآني، ثم تناول نموذجاً تطبيقياً من قَصَص القُرآن، وهي سورة سيدنا يوسف ﷺ، وفقاً لكتابة السّيناريو المعاصر في السّينما، وفي الختام تناول حقيقة الغيب، كما جاءت في القُرآن، والصّلة بين العالمين، عالم الغيب وعالم الشّهادة، والربط بينهما جزءاً من رسم التّصورات الكبيرة في القُرآن (السّيناريو العظيم)، وتجربة الإسراء والمعراج، وعلاقتها بالكشوف الحديثة، وأشياء أخرى، وفيها تم تناول عظمة الفن القُرآني في عدد من المجالات وحقيقة صلاحيته لكلّ زمان ومكان، وخشية القوى الدّوليّة المعاصرة فعلياً ومحاربتها لكتاب الله، بسعيها لحذف الآيات والسّوَر التي تعدها مضادة لمصالحها وسياساتها .

98) أنماط العلاقات الاجتماعيّة في النّصّ القُرآني، دراسة سُوسيُولُوجيّة لعمليات الاتّصال في القصّة القُرآنيّة(قصّة مُوسى تطبيقاً)، د.عبد العزيز خواجة، 2007م.

المُصطلح وحُدُود العلم، الوضعيّة وارتباطيّة النّصّ بالمُجتمع، الماركسيّة والانعكاسيّة، مدرسة فرانكفورت، الأمريكيّة ودراسة الجُمهُور، من النّصّ الأدبي إلى النّصّ الدّيني، العلاقات الاجتماعيّة التّحديد والقياس، والمُستويات، العمليّة الاتّصالية المفهوم والأبعاد، الأنواع والأساليب، عناصر العمليّة الاتّصالية ونماذجها، المُرسل، الرّسالة، الوسيلة، المُستقبل، الأطُر العامّة للاتّصال، البُعد السّسيو تاريخي للنّصّ القُرآني وقَصَصه، ما مفهوم النّصّ القُرآني؟، ما تاريخيّة النّصّ التّأسيسي؟، تقسيم النّصّ القُرآني، من القصّة إلى القصّة القُرآنيّة، تعدّد الأغراض، البُعد الاجتماعي، عوائق التّحديد، مادّة القصّة في النّصّ القُرآني، نمط العلاقات الأسريّة، مادّة مُوسى في النّصّ القُرآني، الأسرة البيولوجيّة، الأسرة البديلة، أسرة الإنجاب، نمط العلاقات السّلطويّة وعلاقات السّائد، مَنْ فرعون؟، مَنْ حاشيته؟، ما أجهزته القمعيّة؟، ما وسائلها القمعيّة؟، احتكاك مُوسى بالسّلطة، نمط علاقات التّبعيّة وعلاقات التّعلّم، وغيرها من الموضوعات التي تُطرح على نحو جديد وعلمي.

99) تدويل الإعلام العَرَبي، الوعاء ووعي الهُويّة، د. جمال الزّرن، 2007م.

من إعلام الدّولة إلى تدويل الإعلام، الحرب على العراق وسؤال الهُويّة الإعلاميّة، ما الحرب الإعلاميّة؟، من التّدفّق الإعلامي إلى الاختراق الإعلامي، الإعلام المُقارن، دُروس الإعلام أم دُروس الحرب؟، الإصلاح ومُجتمع المعرفة، ما إيديولوجيا مُجتمع المعرفة؟، ما إيديولوجيا الإصلاح؟، ما إشكاليّة التّلقي؟، الشّرق الأوسط الكبير وتدويل الإعلام العَرَبي، قانون إصلاح أجهزة الاستخبارات، من الإعلام إلى الاتّصال، خيارات لإعادة هيكلة الإعلام والاتصال، إشكاليّة الهيكلة والحرب على العراق، تحرير الإعلام والاتصال، التّشاؤل الإعلامي، التّلفزيون وتلفزيون الواقع، تعدّد المناهج، أين يبدأ الواقع؟، وأين ينتهي الخيال؟، التّلفزيون وثقافة الفضاء المُختلط، خطاب المُؤامرة وتلفزيون الواقع، قمع الدّولة، قمع الصّورة، التّلفزيون فضاء اتّصالي وجزء من الفضاء العامّ،ما ثُنائيّة الإعلام والدّيمقراطيّة في تدويل الإعلام العَرَبي والحرب على الإرهاب؟.

100) اليد في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني، عجائب وأسرار، د. محمد عبد الباقي فهمـــي، 2007م.

يقول المؤلف: لقد أدركت منذ زمن طويل أن القرآن الكريم قد حفل بكم كبير من المعاني، التي تبين صوراً مختلفة ومتباينة عن اليد ووظائفها ودلالاتها ومعانيها، فحزنت لغفلتنا عن كل هذه المعاني الخالدة في هذا الكتاب المعجزة، بعدها كتبت هذه الرسالة عن اليد من الناحية التشريحية، ومعاني كلمة اليد ودلالاتها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة، مع شرح مبسط عن أكثر الأمراض شيوعاً، التي تصيب اليد، لعلها تكون ذات نفع .

101) **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي، 2007م.**

يهدف الكتاب إلى تسليط الضوء على المشكلات والأزمات التي تنخر في بنية المجتمعات المقهورة، نتيجة مواجهتها للعنف والاستبداد أمداً طويلاً، والدور الإيجابي، وما يمكن أن يضطلع به علماء الاجتماع لمعالجة الأنماط السلوكية غير السوية في المجتمعات المقهورة، بعيداً عن الحلول الجاهزة، وما ينتهجه السياسي من أساليب غير علمية، تعقد سبل المعالجات العلمية السليمة لإنقاذ المجتمعات المقهورة من أمراضها النفسية والاجتماعية، التي تسببت بها السياسات غير المسؤولة للسلطات السياسية المستبدة.

102) **رؤية الفلاسفة في الدولة والمجتمع، صاحب الربيعي،2007م.**

يتمحور الصراع القائم بين الفلاسفة والسلاطين عبر التاريخ حول ثنائية الخير والشر، حيث يجد الفلاسفة من مهامهم نشر مبادئ الخير الداعية إلى العدالة والمساواة بين البشر، ويبحث الكتاب في طياته الصراع بين الفلاسفة والسلاطين، صفات الحكم والحكومة عند الفلاسفة، ورؤية الفلاسفة لنظام الحكم، المعرفة والإبداع، والمنطق والحكمة، العلم والجهل، مراتب النفس الإنسانية، ثنائية الخير والشر، سلوك الفلاسفة ونوازعهم.

103) **دور الفكر في السياسة والمجتمع، صاحب الربيعي،2007م.**

يتناول الكتاب المعاني الفكرية للنظريات السياسية والاجتماعية، والفكر والتوجهات المعاصرة، والفكر والسلطات السياسية والحزبية، والمهام والأداء في العمل السياسي، ودوافع العمل الحزبي، والآليات التنظيمية في الكيانات الحزبية، والاستبداد والتحرر في المجتمع، وإرساء مبادئ النظام الديمقراطي، وطغيان المجتمع وتحدياته بشيء من التفصيل المصحوب باستشهادات الكثير من المفكرين والفلاسفة والعلماء والسياسيين والمثقفين، وتبيان آرائه في دور الفكر في السياسة والمجتمع في عالمنا المعاصر، الذي يشهد تطورات متسارعة في العلوم التكنولوجية والمناهج الاقتصادية والسياسية، وما تخلفه من سياسات ايجابية وسلبية على المجتمعات البشرية.

104) **التشيع والعولمة، رؤية في الماضي والمستقبل، د. جمال البدري، 2007م .**

ما مفهوم التشيع و الشيعة وتطورهما؟، ما أهم الأفكار والفرق الشيعية؟، الأئمة والمذهب الشيعي الاثنا عشري، الغيبة والإمام الغائب، إرساء عقائد الشيعة، تعداد الأئمة بالتفصيل، الأسس والأصول الشيعية، العترة، والعصمة، والولاية، والإمامة، والعدل، والتقية، ونفي البدعة، والغيبة، والشفاعة، والاجتهاد، والدعاء، والتقليد، ما المستقبل؟.

105) **اليهود وألف ليلة وليلة، د. جمال البدري، 2007م ط2، 2009م .**

ما أهمية ألف ليلة وليلة؟، اليهود في العراق القديم، بابلية التوراة والتلمود، الثالوث الشرقي المشترك، النتاج الفكري العباسي، يهود بغداد في العصر العباسي، عراقية ألف ليلة وليلة، ألف ليلة وليلة المصرية، جغرافية ألف ليلة وليلة، الإسرائيليات في ألف ليلة وليلة، الإعلام والسياسة، المال والتجارة، الجنس والمرأة، السحر والأسطورة، الكلام غير المباح، العهد الثالث، ألف ليلة وليلة والماسونية، الليالي في أمريكا، النبوءة!!.

106) **العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن تفسير، ابن كثير أنموذجاً، وحيد السعفي، 2007م.**

107) **أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي، دراسة مقارنة في الفكر الغربي، د. محمد بن موسى بابا عمي، 2007م.**

108) **الفقه السياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. خالد سليمان الفهداوي، 2007م .**

109) **فلسفة العبودية عند العارفين، د. منى برهان غزال(الرفاعي)، 2007م.**

110) **منهج التعايش بين المسلمين، واستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، د.خالد سليمان الفهداوي، 2007م .**

111) **العلامة محمد رشيد رضا، عصره وتحدياته، ومنهجه الإصلاحي، د.خالد سليمان الفهداوي 2007م.**

112) **كيف صنع اليهود الهولوكوست؟، نورمان فنكلشتاين، ترجمة ، د. ماري شهرستان، 2007م.**

113) **لصوص في مناصب مرموقة، لقد سرقوا بلدنا وعلينا أن نستعيده، هاي تاوير، ترجمة، محمد الواكد، 2007م.**

114) **المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين، وحقيقة الثالوث، د.عبد المنعم جبري، 2007م .**

115) **خفايا الصراع بين العرب واليهودية الصهيونية الإسرائيلية، موفق صادق العطار، 2007م .**

116) **المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، ديب علي حسن، 2007م.**

117) **تاريخ دمشق وعلماؤها خلال الحكم المصري، خالد بني هاني ،المراجعة د.منذر الحايك، 2007م.**

118) **أمركة العولمة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، مثلث الخيرات، محمد سرحان،2007م .**

119) **(إسرائيل) الرؤساء، رؤساء الكنيست، رؤساء الحكومات منذ الإنشاء حتى 2006 م، د. أسامة الأشقر، حسن عادل الرفاعي، 2007م.**

120) **العبادات في الديانات القديمة المصرية والعراقية والرومانية والهندوسية والبوذية والزرادشتية والصابئية، عبد الرزاق الموحي.**

121) **العبادات في الديانة المسيحية، عبد الرزاق الموحي.**

122) **العبادات في الديانة اليهودية، عبد الرزاق الموحي.**

123) **القضية الكردية والحل المنشود – التاريخ، الواقع، المستقبل، د. خالد سليمان الفهداوي، 2007م..**

124) **الإنسان ولغته، من الأصوات إلى اللغة (الكلام)، مارسيل لوكان، ترجمة، د. ماري شهرستان، 2007م..**

125) **عالية الهاشمية ملكة العراق، سيرة وأحداث 1934م ـ1950م، د. محمد حمدي صالح الجعفري، 2007م.**

126) **الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، زهير الدوري،2007م..**

127) **نساء في قصور الحكام، (ومن الجنس ما قتل)، مازن النقيب، 2007م.**

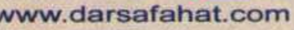
128) **لماذا الاغتيالات السياسية؟!، مازن النقيب، 2007م.**

129) تشنيف السَمْع في انسكاب الدمْع، (من جميل تراثنا)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق : مُحمَد عايش، 2007م.
130) الاستبداد والمرجعيَة في الخطاب الإسلامي، دراسة الحالة المعاصرة، أ. د. خالد مدحت أبو الفضل، 2007م.
131) لورنس والقضيَة العَرَبيَة، 1888 ـ1935، حسام علي مُحسن المدامغة، 2007م.
132) السَيف الأحمر، الأصُوليَة اليهُوديَة المعاصرة، د. جمال البدري، 2007م.
133) التَمييز ضدَ غير اليهُود في (إسرائيل) مسيحيّين كانوا أم مُسلمين، د. سامي الذيب، ترجمة : د . ماري شهرستان،2007م.
134) تحوُلات الذات الثقافي العَرَبيّ، مُقاربات معرفيَة، د. إسماعيل الرُبيعي، 2007م.
135) امنحوني فُرصة للكلام، د. مُحمَد جمال طحَان، 2007م.
136) التَوحيد في الأناجيل الأربعة، وفي رسائل القدّيسَين بُولُس ويُوحنَا، سعد رُستُم، 2007م..
137) مُثلث الدَم شارُون أمس، اليوم، غداً، د. جمال البدري، 2007م.
138) المرأة في حياة وشعر الجواهري، ديب علي حسن، 2007م.
139) نَقْدُ الدّين اليهُودي، جميل خرطبيل، 2007م.
140) مُخيَم جنين من النكبة إلى الانتفاضة، علي بدوان، 2007م.
141) المسيحيَة وأساطير التَجسُد في الشرق الأدنى القديم ـ اليُونان، سُوريَة، مصر، دانييل إ باسُوك، ترجمة، سعد رُستُم،2007م.
142) المُثقَف وديمقراطيَة العبيد، د. مُحمَد جمال طحَان، 2007م.
143) القصر المسحور، (سيِّد الباب السَابع)، إيفلين بريزو بيللين، ترجمة : فاطمة عابدين، 2007م.
144) الوصايا المغدورة، (الترجمة الكاملة)، ميلان كُونديرا، ترجمة : معن عاقل، 2007م.
145) المحاورة، ميلان كُونديرا، ترجمة : معن عاقل، 2007م.
146) العبور إلى المستقبل، (محطات في الدين والحياة والحب) د.محمد الراشد،2007م.
147) المسؤوليَة في القانون الجنائيّ الاقتصاديّ، دراسة مُقارنة بين القوانين العَرَبيَة والقانون الفرنسيّ، محمُود داوود يعقوب،2007م.

أنا روماني كاثوليكي، وأعمل كمحام في محكمة الجنايات في جنوب إفريقيا، عندما جرى احتلال أفغانستان، وبدأ غزو العراق، إضافة إلى ما تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين، قمت بقراءة متمعنة لنص القرآن الكريم، لأني أردت أن أعرف فيما إذا كان الإسلام سوف يواجه مصير المسيحية نفسه أم لا، فاكتشفت أنه من السهل ربط الآيات القرآنية بالوضع العالمي الراهن، وأكثر من هذا، فهم المستقبل، بعد تدمير برجي التجارة العالمية بدأت الولايات المتحدة حربها على «الإرهاب»، ويدّعي بعضهم أنها كانت محتاجة إلى ذريعة لتحقيق مغامراتها ضد ما سمّي «الإرهاب الإسلامي»، ولا أظن أن هذه الكذبة كانت ضرورية لكسب تأييد الشعب الأمريكي، أو الحصول على الدعم الدولي، فبغضّ النظر عن الأمم المتحدة، والرأي العام نفّذت القوات الأمريكية والبريطانية ما يحلو لها، قُصف المسلمون، وقُتلوا واحتلّت أراضيهم، وأصبحت الديمقراطيات المصممة على النمط الغربي هي الممكنة، لذا كان على العادات والمبادئ الإسلامية أن تلغى - ومن ثم فأي مقاومة للمعايير الجديدة سوف تُعد «إرهاباً»، فالحرب ضد المسلمين ليست فقط حرباً ضد شخص المسلم أو ممتلكاته، لكنها حربٌ ضد معتقده وإيمانه. ولذلك فإنّ «اغتيال الإسلام» هو البرنامج.

وأنا مقتنع تماماً بأن هزيمة الإسلام غير ممكنة أبداً، ولن تقنع أي دعاية غربية المسيحيين المخلصين بأن الحرب ضد الإسلام مسوغة، والتزاماً بمصداقيتي الاحترافية وديني المسيحي، فإني لا أعتذر عن الكتابة بكل صراحة، لأن الحقيقة ليست مؤذية، بل على خلاف ذلك يمكنها أن تشفي.













تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح